العتبة العباسية المقدسة
سلسلة كتاب
١
قسم النشر
سلسلة كتاب (١)

الإمام الحسين عليه السلام
ونهج التسامح

الدكتور الشيخ عبد الله اليوسف

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

الإمام الحسين عليه السلام ونهج التسامح

الدكتور الشيخ عبد الله اليوسف

اليوسف، عبد الله احمد، ١٣٨٣ هجري -
الامام الحسين عليه السلام نهج التسامح / تأليف الشيخ الدكتور عبد الله احمد اليوسف.-
الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، ١٤٤٠ هـ. = ٢٠١٨.
٢١٩ صفحة ؛ ٢٤ سم
سنوية.
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية : صفحة ٢٠٦ - ٢١٨.
١. الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٤-٦١ هجري. ٢. التسامح الديني.
الف. العنوان
BP193.13.A3 Y87 2018 NO.1
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العنوان: الامام الحسين عليه السلام ونهج التسامح

النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات – قسم النشر

المتابعة والتنفيذ: رضوان عبد الهادي السلامي

الادارة الفنية: حسين فاضل الحلو

التَّصميم والإخراج: حسين شمران

عدد النّسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ – ٢٠١٨م

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ
وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

صدق الله العلي العظيم

سورة النور، الآية: ٢٢.

المحتويات

كلمة المركز ٦

المقدمة ٨

منهج الدراسة ١١

الفصل الاول (مفهوم التسامح) ١٩

الفصل الثاني (قواعد التسامح في الإسلام) ٤٣

الفصل الثالث (الإمام الحسين عليه السلام وأخلاقيات التسامح) ٧٥

الفصل الرابع (الإمام الحسين عليه السلام وأقسام التسامح) ١٢٣

الفصل الخامس (الحاجة إلى التسامح) ١٦٣

الخاتمة (نتائج الدراسة وتوصياتها) ١٩١

فهرس المصادر والمراجع ٢٠١

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم ..

بسم الله الذي لا نرجو إلا فضلَه ولا نخشى إلا عدلَه ولا نعتمد إلا قولَه ولا نتمسك إلا بحبلَه .. به نستجير وبه نسترشدُ لما فيه الصلاح والاصلاح وبه نستعين ... والحمد لله الواحد الاحد والصلاة والسلام على نبينا الكريم نبي الرحمة رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ... وبعد .. تعدّ القراءة روح الحضارة ومفتاحها كونها تحافظ على العقل وتجعله سليماً ونشطاً ، فضلاً عن انها تحفظ أوقاتنا من الضياع وخاصة ونحن نعيش في زمن يحتفي بالصورة على حساب الكلمة .. بمعنى أن القراءة غذاء للروح ، بل ونجدها تقربنا من الله سبحانه وتعالى ؛ بوصفها طريقاً للجنة وخاصة ان كان الكتاب يمتلك مقومات هويتنا العربية الاسلامية ، لمكانتها العظيمة في الاسلام بعد ان كانت كلمة (إقرأ ..) أول كلمة أنزلت على الرسول الكريم نبي الرحمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى (اقرأ بسم ربك الذي خلق.) .. مثلما أكد الله تعالى على الكتاب وأقسم به لرفعته ولاهميته في قوله تعالى (والطور . وكتاب مسطور . في رقّ منشور.).

وتأسيساً على أهمية القراءة وأهمية الكتاب اهتم قسم النشر احد أقسام مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات التابع للعتبة العباسية المقدسة ، باستقطاب الباحثين المتميزين والاقلام العلمية الرصينة والمشاريع البحثية ذات الصفة الاكاديمية والفكرية التي تنسجم مع أهداف المركز وخططه الاستراتيجية المستقبلية الطامحة باتجاه العالمية ، وخدمة للقراء المتخصصين . ومن هنا يسر قسم النشر الاحتفاء بالمطبوع الذي نحن بصدد نشره وتسويقه من مركز العميد الدولي ، هو أحد العنوانات المهمة والموسوم بـ : (الامام الحسين عليه السلام ونهج التسامح) للباحث الشيخ الدكتور عبدالله أحمد اليوسف دام توفيقه من السعودية .. وهو كتاب يسلّط فيه مؤلفه الضوء على أهمية دراسة فكرة التسامح الأخلاقي والإنساني في ضوء منهج أحد أئمة آل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وريحانة رسول الله وسبطه وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي عليهم السلام الامام المعصوم وما يمتلكه من شخصية عظيمة ومقام رفيع وسيرة عطرة ممتلئة بالصبر والحلم والرحمة والتواضع والعطاء ، ولا يخفى أنّ العفو والتسامح

من خُلق الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين جُبِلوا على المكارم وحسن التصرّف مع من أراد الإساءة إليهم أو النيل منهم ، فهم كالجبال لا تهزّهم الرياح مهما عتت لما يحملونه من شرف عظيم أسبغه عليهم الله تعالى على لسان رسوله الكريم صَلَّى الله عليه وآله بجعلهم عِدل القرآن الكريم في حديث الثقلين ، و سمّاهم سفن نجاة الأمة ، وبما حباهم الله تعالى من العلم والمعرفة والشجاعة والعلم والزهد والخلق العظيم ما يجعلهم يربؤون بأنفسهم عن الخوض في الأمور التي تصدر عن السفهاء بالرد على الإساءة أو الحقد على من يحمل في قلبه الكراهية والبغضاء لهم بل يسامحون المسيء ويعفون عن المخطئ لأنّهم جبلوا على حب الخير وهو ما جسّده الإمام الحسين – عليه السلام – يوم الطف ببكائه على أعدائه ، ودعائه لهم بالهداية على الرغم ممّا أعدّوه له من عدّة لقتله وقتل أصحابه بوحشيّة ، وسبي نسائه وأطفاله ، ذلك لأنّ التسامح في نفسه سجيّة وجِبلّة، وستكشف صفحات هذا الكتاب عن صور مشرقة لملامح التسامح في حياة الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) ... نسأل الله العزيز الحكيم والرحمن الرحيم بأن يتقبل هذا الجهد ويبارك به ..انه هو السميع المجيب .. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

قسم النشر

المقدمة

يعتبر التسامح فضيلة وقيمة مهمة من القيم والفضائل التي حثّ عليها الإسلام، ودعا إلى التحلي بها، وأمر أتباعه بالتخلق بالسماحة والعفو والصفح والرحمة والرأفة والرفق في التعامل والسلوك، وأوصى بالإحسان والبر إلى جميع فئات ومكونات المجتمع حتى يعيش الجميع في أمن وأمان وسلام واستقرار وتعاون ومحبة وانسجام.

ومجتمعنا اليوم بحاجة ماسة وشديدة إلى روح التسامح الفعّال والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الدينية والمذهبية والفكرية والثقافية المكونة لكيان المجتمع وإطاره العام.

ونتيجة لتقنية المعلومات والاتصالات الحديثة فقد أصبح العالم قرية واحدة، تتقارب فيه الثقافات، وتتفاعل بينه الحضارات، وقد ارتفعت فيه الحواجز الزمانية والمكانية بين الشعوب والأمم المختلفة في أرجاء المعمورة؛ مما يجعل التسامح ليس فضيلة وقيمة فحسب؛ وإنما ضرورة ملحة، وحاجة أساسية لتوليد التعاون والتكامل والتعايش بين مختلف الشعوب والأمم.

وقد أصبح الحديث عن التسامح ووجوب ترسيخه في المجتمع الإسلامي من الأمور المهمة للغاية لبناء السلام والتعايش بين مختلف المكونات المجتمعية، خصوصاً مع انتشار ظاهرة الإرهاب والتشدد والتطرف والإقصاء والتهميش المنتشرة في العديد من البلدان الإسلامية.

وتعد دراسة منهج الإمام الحسين عليه السلام في التسامح أكثر من ضروري، لما ترمز إليه شخصيته من مكانة وتراث وفكر ومنهج متميز.

إن شخصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام شخصية عظيمة ومتميزة وكاملة، وله مقام رفيع، وشأن عظيم، فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وسفينة النجاة، ومصباح الهدى، والعروة الوثقى، والشهيد الخالد على مرّ الزمان والمكان.

والحديث عن شخصيته ومكانته وفضله ومناقبه يطول ويطول؛ ولكننا في هذا الكتاب سنقتصر فيه على بحث جانب واحد من شخصيته العظيمة وهو نهجه ومنهاجه في التسامح، وتعامله الأخلاقي والإنساني الرفيع؛ وهذا الجانب من شخصيته العظيمة لم يُحظَ بالاهتمام الكافي، ولم يسلط عليه الأضواء كما في جوانب أخرى من شخصيته وسيرته المباركة.

ولم أجد -بحسب ما تيسر لي من اطلاع- أي كتاب مستقل، أو دراسة منفردة وكاملة تتناول هذا الموضوع المهم في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

ولعل هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في بابها، حيث سلطتُ فيه الأضواء على نهج ومنهاج التسامح الأخلاقي والإنساني في شخصية وسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد بدأتُ هذه الدراسة العلمية بتحرير مفهوم التسامح لغوياً واصطلاحاً، وبيان ما ورد عن التسامح في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ثم تطرقتُ إلى جذور وقواعد وأصول التسامح في الإسلام، لتأصيل قيمة التسامح من المنظور الإسلامي.

ثم عرجتُ بالبحث عن أخلاقيات التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام، مسلطاً الأضواء على تواضعه وحلمه وصبره وعفوه وصفحه ورحمته ورفقه وكرمه وجوده وإحسانه حتى إلى مخالفيه وأعدائه وخصومه.

ثم تناولتُ في هذه الدراسة (الإمام الحسين عليه السلام وأقسام التسامح)، وقد اشتمل هذا الفصل على أنواع التسامح وأقسامه، وما ورد في سيرة الإمام الحسين عليه السلام في كل قسم من أقسام التسامح.

ثم أوضحتُ في الفصل الخامس والأخير الحاجة إلى التسامح في المجتمعات المسلمة انطلاقاً من مبدأ التأسي والاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام ونهجه وفكره وسيرته المباركة.

متمنياً أن يساهم هذا الكتاب في ترسيخ روح التسامح الإيجابي، وتعزيز قيم التعايش والتآلف والتعاون والتكامل بين مختلف المكونات في المجتمع المسلم.

راجياً أن أكون قد قدمتُ للمكتبة العربية والإسلامية شيئاً جديداً ومفيداً ونافعاً عن قيمة وفضيلة التسامح، ونهج الإمام الحسين عليه السلام في التسامح.

وختاماً... أبتهل إلى المولى عز وجل أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي، وأن ينفعني به في آخرتي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء؛ الآيتان: ٨٨-٨٩]. إنه - تبارك وتعالى - محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبد الله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ

٣٠ مارس ٢٠١٦م

منهج الدراسة

إن أي دراسة علمية تتطلب اتباع الأدوات والقواعد العلمية في البحث والتحليل والاستنتاج، وقد بذلنا جهدنا في كتابة هذه الدراسة عن الإمام الحسين عليه السلام ونهج التسامح بطريقة علمية قائمة على التحليل والاستنتاج، وربط سيرة الإمام الحسين عليه السلام الأخلاقية والقيمية بالواقع الاجتماعي المعاصر فيما يرتبط بقيمة التسامح، وقد تتبعنا جميع ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في ثقافة وأخلاقيات وأصول التسامح والتعايش السلمي، وتطبيق ذلك على واقعنا الاجتماعي المعاصر، انطلاقاً من مبدأ وجوب الاقتداء بالمعصومين عليهم السلام؛ ومنهم الإمام الحسين عليه السلام الذي يمثل القدوة الحسنة والأنموذج الأمثل، وهو محل البحث حتى نؤصل لثقافة التسامح من سيرة وحياة الإمام الحسين عليه السلام الذي له موقعية ومكانة رفيعة عند المسلمين خاصة والأحرار في أرجاء العالم عامة.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية دراسة التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام من عدة أبعاد وجوانب مهمة، ونشير إلى أبرزها في النقاط التالية:

١- إعلاء قيمة وثقافة التسامح من خلال الارتكاز على النصوص الدينية، وسيرة المعصومين عليهم السلام، وتحديداً سيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام الأخلاقية والإنسانية.

٢- إبراز الجانب الأخلاقي والقيمي والتربوي والسلوكي في حياة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام وتعريف الأجيال المعاصرة والقادمة بهذا الجانب المهم من سيرة الإمام عليه السلام، لما للإمام الحسين عليه السلام من موقعية خاصة في الوجدان الشعبي، ولما يتركه ذلك من أثر في تحفيز العمل بقيم التسامح.

٣- حاجة المجتمعات الإنسانية إلى ثقافة التسامح الفعال والتعايش الإيجابي، ومواجهة ثقافة الكراهية والتطرف والعنف.

٤- التأكيد على إنسانية الإسلام، وأنه دين يدعو إلى التسامح والانفتاح والاعتدال والتعقل والسلام.

٥- تزكية النفس وتهذيبها من خلال التحلي بأخلاقيات التسامح، والتجمل بآداب وقيم ومناقبيات الإسلام العظيمة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة عن (**الإمام الحسين عليه السلام ونهجه في التسامح**) إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة، أبرزها ما يلي:

١- بيان أن الإسلام يدعو ويشجع ويحث على التسامح والعفو والصفح والإحسان والحلم والرفق والرحمة.... وغيرها من الصفات الأخلاقية الدالة على ثقافة التسامح مع الذات والآخر.

٢- بيان السيرة الأخلاقية والإنسانية الرفيعة للإمام الحسين عليه السلام بصورة مفصلة وتحليلية، من أجل التأسي والاقتداء به، خصوصاً في هذا العصر الذي طغت فيه المادية على كل شيء، والحاجة إلى الاقتداء بالإمام الحسين عليه السلام في السلوك الأخلاقي الراقي، وتربية الذات على التخلق بأخلاق التسامح والتعايش الإيجابي.

٣- توضيح أن التسامح لا يقتصر على جانب معين من جوانب شؤون الحياة، بل يشمل كل الجوانب والأبعاد، كما أنه حاجة إنسانية مستمرة، لا تختص بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، أو جماعة دون أخرى، أو طائفة دون الطوائف الأخرى.

٤- السعي نحو إشاعة ثقافة التسامح الإيجابي في المجتمع، وتعزيز روح التسامح بين المكونات الاجتماعية المختلفة، والتحلي بروح التعاون والتآلف والتكامل مع الآخرين.

٥- إن شخصية الإمام الحسين عليه السلام شخصية متميزة من جميع الأبعاد، ويجب عدم اختصارها في بعد واحد، فهناك العديد من الجوانب بحاجة للتركيز عليها، كنهجه الأخلاقي ونهجه الإنساني المتسامح والراقي والرفيع.

٦- الاستفادة من السيرة المباركة للإمام الحسين عليه السلام في نشر ثقافة التسامح في واقعنا المعاصر، سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي، أم على المستوى الجماعي كمجتمعات إنسانية متعددة الأديان والمذاهب والمدارس الفكرية، ومتنوعة الأعراق والأجناس والثقافات؛ حيث بات من الضروري للغاية الاهتمام بنشر ثقافة التسامح والتعايش بين الناس، ونبذ التعصب والتطرف والتشدد.

الدراسات السابقة

بدأ الاهتمام بالتسامح كمفهوم حديث في العالم العربي متأخراً جداً بالمقارنة مع الكتابة حوله في العالم الغربي، ويعود السبب في ذلك إلى ما حصل في أوروبا من صراع شديد بين الكنيسة والمخالفين لها، وكان اضطهاد الكنيسة لأتباع الأديان الأخرى والمذاهب المختلفة هي القاعدة السائدة في العصور الوسطى في أوروبا سواء من جانب البابوية، أو من جانب الحكام (الأباطرة)؛ ولكن منذ منتصف القرن الخامس الميلادي عشر بدأت بوادر التسامح تبرز وتظهر، وبدأت الدعوات والكتابات تتزايد حول الدعوة إلى التسامح.

ومن أشهر الكتب في التسامح وأقدمها ما كتبه (جون لوك) وصدر كتابه بعنوان (رسالة في التسامح) والذي طبع في مدينة فودا بهولندا في سنة ١٦٨٩م.وقد ترجمت إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والهولندية وغيرها، وأما ترجمتها إلى اللغة العربية فلم تتم إلا في سنة ١٩٨٧م، وقام بترجمتها الدكتور عبدالرحمن بدوي، عن الأصل اللاتيني وراجعها على الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، وضمنها مقدمة موسعة وطويلة، وهي تعادل حجم الكتاب، وقد قدم إسهاماً مهماً في التعريف برسالة التسامح عند لوك، وبات اسم الدكتور بدوي حاضراً في كل حديث يتعلق بهذه الرسالة في المجال العربي المعاصر.

وفي سنة ١٩٩٧م صدرت ترجمة ثانية للرسالة، أنجزتها الباحثة المصرية الدكتورة منى أبو سنة، راجعها وقدم لها الدكتور مراد وهبة، وصدرت ضمن المشروع القومي للترجمة في مصر.

وتشير رسالة لوك في التسامح إلى مجال التسامح الديني، وتتصل من ناحية الموضوع بالدين المسيحي، وتتحدد فكرتها بصورة رئيسة في ضرورة الفصل التام بين مؤسسة السلطة الدنيوية ومؤسسة الكنيسة الدينية، والكشف عن حدود سلطة الحاكم المدني من جهة، وحدود سلطان الكنيسة من جهة أخرى، من أجل تفكيك السلطتين الدينية والسياسية عن بعضهما البعض، وهذا ما تم فعلاً في أوروبا.

ولقيت رسالة التسامح اهتماماً كبيراً في أوروبا لأنها كانت تعبر عن حاجة فعلية في المجتمعات الأوروبية للتسامح، والتخلص من الاضطهاد والقمع الذي كانت تمارسه

الكنيسة المسيحية ضد العلماء والمفكرين باسم الدين، ولذلك بقيت رسالة التسامح يشار إليها بالبنان حتى بعد مرور ثلاثة قرون من تأليفها، وأصبحت تؤرخ ضمن مجال تاريخ تطور الفكر الأوروبي الحديث.

وفي مطلع ستينيات القرن الثامن عشر الميلادي نشر الفيلسوف الفرنسي المعروف فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م) كتاباً حول التسامح، عرف حسب الترجمة العربية الذي قام بترجمتها الباحث المغربي سعيد بن كراد بعنوان: «قول في التسامح»، وهو يضم مجموعة من المقالات القصيرة.

والتسامح الذي ناقشه الفيلسوف الفرنسي فولتير هو التسامح الديني، وذلك نظراً إلى ما كان يعانيه المجتمع الفرنسي المنتمي بأغلبيته إلى المذهب الكاثوليكي، وناظراً إلى تاريخ الحروب والصراعات بين المذاهب المسيحية أيام العصور الوسطى وما بعدها، وما خلفه هذا الصراع المسيحي - المسيحي من فظاعات واضطهادات وآلام في المجتمعات الأوروبية المسيحية.

وأول ما ظهر مصطلح التسامح كان في كتابات الفلاسفة الأوروبيين في القرن السابع عشر الميلادي، زمن الصراع بين البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية، حينما نادى أولئك بحرية الاعتقاد، وطالبوا الكنيسة البابوية بالتوقف عن التدخل في علاقة الإنسان بالله؛ وبضرورة التسامح مع المخالفين، وذلك هو نفس المبدأ الذي تمسك به فلاسفة التنوير في أوروبا بمختلف ميولهم الدينية والفلسفية.

ومعظم الذين أرخوا لمفهوم التسامح في تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، استندوا إلى كتابات - جون لوك وفولتير ومن جاء بعدهما من الأوائل الذين أيدوا مبدأ التسامح الديني، وغيره من أقسام التسامح، حتى أصبح التسامح أمراً واقعاً في أوروبا والغرب بصورة عامة.

أما في العالم العربي فلعل أول من دافع بقوة عن قيم التسامح في الإسلام، وعن مصطلح التسامح بمعناه المصطلح والحديث هو الشيخ محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) في مناظراته الفكرية الشهيرة التي حصلت في مطلع القرن العشرين مع الكاتب

اللبناني المهاجر إلى مصر (فرح انطون) (١٢٩١-١٣٤٠هـ/ ١٨٧٤-١٩٢٢م).

وقد استطاع الشيخ محمد عبده أن يقعد لأصول التسامح في الإسلام من وجهة نظره، وبيان طبيعة الفروق بين الدين المسيحي وأصوله، وطبيعة الدين الإسلامي وأصوله، معتبراً أن هذه الفروق توضح مدى تقبل التسامح من عدمه في كل دين، وهو الأمر الذي جعله محل جذب للكثير من المدافعين عن الفكر الإسلامي في مسألة التسامح.

لكننا نلاحظ تزايد الكتابة حول التسامح في الإسلام في العالم العربي مع انتشار ظاهرة العنف والإرهاب، وتزايد خطر الجماعات التكفيرية الإرهابية التي بدأت تشوه وجه الإسلام الحضاري.

وبالرغم من وجود بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت مسألة التسامح سواء الكتب الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية أو الكتب العربية، والتي لا تخلو معظمها من ملاحظات وثغرات، أو الاقتصار فيها على جوانب من التسامح دون الإلمام بمسألة وقيمة التسامح من جميع الأبعاد والزوايا والجوانب، والتي لا يخلو بعضها من خلل سواء في المضمون والمحتوى أم في المنهج والأسلوب.

ومع ذلك استفدنا من بعضها في بحثنا، وقد أشرنا إليها في قائمة المصادر والمراجع، وكذلك في هوامش البحث، لندل القارئ والباحث معاً على المصادر التي اعتمدنا عليها، واستفدنا منها.

ويجب أن أسجل هنا أن مفهوم التسامح كمضمون ديني وفكري وأخلاقي وسلوكي له قواعده وجذوره في الإسلام، وسوف نثبت في الفصل الثاني من هذا الكتاب (**قواعد التسامح في الإسلام**) ما يدل على أن فضيلة التسامح ليس شيئاً طارئاً أو أمراً مستحدثاً؛ وإنما هو متجذر وعميق في الفكر الإسلامي، ولكنه بحاجة إلى إظهاره وإبرازه للنخبة وعامة الناس.

وبحسب ما تيسر لي من اطلاع وبحث لم أجد بحثاً أو كتاباً تناول ظاهرة التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام كدراسة منفردة ومستقلة؛ وربما تكون هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في هذا المجال.

فقد تناولتُ في هذه الدراسة العلمية عن (الإمام الحسين ﷺ ونهج التسامح)، كل ما اطلعتُ عليه عن حياة وسيرة الإمام ﷺ في مسألة التسامح، وتطبيق ذلك في واقعنا المعاصر.

وقد استفدتُ من سيرة الإمام الحسين ﷺ الأخلاقية والإنسانية المتناثرة في أمهات المصادر والمراجع، للتدليل على التسامح عند الإمام ﷺ، لكن البحث لم يخلو من صعوبات لعدم توافر كتاب منهجي ومستقل يجمع كل ما ورد عن الإمام الحسين ﷺ في مسألة التسامح.

لكن بعد الاتكال على الله تعالى، والعزم على الكتابة عن هذا الجانب في حياة وسيرة الإمام الحسين ﷺ شرعتُ في الكتابة مبتدئاً بتناول مسألة أصول التسامح في الإسلام كمدخل للموضوع، ثم تطرقتُ إلى أخلاقيات التسامح عند الإمام الحسين، وقسمتُ التسامح إلى أقسام متعددة، مُنهياً البحث بالكتابة حول الحاجة إلى التسامح في هذا الوقت، وفي كل وقت وحين، وفي كل زمان ومكان.

هيكلية الدراسة

تبدأ هذه الدراسة بعد المقدمة بالحديث عن منهج الدراسة الذي اتبعه الباحث في دراسته، وقد قسم الباحث الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة.

وقد بدأتُ الدراسة في فصلها الأول بإلقاء الضوء على مفهوم **التسامح لغوياً واصطلاحاً** مروراً بالحديث عن التسامح في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وختمنا هذا الفصل بتوضيح معنى التسامح.

وفي الفصل الثاني والمعنون بـ(**جذور التسامح في الإسلام**) تناولتُ بالبحث فيه عن أصول وقواعد وجذور التسامح في الإسلام.

أما الفصل الثالث والذي جاء موسوماً بـ(**الإمام الحسين ﷺ وأخلاقيات التسامح**) فقد تم التطرق فيه إلى أخلاقيات الإمام الحسين ﷺ المرتبطة بالتسامح وهي: التواضع، والصبر، والحلم، والعفو والصفح، والرأفة، والرحمة، والإحسان والكرم.

وفي الفصل الرابع والذي جاء بعنوان: (**الإمام الحسين عليه السلام وأقسام التسامح**) سلط فيه الباحث الأضواء على أقسام التسامح، والاستدلال على كل قسم بما ورد عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام ومنهجه في التسامح في كل أقسامه وأبعاده.

أما الفصل الخامس والأخير فقد عنونته بـ (**الحاجة إلى التسامح**) إذ يجب الاقتداء بأخلاقيات الإمام الحسين عليه السلام والتأسي به، باعتباره القدوة الحسنة، وبيان الحاجة الماسة في عصرنا للتسامح المذهبي والديني والفكري والسياسي حتى تنعم مجتمعاتنا الإسلامية بالأمن والأمان والاستقرار والسلام والتعايش.

وننهي هذه الدراسة بخاتمة عبارة عن نتائج وتوصيات الدراسة التي توصل إليها الباحث من خلال تناوله لقيمة وفضيلة التسامح.

الفصل الأول

مفهوم التسامح

- التسامح في اللغة.
- التسامح في الاصطلاح.
- التسامح في القرآن الكريم.
- التسامح في السنة الشريفة.
- في معنى التسامح.

التسامح في اللغة

من المهم لأي باحث يروم معرفة مفهوم التسامح أن يرجع أولاً إلى مفردات اللغة العربية كي يستطيع أن يحدد بدقة معنى التسامح، ويعرف إن كان لها جذر في اللغة أم لا.

ومن المفيد أن نستعرض أهم ما قاله علماء اللغة لتحرير مفهوم التسامح لغوياً بالرجوع إلى جذر مفردة التسامح... وإليكم أبرز ما ورد في كتب اللغة ومعاجمها:

قال الشيخ الطريحي في معجم البحرين: «سمح»: بفتح فسكون أي السهلة، والسماح بالفتح الجود، والسماحة مثله: وسمح به يسمح بفتحتين سموحاً وسماحاً وسماحة: أي جاد.

وفي الحديث: خياركم سمحاؤكم. وسمح لي: أعطاني، وقوم سمحاء جمع سميح ومساميح كأنه جمع مسماح - قاله الجوهري-. ومنه قول الشاعر: مساميح الفعال ذوو أناة.

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. وفي خبر عطا اسمح يُسمح لك؛ أي سهل يسهل عليك. وفي الخبر: السماح رباح، أي المساهلة في الأشياء ربح صاحبها.

وفي الحديث: السماحة البذل في العسر واليسر. وفي آخر السماحة إجابة السائل وبذل النائل. وفلان سمح الكفين نقي الطرفين. قوله سمح الكفين أي كريم. ونقي الطرفين فرجه ولسانه[1].

وقال الجوهري في الصحاح: «سمح»: السَماحُ والسَماحَةُ: الجود. وسَمَحَ به: أي جاء به. وسَمَحَ لي: أعطاني. وما كان سَمْحاً ولقد سَمُح بالضم، فهو سَمْحٌ، وقومٌ سُمَحاءُ، كأنه جمع سَميح. ومَساميحُ: كأنَّه جمع مِسْماح. وامرأة سَمْحَةٌ ونِسْوَةٌ سِماحٌ لا غير. والمُسامحة: المُساهلة. وتسامحوا: تساهلوا. وقولهم: أَسْمَحَتْ قَرُونَتُهُ، أي: ذَلَّتْ نفسُه وتابَعَتْ. وتَسْميحُ الرُمْح: تَثْقيفُه. والتَسْميحُ: السير السَهْلُ[2].

وجاء في مختار الصحاح في معنى «سمح»: السَّمَاحُ والسَّمَاحَةُ الجود، سَمَح به يسمح

١. معجم مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٦٤٣ - ٦٤٤، فصل السين: «سمح».

٢. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة - مصر، طبع عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٥٥٧ - ٥٥٨، حرف السين «سمح».

بالفتح فيهما سَمَاحاً وسَمَاحةً أي جاد، وسَمَحَ له أي أعطاه، وسَمُحَ من باب ظرف صار سَمْحاً بسكون الميم، وقوم سُمَحاءُ بوزن فقهاء، وامرأة سَمْحةٌ بسكون الميم، ونسوة سِمَاحٌ بالكسر، والمُسَامَحةُ المساهلة، وتَسامَحوا تساهلوا[1].

أما الفيروزآبادي فقد قال في معنى «سَمُحَ»: ككَرُمَ، سَماحاً وسَماحَةً وسُموحاً وسُموحَةً وسَمْحاً وسِماحاً، ككِتاب: جادَ، وكَرُمَ، كأَسْمَحَ، فهو سَمْحٌ، وتَصْغيرُهُ: سُمَيْحٌ وسُمَيِّحٌ.

وسُمحاءُ، ككُرَماءَ: كأَنَّهُ جَمْعُ سَمِيحٍ.

ومساميحُ: كأَنَّهُ جَمْعُ مِسْماحٍ.

ونِسْوَةٌ سِماحٌ، ليس غيرُ.

والسَّمْحَةُ: للواحِدَةِ، والقوسُ المُواتِيَةُ، والمِلَّةُ التي ما فيها ضِيقٌ. والتَّسْميحُ: السَّيْرُ السَّهْلُ، وتَثْقيفُ الرُّمْحِ، والسُّرْعَةُ، والهَرَبُ، والمُساهَلَةُ، كالمُسامَحَةِ. وككِتاب: بُيوتٌ من أدَمٍ، وإن فيه لَمَسْمَحاً، كَمَسْكَنٍ، أي: مُتَّسَعاً. وسَمْحَةُ: فَرَسُ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ. وسُمْحَةُ بنُ سعدٍ، وابنُ هِلالٍ: كِلاهُما بالضم. وسُمَيْحَةُ، كجُهَيْنَةَ: بِئْرٌ بالمدينةِ غَزيرَةٌ. وتسامَحوا: تَساهَلوا. وأَسْمَحَتْ قَرونَتُهُ: ذَلَّتْ نَفْسُهُ، والدَّابَّةُ: لانَتْ بعدَ اسْتِصْعابٍ. وعُودٌ سَمْحٌ: لا عُقْدَةَ فيه[2].

وفصل ابن منظور في لسان العرب: معنى «سمح»: السَّماحُ والسَّماحةُ الجُودُ، سَمُحَ سَماحَةً وسُمُوحة وسَماحاً جاد، ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، حكى الأَخيرة الفارسي عن أَحمد بن يحيى.

ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ: سَمْح، ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ، قال جرير:

غَلَبَ المَسامِيحَ الوَلِيدُ سَماحةً،
وكَفى قُرَيشَ المُعضِلاتِ، وَسادَها

١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ١٥٣.

٢. معجم القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص ٦٣٦، حرف السين «سمح».

وقال آخر:

في فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِّ مَسامِحٍ،

عندَ الفِضالِ نَديمُهم لم يَدْثُرِ

وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أَسْمِحُوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي، الإسماح لغة في السَّماح، يقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جاد وأَعطى عن كَرَم وسَخاء، وقيل: إنما يقال في السَّخاء سَمَح، وأَما أَسْمَح فإنما يقال في المتابعة والانقياد، ويقال أَسْمَحَتْ نَفْسُه إذا انقادت، والصحيح الأَول، وسَمَح لي فلان أَي أَعطاني، وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة. وأَسْمَح وسامَحَ: وافَقَني على المطلوب؛ أَنشد ثعلب:

لو كنتَ تُعْطِي حين تُسْأَلُ، سامَحَتْ

لك النَّفسُ، واحْلَولاكَ كلُّ خَليلِ

والمُسامَحة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا. وفي الحديث المشهور: السَّماحُ رَباحٌ أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها. وسَمَحَ وتَسَمَّحَ: فَعَلَ شيئاً فَسَهَّل فيه أَنشد ثعلب:

ولكنْ إذا ما جَلَّ خَطْبٌ فسامَحَتْ

به النفسُ يوماً، كان للكُرْه أَذْهَبا

ابن الأَعرابي سَمَح له. بحاجته وأَسْمَح أَي سَهَّل له. وفي الحديث: أَن ابن عباس سئل عن رجل شرب لبناً مَحْضاً أَيَتَوَضَّأُ؟ قال: اسْمَحْ يُسْمَحْ لك، قال شمر: قال الأَصمعي معناه سَهِّلْ يُسَهَّلْ لك وعليك؛ وأَنشد:

فلما تنازعْنا الحديثَ وأَسْمَحتْ

قال: أَسْمَحتْ أَسهلت وانقادت

أَبو عبيدة: اسْمَحْ يُسْمَحْ لك بالقَطْع والوصل جميعاً. وفي حديث عطاء: اسْمَحْ يُسْمَحْ بك.

وقولهم: الحَنِيفِيَّة السَّمْحة، ليس فيها ضيق ولا شدة. وما كان سَمْحاً، ولقد سَمُحَ، بالضم، سَماحة وجاد بما لديه. وأَسْمَحَت الدابة بعد استصعاب: لانت وانقادت.

ويقال: سَمَّحَ البعير بعد صُعوبته إذا ذلَّ، وأَسْمَحتْ قَرُونَتُه لذلك الأَمر إذا أَطاعت وانقادت.

ويقال: أَسْمَحَتْ قَرِينتُه إذا ذلَّ واستقام، وسَمَحَتِ الناقة إذا انقادت فأَسرعت، وأَسْمَحَتْ قَرُونَتُه وسامحت كذلك أَي ذلت نفسه وتابعت. ويقال: فلانٌ سَمِيحٌ لَمِيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ. والمُسامحة: المُساهَلة في الطِّعان والضِّراب والعَدْو قال:

وسامَحْتُ طَعْناً بالوَشِيجِ المُقَوَّم. وتقول العرب عليك بالحق فإن فيه لَمَسْمَحاً أَي مُتَّسَعاً، كما قالوا إن فيه لَمَندُوحةً؛ وقال ابن مُقْبل:

وإن لأَسْتَحْيِي وفي الحَقِّ مَسْمَحٌ

إذا جاءَ باغِي العُرْفِ أَن أَتَعَذَّرا

قال ابن الفرج حكايةً عن بعض الأَعراب قال: السِّباحُ والسِّماحُ بيوت من أَدَمٍ وأَنشد:

إذا كان المَسارِحُ كالسِّماحِ

وعُودٌ سَمْح بَيِّنُ السَّماحةِ

والسُّموحة: لا عُقْدَة فيه. ويقال: ساجةٌ سَمْحة إذا كان غِلَظُها مُسْتَوِيَ النَّبْتَةِ وطرفاها لا يفوتان وَسَطَه، ولا جميعَ ما بين طرفيه من نِبْتته، وإن اختلف طرفاه وتقاربا، فهو سَمْحٌ أَيضاً. قال الشافعي: وكلُّ ما استوت نِبتته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأَدَقَّ من طرفيه أَو أَحدهما، فهو من السَّمْح.

وتَسْمِيح الرُّمْحِ: تَثْقِيفُه. وقوس سَمْحَةٌ: ضِدُّ كَزَّةٍ، قال صخر الغَيّ:

وسَمْحة من قِسِيِّ زارَةَ حَمْ

راءَ هَتُوفٍ عِدادُها غَرِدُ

ورُمْحٌ مُسَمَّح: ثُقِّفَ حتى لانَ والتَّسْميح السُّرعة. وقيل: التَّسْمِيحُ السير السهل وقيل: سَمَّحَ هَرَب[1].

ومعنى سَمَحَ في المعجم الوسيط: سَمْحاً، وسَماحاً، وسَمَاحَة: لانَ وسهُلَ. ويقال: سمحَ العودُ: استوى وتجرَّد من العُقَد. وـ انقادَ بعد استصعاب. وـ فلانٌ: بَذَلَ في العُسْر واليُسْر عن كرَم وسَخاء. ويقال: سَمَح له بحاجة: يسَّرها له. «سَمُحَ» ـُ سَمَاحَةً، وسُمُوحةً:

١. لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٤٨٩ – ٤٩٠.

صار من أهل السَّماحة. فهو سَمْحٌ، وسَمِيح.

«أسْمَحَ»: سَمَحَ. ويقال: أسْمَحَتْ نفسُهُ: ذلَّتْ وأطاعَتْ وانقادَتْ. «سامَحَهُ» بكذا، وفيه: وافَقَهُ على مطلوبه. وبذنبه: عفَا عنهُ. ويقال في الدُّعاء: سامحك الله.

«سَمَّحَ»: سَمَحَ. وسار سيراً سهلاً. والشيءَ: جعله ليِّناً سهلاً. ويقال: سمَّح الرمح وغيره: ليَّنَه وثَقَّفَهُ. و- فلاناً: ساهَلَه.

«تَسَامَحَ» في كذا: تساهل. «تسَمَّحَ» فيه: تسامَحَ. و- تكلَّف السماحةَ.

«السَّماحُ»: التسامُحُ والتساهُل. ومنه: بيع السَّماح: وهو البيعُ بأقلَّ من الثَّمن المناسب.

«السَّماحَةُ»: الجود والكرم. و- السُّهُولة. «السَّمْحُ»: يقال: فلانٌ سَمْحٌ: جوادٌ سخيٌّ، وعودٌ سَمْحٌ: مُستوٍ لَيِّنٌ سهلٌ لا عُقَدَ فيه.

«السَّمْحَةُ»: مؤنَّثُ السَّمْح. يقال: شريعةٌ سَمْحَة: فيها يُسْرٌ وسهولةٌ. (ج) سِمَاح. «المِسْماحُ»: الكثيرُ السَّماح. (ج) مَساميح. «المَسْمَحُ»: ما فيه سهولةٌ ويُسرٌ. يقال: عليكَ بالحقِّ فإنَّ فيه مَسْمحاً: متَّسعاً ومندوحة عن الباطل. «المِسْمَحُ»: الكثير السَّماح. (ج) مَسامِح[1].

نستنتج مما تقدم من أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي لمفردة التسامح والتي تشير إلى اللين والتساهل في التعامل، والجود والكرم والسخاء والعطاء من غير عُقَدٍ أو تعقيد، وأن الباعث على ذلك هو العزة والرفعة والتسامي، ولا يعني التسامح أي نوع من أنواع الضعف والانهزام والذلة.

كما يفهم من أقوال اللغويين أنه لا فرق بين معنى التسامح والتساهل من حيث اللغة، وان المقصود منهما هو ذلك الخلق الرفيع والخلة المحمودة الممدوح صاحبها.

١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، غير مذكور سنة الطبعة ولا تاريخها، ص ٤٤٧.

التسامح في الاصطلاح

ظهر مفهوم التسامح في القرن ١٧-١٨م، لتفادي تداعيات الحروب والصراعات بين المذاهب والأديان والاتجاهات الفكرية والفلسفية المختلفة التي شهدتها أوروبا إبان القرون الوسطى. وأيضاً من أجل التوصل إلى صيغ مناسبة تضمن حقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير بشكل متساوٍ لجميع أفراد الشعب، وذلك بعد إقصاء سلطة الكنيسة وإنهاء دور رجل الدين في الحياة السياسية. وقد مر تشكيل المفهوم بمرحلتين، الأولى كانت تنتمي إلى الأصل اللغوي، بينما اكتسب المفهوم في المرحلة الثانية بعداً آخر.

ويراد بالتسامح اصطلاحاً: موقفاً إيجابياً متفهماً من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته [١].

وقد عرفت منظمة اليونسكو في إعلانها عن مبادئ التسامح في المادة الأولى منه معنى التسامح تعريفاً مفصلاً بأنه: يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد. وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً، والتسامح، هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب.

وإن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل بل التسامح هو قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالمياً. ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية. والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول.

وإن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون. وهو ينطوي على نبذ الدوغماتية والاستبدادية

١. التسامح ليس منة أو هبة، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٥٥.

ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

ولا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها. بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضاً أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير[1].

وقد عَرَّفه ابن رشد بأنه: احترام الحق في الاختلاف، وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه. ومنهم من عرفه بأنه استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته المعنوية ويعني: التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة، كما عرفه الجرجاني.

من هنا يتضح أن مفهوم التسامح يحمل مفهوماً أخلاقياً يدعو إلى العفو والصفح وتقبل الآخر وعدم إلغاء الآخرين رغم اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم مع التمسك بثوابت الدين الأساسية.

والتسامح مع الآخرين كما جاء في تفسير المنير يعني التخفيف إلى أقصى حدٍ ممكن من الهيمنة المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد.

وقد عرفت منظمة حقوق الإنسان التسامح في مصر بأنه: «حق العيش على نحو مختلف سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي، أو حق الاعتقاد، أو حق التنظيم، أو حق المشاركة السياسية في تولي المناصب العليا».

وإن احترام الحريات والأديان الأخرى يدل على تسامح المسلمين وتقبلهم للآخر، ومن هنا يتبين لنا أن مفهوم التسامح يدل على أسمى معاني الحب والعفو والجود وتقبل

١. موقع جامعة منيسوتا على النت http://www1.umn.edu/humanrts/arab/tolerance.html

الآخر من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية التي مرت[1].

ولأن التسامح يدخل في مجالات متعددة، فقد عَرَّف أتباع كل علم وفن التسامح بما يتناسب معهم، ففي المجال الاجتماعي يستعمل التسامح بمعنى السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهو لين في الطبع، في مظان تكثر في أمثالها الشدة. والسهولة واللين تارة تكون بالكلام، وتارة تكون بالسلوك. تكون بالكلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً**﴾[2].

وتكون السهولة واللين بالسلوك، مصداق قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[4].

وفي المجال الديني يستعمل التسامح بمعنى إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين من جهة الدين، وهذا المعنى في نظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، اصطلح عليه العلماء الباحثون عن الأديان من المتأخرين في أواخر القرن الماضي الهجري، أخذاً بالحديث النبوي «بعث بالحنيفيةِ السمحةِ»، وقد صار هذا اللفظ حقيقة عرفية في هذا المعنى.

وربما عبروا عن معناه سالفاً كما يضيف الشيخ ابن عاشور، بلفظ التساهل، وهو مرادف له في اللغة. ويرى ابن عاشور أن الاصطلاح الذي خص لفظ التسامح بمعنى السماحة الخاصة تجاه المخالفين في الدين كان حقيقياً بأن يترك مرادفه في أصل معناه، ولذلك هجروا لفظ التساهل، لأنه يؤذن بقلة تمسك المسلم بدينه، فتعين لفظ التسامح للتعبير عن هذا المعنى، وهو لفظ رشيق الدلالة على المعنى المقصود، ولا ينبغي استبداله بغيره.

وفي اصطلاحات المعاصرين كما جاء في كتاب: «المعجم الفلسفي»، فإن التسامح يأتي

١. التسامح في الإسلام، أحمد حميد عبود العلواني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، ص ٤٣ – ٤٤.

٢. سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

٣. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٤. سورة فصلت، الآية: ٣٤.

بمعنى أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه، وإن كانت مضادة لآرائك، وأن يحترم المرء آراء غيره، لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة. والتسامح كما يقول غوبلو، لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها، أو الدفاع عنها، أو التعصب لها بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آرائه؛ بالقوة والقسر والقدح والخداع.

والذي يفهم من تلك المعاني والاستعمالات، أن التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق، وتعبير عن موقف فكري من جهة، وموقف أخلاقي من جهة أخرى. موقف فكري يحدد طريقة التعامل من المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى العمل[1].

ولأن الناس بطبيعتهم يختلفون في كل شيء، وتتباين وجهات نظرهم في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية؛ فهم بحاجة إلى التسامح كقيمة أخلاقية وإنسانية، وكحل عقلاني لإيجاد الصيغ المناسبة للتعايش فيما بينهم، واحترام بعضهم للبعض الآخر، بعيداً عن روح التعصب والصدام والاحتراب، أو الإقصاء والعنف ضد الرأي الآخر.

وقد تبلور مفهوم التسامح كمصطلح حديث في الغرب نتيجة للخلافات الحادة التي كانت قائمة بين الكنيسة ورجال العلم والفكر، والحروب التي كانت قائمة بين أتباع المذاهب المسيحية مما دعا فلاسفة الغرب ومفكريهم للدعوة إلى التسامح كحل عقلاني لمشكلة الصدام والاختلاف الحاد التي كانت واقعة في داخل السلطة الدينية في الغرب، ثم تطور مفهوم التسامح ليتحول إلى أحد الأسس المهمة في النظرية الليبرالية.

وبعيداً عن هذا التطور التاريخي لمفهوم التسامح في البيئة الغربية، فإن مقتضيات التسامح ومستلزماته موجودة في أصول الإسلام وأخلاقه.

ففي الأخلاق الإسلامية سنجد الكثير من النصوص الدينية التي تشير إلى مفردات

١. الإسلام والإصلاح الثقافي، زكي الميلاد، دار أطياف، القطيف – السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص١٤٣ – ١٤٥.

العفو والصفح والصبر والمداراة والمجاملة والسماحة والإحسان والرأفة والشفقة، وهذه المفردات الأخلاقية والإنسانية تتقارب في مضمونها مع مصطلح التسامح.

فللتسامح جذوره الراسخة سواء في اللغة العربية، أم في القيم الأخلاقية والإنسانية والتربوية والفكرية للإسلام.

فما نقصده من التسامح هو حق الآخر بالاختلاف والتعايش معه، من دون قطيعة أو جفاء أو صِدَام أو عداوة؛ ولا يعني التسامح التنازل عن المعتقدات أو القناعات الفكرية أو المساومة حولها، وإنما يعني التعايش مع الآخر، والتعامل معه بإنسانية وعدالة وإنصاف بغض النظر عن صحة أفكاره وخطئها.

ومجتمعنا اليوم أحوج ما يكون إلى التسامح بين مكوناته الدينية والمذهبية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتعزيز مفهوم التعايش بعيداً عن خطاب الكراهية والإقصاء والعداوة، وإحلال المحبة والأخوة والتقارب والتآلف بدلاً عن ذلك.

وسنبين من خلال هذه الدراسة عن سيرة الإمام الحسين ﷺ الأخلاقية والإنسانية، والتي تظهر فيها بشكل واضح مساحة التسامح التي كان يتميز بها الإمام ﷺ حتى مع أعدائه فضلاً عن محبيه ومريديه.

وفي الاقتداء بسيرته المباركة ما ينير للمجتمعات الإسلامية الطريق نحو تعزيز الرحمة والعفو والرفق والصفح بين مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية.

التسامح في القرآن الكريم

بالرغم من أن كلمة التسامح لم ترد بلفظها في القرآن الكريم، لكن يوجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات الشريفة التي يستفاد من معانيها نفس معنى التسامح.

والقارئ المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات الشريفة التي تدعو إلى الرفق واللين والصفح والعفو والسلم واحترام حقوق الآخر حتى وإن كان كافراً.

فمن آيات الرفق واللين قوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[1].

ومن آيات العفو قوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾[2].

ومن آيات السلم قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[3].

ومن آيات الصفح قوله تعالى: ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

ومن آيات نفي العسر والحرج قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[6].

ومن آيات عدم التكليف بغير المقدور قوله تعالى: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[7].

ومن آيات المغفرة ورفع العتب واللوم عن المخطئين قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾[8].

ومن آيات نفي الإكراه والقسر على اعتناق الدين قوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين** ﴾[9] إذ

١. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
٢. سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
٣. سورة الأنفال، الآية: ٦١.
٤. سورة الزخرف، الآية:.٨٩.
٥. سورة الحج، الآية: ٧٨.
٦. سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
٧. سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
٨. سورة يوسف، الآية: ٩٢.
٩. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

أن الأمور والمسائل الاعتقادية تحتاج إلى قناعة قلبية، ولا أثر للإكراه أو الضغط على القلب، وقد حفظ الإسلام حقوق أهل الذمة في بلاد المسلمين التي تكفل الإسلام بحفظها لهم.

وفي آية أخرى يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى عدم سب الكافرين حتى لا يتجرؤوا على سب الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾[1].

هذه الآيات الشريفة كلها تدعو إلى العفو والصفح والتسامح والجنوح إلى السلم والسلام، وبالمفهوم -حسب مصطلح المناطقة- فإنها تدعو إلى اللاعنف سواء تجاه الذات أو الآخر المخالف ولو كان من خارج الدائرة الإسلامية.

لقد انتشر الإسلام بمنهج الأخلاق الراقية، وبمفردات التسامح والتراحم والمحبة، واحترام الحقوق المعنوية والمادية حتى للمخالفين من الديانات الأخرى.

ويحث القرآن الكريم على البر والقسط والإحسان إلى الآخر الديني، والتواصل معه، يقول تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[2].

ودعا القرآن الحكيم أهل الكتاب إلى الحوار والبحث عن المشترك للوصول إلى كلمة سواء، يقول تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾[3].

ويأمرنا القرآن الكريم بالجدال بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[4].

هذه الآيات القرآنية تشير بمعانيها ومداليلها إلى رؤية القرآن الكريم إلى قيمة التسامح كي يربي الأمة أفراداً وجماعات ومجتمعات على قيم ومبادئ العفو والصفح واللين والرحمة والرفق والإحسان والعدل والإنصاف؛ بما ينمي من روح ونهج التسامح في بناء المجتمعات الإنسانية.

١. سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
٢. سورة الممتحنة، الآية: ٨.
٣. سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
٤. سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

التسامح في السنة الشريفة

ورد في السنة الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت الأطهار العديد من الروايات والأخبار التي تشير إلى معاني ودلالات ومفردات مفهوم التسامح.

وقد نصّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على أن بعثته ترتكز على الحنيفية السمحة، ففي الحديث: «ما بعثت بالرهبانية الشاقة ولكن بالحنيفية السمحة». أي السهلة التي لا ضيق فيها ولا حرج[1].

وفي الحديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خياركم سمحاؤكم»[2].

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته له قال: «يا أبا ذر، إن الله بعث عيسى بن مريم بالرهبانية وبعثت بالحنيفية السمحة»[3].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «بعثت بالحنيفية السمحة»[4].

وورد هذا الحديث أيضاً مع إضافة السهلة البيضاء، فقد جاء في الحديث النبوي المشهور: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة البيضاء»[5] والحنفية هي المائلة من طرفي التفريط والإفراط إلى الوسط والسهلة تفسير للسمحة وهي عبارة عن التيسير الذي في الأمة المرحومة المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[6] وبقوله: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[7] والبيضاء عبارة عن وضوحها في الحقية[8].

١. معجم مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٦٤٣ - ٦٤٤، فصل السين: «سمح».

٢. الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٩٦، رقم ٤٢.

٣. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٨، ص ١١٦، رقم ١٠٢٠٨.

٤. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن جمهور الأحسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٨١، رقم ٣. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٨٦، رقم ٣١٥٠. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٧٨، رقم ٩٠٠.

٥. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ج ٧، ص ٣٩.

٦. سورة الحج، الآية: ٧٨.

٧. سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

٨. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث

وهذا يعني أن الحنفية هو اتباع الوسطية الحقة والميلان نحو الدين الحق والالتزام بأحكام الله تعالى بعيداً عن التساهل في تطبيق الأحكام أو التشدد والتنطع في الدين.

وهذا هو المقصود بأن الدين الإسلامي هو دين السماحة والرحمة واليسر، وأن أحكام الإسلام وقيمه كلها تؤدي إلى هذا المنهج والمسلك الذي فيه الرحمة واليسر، ولا يعني ذلك عدم الالتزام بأحكام الإسلام، أو التقصير في تطبيق التشريعات الإسلامية، أو تجاوزها.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ الدعوة إلى اليسر وعدم التشدد، فقد قال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا»[1] وقوله ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»[2]. وقوله ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[3].

وحث رسول الله ﷺ على التسامح في كل الأحوال والأمور، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا، إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[4].

فعلى الإنسان المسلم أن يكون متسامحاً مع جميع الناس، وفي جميع الأحوال والأوقات والأزمان، وأن يتخلق بهذا الخُلُق الرفيع الذي حثنا عليه رسول الله ﷺ وأمرنا أن نتحلى بأحسن الأخلاق وأرفعها.

شواهد من السيرة النبوية

لم يكتفِ رسول الله ﷺ بالدعوة إلى التسامح واليسر والتساهل واللين والتعامل الحسن في المعاملة والمعاشرة والسلوك؛ بل جَسَّد ذلك بنفسه ﷺ عملياً في سيرته المباركة؛ إذ نقل مؤرخو السيرة النبوية الكثير من الشواهد والقصص والأمثلة الرائعة التي تدل على تسامح

العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ج ٧، ص ٣٩.

١. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن جمهور الأحسائي، دار التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٨١، رقم ٤. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، ص ٢٤، رقم ٣٩.

٢. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن جمهور الأحسائي، دار التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٨١، رقم ٣٥. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، ص ٣٢، رقم ٦٩. صحيح مسلم، المكتبة العصرية، ص ٦٦٩، رقم ١٧٣٢.

٣. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص ٢٤. (باب الدين يسر).

٤. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، ص ٣٥٤-٣٥٥، رقم ٢٠٧٦.

رسول الله ﷺ ورحمته وعطفه وشفقته وعفوه وتواضعه مع الناس؛ وإليكم بعض الشواهد التي تدل على ذلك:

١- التسامح مع من أساء إليه:

من أروع المواقف الإنسانية الذي سجله التاريخ لنا، هو تعامل النبي ﷺ مع أهل مكة الذين أذاقوه - مختلف صنوف الأذى - والاضطهاد، ومع ذلك عندما استطاع المسلمون بقيادته ﷺ فتح مكة والانتصار على الأعداء عفا رسول الإنسانية ﷺ عن كل أهل مكة حتى الذين حاولوا قتله أو قتلوا أعز أصحابه وأهل بيته.

إذ لما فتح رسول الله ﷺ مكة قال مخاطباً أهلها:

ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[١].

وفي رواية أخرى: «قال فاني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام: ﴿ **قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾[٢]»[٣].

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة بعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمته ومعه راية، فسعى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ وأخذ غرزه فقبله وقال: بأبي أنت وأمي، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة

اليوم تسبى الحرمة

فقال النبي ﷺ لعلي:

أدركه فخذ الراية وكن أنت الذي يدخل بها وأدخلها إدخالاً رفيقاً، فأخذها علي عليه السلام

١. السيرة النبوية، ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، غير مذكور عدد الطبعة، ج ٤، ص ٤٧.

٢. سورة يوسف، الآية: ٩٢.

٣. جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي، دار الأولياء، بيروت - لبنان، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها، ج ١٠، ص ١٠٣، رقم ٢٤٩.

وأدخلها كما أمره النبي ﷺ وهو يقول:

اليوم يوم المرحمة[1].

٢- التسامح مع الفقراء والضعفاء:

تتجلى رحمة رسول الله ﷺ في مواقفه النبيلة والعطوفة مع الفقراء والضعفاء الذين كان بعضهم لا يحسن التعامل مع الرسول الأعظم ﷺ بالأدب واللباقة، فكانوا يتلفظون بأغلظ الكلام، ولا يتعاملون مع مقام الرسول ﷺ كما يجب من الاحترام والتقدير، ومن هذه القصص:

ما ذكره قطب الدين الراوندي: أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله، أعطني كذا وكذا، لست تُعطيني مِن مال أبيك وأمك، وأغلظ في الكلام!

فقال ﷺ: هو كما تقول، كرره عليَّ يا أعرابيّ، كذلك لا أعطيك من مالي ومال أبويّ، ثم أعطاه[2].

وقصة أخرى: إن أعرابياً جاءه ﷺ يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أحسنت إليك، قال الأعرابي لا ولا أجملت!، فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا.

ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه ﷺ وزاده شيئاً، ثم قال: أحسنت إليك؟

قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال له النبي ﷺ: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما في صدورهم عليك.

قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى، أكذلك؟

قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبي ﷺ: مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢١، ص ١٠٥.

٢. مكارم أخلاق النبي والأئمة، الراوندي: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء- العراق، طبع عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص٧٣.

يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار[1].

وهكذا كان رسول الله ﷺ كثير التسامح، ودائم الرحمة والشفقة والحلم مع من كان يسيء إليه من الأعراب والفقراء والضعفاء وغيرهم، وبذلك استطاع أن يكسب حتى أصحاب القلوب القاسية في تعاملها مع الآخرين. فعلينا أن نتعلم من نبينا ﷺ الرحمة والعطف والحلم وكظم الغيظ حتى لمن يسيء إلينا، أو يخطئ بحقنا.

٣- التسامح مع الأعداء:

لم يقتصر تسامح رسول الله ﷺ مع أصحابه وأهله وعشيرته، وإنما امتد تسامحه حتى لأعدائه، فقد روي أنه لما كسرت رباعيته ﷺ - وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم؟

فقال: «إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[2].

إن رسول الله ﷺ يرفض استخدام حتى وسيلة الدعاء على الكفار والمشركين، -لأن هدفه كان هدايتهم إلى الحق وليس القضاء عليهم، فالذين أسلموا كانوا قبل ذلك من الكفار- والمشركين.

ومن صور تسامحه ﷺ بأعدائه أيضاً أنه كان يوصي أصحابه بالالتزام بأخلاقيات الحرب والتحلي بالرحمة والعطف على الشيوخ والنساء والأطفال.

فقد روى أبو حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: «سيروا بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ١٢٣.

٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ١٠٥.

امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه»[1].

في هذا الحديث الشريف نرى أن النبي ﷺ يوضح لأصحابه ضرورة الالتزام بأخلاقيات الحرب، وعدم جواز استخدام الوسائل والأساليب غير الأخلاقية، من قبيل التمثيل بالقتلى، وقتل الشيوخ والأطفال والنساء، بل ينهى حتى عن قطع الشجر إلا في حال الضرورة القصوى.

٤- التسامح تجاه الزوجة:

اتصف رسول الله ﷺ بالتسامح والرفق والرحمة والرقة واللين في تعامله مع كافة الناس، وكذلك كان في تعامله مع أزواجه وأهل بيته، فعن أنس بن مالك قال: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»[2].

ويحدثنا التاريخ أن الرسول الأعظم ﷺ لم يضرب يوماً ما زوجة من زوجاته، أو يسيئ إلى إحداهن، مع أن بعضهن قد أخطأن في حقه، وربما تجاوزن حدود الأدب والرصانة واللياقة، ومع ذلك كان يعفو ويصفح، وربما ابتسم، أو لم يجب بشيء!

وقد حث الرسول الأعظم ﷺ على الرفق بالعيال، فقد روي عنه أنه قال: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق»[3].

وقد كان الرسول الأعظم ﷺ يداري أزواجه حتى لا يغضبهنّ، ويطلب مرضاتهن، وذلك - من باب الرفق والشفقة بهن، حتى عاتب الله تعالى نساء النبي في سورة التحريم على ما صدر من بعضهن من تصرف غير لائق، فقد روى البخاري في صحيحه، وكذلك

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة أهل البيت، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج ١٩، ص ١٧٧، رقم ٢١.

٢. صحيح مسلم، القشيري النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٨٨٤، رقم ٦٠٢٦، باب (رحمته - بالصبيان والعيال).

٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة، ج٣، ص٥٢، رقم ٥٤٥٠.

مسلم في صحيحه. عن أبي جريح قال: زعم عطاء: أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة: أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة: أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، قال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له».

فنزلت: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ** ﴾[1] لعائشة وحفصة ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً** ﴾ لقوله «بل شربت عسلاً»[2].

والشاهد في هذه القصة هو امتناع الرسول الأعظم ﷺ عن أكل العسل رفقاً ومداراة بزوجاته حتى وإن كانوا غير موفقين في تصرفهم مع الرسول الأعظم ﷺ، فالرسول من باب المداراة والمجاملة أراد أن يُحسن لأزواجه حتى وإن كانوا على خطأ كما هو واضح بما ورد في سورة التحريم.

٥- التسامح مع الأطفال:

يحتاج الطفل إلى الحب والعطف والحنان من والديه كما يحتاج إلى الطعام والشراب، فالغذاء العاطفي (الحب والعطف والحنان) ضروري جداً لبناء شخصية سوية غير مضطربة ولا قلقة؛ فالطفل الذي يتلقى الحب والعطف والحنان يشعر براحة نفسية وتكامل في الشخصية، في حين أن من يفقد الحب والعطف يصاب بعقد نفسية شديدة التعقيد.

١. سورة التحريم، الآيات: ١-٤.

٢. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٩٦٧، رقم ٥٢٦٧، وصحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٥٤٤، رقم ٣٦٧٨ ورقم ٣٦٧٩.

فقد قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الصبيان وارحموهم»[1] وعنه ﷺ أيضاً قال: «من قبّل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة»[2].

وروي أن رسول الله ﷺ لما قبل الحسن والحسين عليهما السلام فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم.

قال رسول الله: ما عليَّ إن نزع الله الرحمة منك![3].

وروي: كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين فقال عيينة -وفي رواية غيره: الأقرع بن حابس-: إن لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط، فقال ﷺ: من لا يرحم لا يرحم. وفي رواية حفص الفراء: فغضب رسول الله ﷺ حتى التمع لونه وقال للرجل: «إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك! من لم يرحم صغيرنا ولم يعزز كبيرنا فليس منا»[4].

ويعلمنا النبي ﷺ أيضاً أهمية الرحمة والعطف والشفقة على حياة الأطفال ونفسياتهم، فقد روى الليث بن سعد: أن النبي كان يصلي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه وكان النبي إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه وقال: حل حل، وإذا أراد رسول الله أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي من صلاته.

فقال يهودي: يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن.

فقال النبي: أما لو كنتم تؤمنون بالله وبرسوله لرحمتم الصبيان.

قال: فاني أؤمن بالله وبرسوله، فأسلم لما رأى كرمه من عظم قدره[5].

ومن تسامح النبي ﷺ وعطفه على الأطفال ورحمته بهم أنه كان ﷺ يؤتى إليه بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة، أو يسميه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بال

١. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي: محمد بن الحسن (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢١، ص ٤٨٣، رقم ٢٧٦٥٠.

٢. الوسائل، الحر العاملي، ج ٢١، ص ٤٧٥، رقم ٢٧٦٢٣.

٣. بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٩٢، رقم ١٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨٢.

٥. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٩٦، رقم ٥٧.

الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين يبول فيقول ﷺ: لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده[1].

وهذا يدل على أهمية توفير الحب والعطف والحنان للأطفال، إذ إن لذلك أثراً بالغاً في تكامل شخصية الطفل، وفي زيادة الثقة بالنفس، وفي تفتح القدرات العقلية ونموها، وفي خلق التوازن في نفسية الطفل، واستقرار الحالة النفسية لديه.

٦- التسامح مع جيل الشباب:

تعامل الرسول الأكرم ﷺ برفق ورحمة وتسامح ولين مع الشباب، وهذا مما زاد في إعجاب الشباب به ﷺ ، والتفافهم حوله، وقد مدح القرآن الكريم تعامل النبي ﷺ مع الناس باللين والرفق، يقول تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[2].

وقد كان النبي ﷺ يحث على الرفق، فقد روي عنه ﷺ قوله: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»[3] وعنه ﷺ أيضاً: «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»[4].

والمطلع على سيرة النبي ﷺ يجد الكثير من الأمثلة والشواهد التي تدل على تسامحه ورحمته ورفقه بالشباب، نذكر من ذلك ما يلي:

١- عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[5].

---

١. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٤٠.

٢. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٣. الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ج ٥، ص ٢٦٠، رقم ٢٣٥٢.

٤. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٢٦٠، رقم ٢٣٥٣.

٥. مكارم الأخلاق، الطبرسي: أبو نصر الحسن بن الفضل، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، الطبعة السادسة

٢- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حدث الحديث أو سئل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه[١].

٣- روى زيد بن ثابت قال: كنا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا في حديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكل هذا أُحدثكم عن رسول الله ﷺ[٢].

٤- عن أبي الحميساء قال: تابعت النبي ﷺ قبل أن يبعث فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد فأتيته اليوم الثالث، فقال ﷺ: يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيام[٣].

٥- عن جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبي ﷺ فأخذ ثوبه فلفه ورمى به إليه وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير فوضعه على وجهه وقبله[٤].

٦- عن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها إليّ، ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكراماً له إلا غفر الله له[٥].

تكشف لنا هذه النماذج من سيرة النبي ﷺ أسلوب التسامح والرحمة والرفق والعطف واللين الذي كان يتبعه رسول الله ﷺ مع الشباب، وتعامله معهم بكل لطف وليونة، وهذا من أسباب نجاح الدعوة، واستقطاب الشباب لرسالة الإسلام. وهذا ما يجب أن يتصف به الدعاة والقادة والعلماء إذا ما أرادوا استقطاب الشباب، والتأثير فيهم، وكسبهم نحو التدين، ومنهج الإسلام الأصيل.

وهكذا نجد أن سيرة النبي ﷺ المباركة وأقواله ووصاياه وتعاليمه تؤكد كلها على وجوب التسامح في جميع صوره وأشكاله الإيجابية، والابتعاد عن القسوة والشدة والغلظة

١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ١٩.

١. مكارم الأخلاق، ص ٢٠.

٢. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

٣. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

٤. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

٥. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

والعنف، فبالتسامح نبني المجتمع بناء متماسكاً وقوياً وثابتاً، أما أسلوب الشدة والقسوة والعنف فلا يصنع مجتمعاً متماسكاً ومنسجماً؛ بل يؤدي إلى صناعة الكراهية والبغضاء والأحقاد، وهو ما ينتهي بالمجتمع إلى تفككه وانهياره وسقوطه.

في معنى التسامح

نستطيع أن نعرف معنى التسامح الديني بأنه تفهم ما لدى غير المسلمين من معتقدات وآراء، وضمان كافة حقوقهم المشروعة، والتعامل معهم بسماحة ورفق ولين، والتواصل معهم والبر بهم والإحسان إليهم.

وأن التسامح الاجتماعي هو التعامل الأخلاقي الراقي مع مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، والسهولة في المعاشرة والاتصال، ولين المعاملة في القول والفعل والسلوك.

والتسامح بهذا المعنى لا يمكن الاستشكال عليه كما فعل بعض الكُتَّاب من طرح بعض الإشكالات على مفهوم التسامح عند الغرب الناتج من النظرية الليبرالية، فنحن نتحدث عن التسامح بإيحاءاته الإيجابية، ودلالاته اللغوية العربية، وفي السيرة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار تتضح المعاني الإيجابية للتسامح.

فعندما نتحدث عن التسامح إنما نتحدث عن الحقوق المشروعة للمسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وحقوق غير المسلمين التي أَقَرَّها الإسلام ودعا للالتزام بها.

والتسامح يعني أيضاً -فيما يعنيه- التعامل الإنساني والأخلاقي الراقي، فسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله مدرسة في الأخلاق والآداب الرفيعة، وسيرة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام امتداد لتلك المدرسة الأخلاقية الراقية، ومن ضمنهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي كان مثالاً بارزاً للشخصية الأخلاقية التي تفصح عن معاني ودلالات التسامح بكل صوره وأشكاله.... وهذا ما تتضمنه هذه الدراسة عن التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام، وسنثبت من خلال سيرته الأخلاقية والإنسانية تمسكه بنهج وروح التسامح حتى في أحلك الظروف وأصعبها فضلاً عن الظروف الطبيعية، حيث كان الصفح والعفو والرحمة والرفق واللين والشفقة هي عنوان سيرته الأخلاقية والإنسانية حتى مع خصومه وأعدائه فضلاً عن عامة الناس.

الفصل الثاني

قواعد التسامح في الإسلام

- لا إكراه في الدين وحقيقة التسامح.
- قاعدة الإلزام وقبول الآخر.
- أخلاقيات الإسلام وقيم التسامح.
- الإسلام دين العقل والسماحة.

لا إكراه في الدين وحقيقة التسامح

إن أول قاعدة يمكن الاستدلال بها على حقيقة التسامح في الإسلام هي القاعدة القرآنية التي تنص على ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[1] بمعنى أنه لا يكره أحد على الدين، وإنما الدخول في الدين يكون عن قناعة واختيار، كما أن جميع الأمور يجب أن تكون عن اختيار وقصد، وأن ما يكره عليه الإنسان من أقوال أو أفعال لا يترتب عليه أي أثر في نظر الشرع لا في أمور الدنيا ولا في الآخرة.

والدين بما يشمل من عقائد ومفاهيم من الأمور القلبية التي لا يمكن أن تتم إلا بالاقتناع والاختيار، ولا يمكن فرض أية عقيدة أو مذهب على الآخرين بالقوة والإكراه إطلاقاً؛ لأن القوة لا تؤثر في عالم القلب، وإنما تأثيرها منحصر في حدود الجسد.

وقد أوضح القرآن الحكيم (حق المعتقد) للإنسان في قوله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[2].

يقول العلامة (الطباطبائي) في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «إن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً، أو تولّد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً، فقوله: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين أنتج حكماً دينياً ينفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكماً إنشائياً تشريعياً كما يشهد به ما عقبه تعالى من قوله: ﴿ **قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كُرهاً، وهو نهي مُتّكِئ على حقيقة تكوينية، وهي التي مرّ بيانه أن الإكراه إنما يعمل ويؤثر في مرحلة الأفعال البدنية دون الاعتقادات القلبية»[3].

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٣. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ج٢، ص٣٤٢.

والحق -كما يقول السيد الخوئي- أن المراد بالإكراه في الآية ما يقابل الاختيار، وأن الجملة خبرية لا إنشائية، والمراد من الآية الكريمة هو بيان ما تكرر ذكره في الآيات القرآنية كثيراً، من أن الشريعة الإلهية غير مبتنية على الجبر، لا في أصولها ولا في فروعها، وإنما مقتضى الحكمة إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإيضاح الأحكام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾[1].

وحاصل معنى الآية أن الله تعالى لا يجبر أحداً من خلقه على إيمان ولا طاعة، ولكنه يوضح الحق، يبينه من الغي، وقد فعل ذلك، فمن آمن بالحق فقد آمن به عن اختيار، ومن اتبع الغي فقد اتبعه عن اختيار والله سبحانه وإن كان قادراً على أن يهدي البشر جميعاً - ولو شاء لفعل - لكن الحكمة اقتضت لهم أن يكونوا غير مجبورين على أعمالهم، بعد إيضاح الحق لهم وتمييزه عن الباطل[2].

ويشير المفسر فخر الدين الرازي في المسألة الثانية في تفسيره للآية المباركة إلى نفس المعنى قائلاً: أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعذر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ **فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾[3] وقال في سورة أخرى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[4] وقال في سورة الشعراء: ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً**

١. سورة الإنسان، الآية: ٣.

٢. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص٣٠٩.

٣. سورة الكهف، الآية: ٢٩.

٤. سورة يونس، الآية: ٩٩.

﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[1].

ومما يؤكد هذا القول إنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[2] يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البينات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف[3].

وعندما نرجع إلى سبب نزول الآية: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[4] نجد عدم جواز الإكراه على الدين، وإنما يجب الاختيار الحر بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى طريق الهداية وطريق الضلال ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ وهو مسؤول يوم القيامة عن نوع اختياره.

يقول الطبرسي في مجمع البيان في سبب نزول هذه الآية: كان لرجل من المدينة اسمه (أبو الحصين) ولدان دعاهما إلى اعتناق المسيحية بعض التجار الذين كانوا يفدون على المدينة، فتأثر هذان بما سمعا واعتنقا المسيحية، ورحلا مع أولئك التجار إلى الشام عند عودتهم. فأزعج ذلك أبو الحصين، وأقبل يخبر رسول الله ﷺ بما حدث، وطلب منه أن يعمل على إعادة ولديه إلى الإسلام، وسأله إن كان يجوز إجبارهما على الرجوع إلى الإسلام، فنزلت الآية المذكورة[5].

وجاء في تفسير المنار أن (أبا الحصين) كان يريد إكراه ولديه على الرجوع إلى أحضان الإسلام، فجاءا مع أبيهما لعرض الأمر على رسول الله ﷺ، فقال أبو الحصين: كيف أجيز لنفسي أن أنظر إلى ولدي يدخلان النار دون أن أفعل شيئاً؟ فنزلت الآية[6].

ولما كان الدين يهتم بروح الإنسان وفكره ومبني على أساس من الإيمان واليقين، فليس

١. سورة الشعراء، الآيتان: ٣ – ٤.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٣. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، ج ٤، ص ١٣ – ١٤.

٤. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ج٢، ص٦٣٠، (بتصرف).

٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ج٢، ص١٨١.

له إلا طريق المنطق والاستدلال وجملة: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ في الواقع إشارة إلى هذا المعنى، مضافاً إلى أن المستفاد من شأن نزول هذه الآية وأن بعض الجهلاء طلبوا من رسول الله ﷺ أن يقوم بتغيير عقائد الناس بالإكراه والجبر فجاءت الآية جواباً لهؤلاء وأن الدين ليس من الأمور التي تفرض بالإكراه والإجبار وخاصة مع كل تلك الدلائل الواضحة والمعجزات البينة التي أوضحت طريق الحق من طريق الباطل، فلا حاجة لأمثال هذه الأمور.

وهذه الآية رد حاسم على الذين يتهمون الإسلام بأنه توسل أحياناً بالقوة وبحد السيف والقدرة العسكرية في تقدمه وانتشاره، وعندما نرى أن الإسلام لم يسوغ التوسل بالقوة والإكراه في حمل الوالد لولده على تغيير عقيدته الدينية فإن واجب الآخرين بهذا الشأن يكون واضحاً، إذ لو كان حمل الناس على تغيير أديانهم بالقوة والإكراه جائزاً في الإسلام، لكان الأولى أن يجيز للأب ذلك لحمل ابنه على تغيير دينه، وهذا ما لم يحصل[1].

فلا يمكن فرض الإسلام فرضاً على الناس لسببين:

١- بعد كل تلك الأدلة والبراهين الواضحة والاستدلالات المنطقية والمعجزات الجلية لم تكن ثمة حاجة لذلك، إنما يستخدم القوة من أعوزه المنطق والحجة، والدين الإلهي ذو منطق متين وحجة قوية.

٢- أن الدين القائم على أساس مجموعة من العقائد القلبية لا يمكن أن يفرض بالإكراه. إن عوامل القوة والسيف والقدرة العسكرية يمكنها أن تؤثر في الأجسام، لا في الأفكار والمعتقدات.

يتضح مما تقدم الرد على الإعلام الصليبي -المسموم ضد الإسلام- القائل (إن الإسلام انتشر بالسيف)، إذ لا قول أبلغ ولا أفصح من ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ الذي أعلنه القرآن.

هؤلاء الحاقدون يتناسون هذا الإعلان القرآني الصريح، ويحاولون من خلال تحريف مفهوم الجهاد وأحداث الحروب الإسلامية أن يثبتوا مقولتهم، بينما يتضح بجلاء لكل

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج٢، ص١٨١ – ١٨٢.

منصف أن الحروب التي خاضها الإسلام كانت إما دفاعية، وإما تحريرية، ولم يكن هدف هذه الحروب السيطرة والتوسع، بل الدفاع عن النفس، أو إنقاذ الفئة المستضعفة الرازحة تحت سيطرة طواغيت الأرض وتحريرها من ربقة العبودية لتستنشق عبير الحرية وتختار بنفسها الطريق الذي ترتئيه.

والشاهد الحي على هذا هو ما تكرر حدوثه في التاريخ الإسلامي، فقد كان المسلمون إذا افتتحوا بلداً تركوا أتباع الأديان الأخرى أحراراً كالمسلمين.

أما الضريبة الصغيرة التي كانوا يتقاضونها منهم باسم الجزية، فقد كانت ثمناً للحفاظ على أمنهم، ولتغطية ما تتطلبه هذه المحافظة من نفقات، وبذلك كانت أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مصونة في حمى الإسلام. كما أنهم كانوا أحراراً في أداء طقوسهم الدينية الخاصة بهم.

جميع الذين يطالعون التاريخ الإسلامي يعرفون هذه الحقيقة، بل إن المسيحيين الذين كتبوا في الإسلام يعترفون بهذا أيضاً. يقول مؤلف (حضارة الإسلام أو العرب): «كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إن رؤساء تلك الجماعات كان مسموحاً لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة».

وقد جاء في بعض كتب التاريخ أن جمعاً من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول الله صلى الله عليه وآله للتحقيق والاستفسار أقاموا قداساً في مسجد النبي في المدينة بكل حرية[1].

ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، والمراد نفي أسباب الإكراه في حُكم الإسلام، أي لا تكرهوا أحداً على اتباع الإسلام قسراً، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصاً. وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار[2].

إن الطريق الصحيح والمشروع هو محاولة إقناع الآخرين والتأثير على نفوسهم باتجاه الدين، ولكن البعض قد يستخدم القوة والضعف لفرض الدين أو المذهب الذي يؤمن به

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج٢، ص١٨٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج٢، ص٤٩٩.

على الآخرين، وهذا ناتج عن الجهل أو روح التسلط والظلم.

فمن يفرض دينه على الناس بالقوة والقهر إنما يعترف بفشل عقيدته وعجزها عن استقطاب الناس واقناعهم، أو أنه يستغل الدين كستار وغطاء لعدوانه وتسلطه على الناس[1].

وقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام: أنَّ المُسلِمينَ قالوا لِرَسولِ اللهِ صلّى الله عليه و آله: لَو أكرَهتَ يا رَسولَ اللهِ مَن قَدَرتَ عَلَيهِ مِنَ النّاسِ عَلَى الإِسلامِ لَكَثُرَ عَدَدُنا وقَوينا عَلى عَدُوِّنا.

فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وَ آله: ما كُنتُ لِأَلقَى اللهَ عز و جل بِبِدعَةٍ لَم يُحدِث إِلَيَّ فيها شَيئاً، وما أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفينَ.

فَأَنزَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى: يا مُحَمَّدُ! {وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً}[2] عَلى سَبيلِ الإِلجاءِ وَالاضطِرارِ في الدُّنيا كَما يُؤمِنونَ عِندَ المُعايَنَةِ ورُؤيَةِ البَأسِ في الآخِرَةِ، ولَو فَعَلتُ ذلكَ بِهِم لَم يَستَحِقّوا مِنّي ثَواباً ولا مَدحاً، لكِنّي اريدُ مِنهُم أن يُؤمِنوا مُختارينَ غَيرَ مُضطَرّينَ لِيَستَحِقّوا مِنّي الزُّلفى[3] وَالكَرامَةَ، ودَوامَ الخُلودِ في جَنَّةِ الخُلدِ {أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[4].[5].

وإذا كان ليس من الصحيح محاولة فرض الدين على الآخرين بالقوة والجبر، فكذلك ليس من الصحيح أيضاً محاولة فرض أي مذهب من المذاهب أو أي رأي من الآراء بالقوة والجبر والإكراه والتهديد والوعيد!

إذ ليس من حق أحد الادعاء بأن فهمه للإسلام هو الإسلام، لأنه ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك، كما أن من حق الآخر الاجتهاد في الأمور القابلة للاجتهاد، وبالتالي من

١. التعددية والحرية في الإسلام، الشيخ حسن الصفار، دار البيان العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ٤٨.

٢. سورة يونس: ٩٩.

٣. الزُّلفى: القربة والمنزلة (الصحاح: ج ٤ ص ١٣٧٠« زلف»).

٤. سورة يونس: ٩٩.

٥. التوحيد: ص ٣٤٢ ح ١١، عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج ١ ص ١٣٥ ح ٣٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٩٤ ح ٣٠٢ كلّها عن أبي الصلت الهروي عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السّلام، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٤٩ ح ٨٠.

حق الآخر الاختلاف مع غيره، إذ إن المسوغات التي تُبيح للذات الاجتهاد، تبيح للآخر نفس الحق في الاستنتاج والفهم طبقاً لمعايير وأدوات الاجتهاد.

يقول الكاتب المصري المعروف الأستاذ (فهمي هويدي): «ليس من حق أحد أن يقف أمام الملأ ويقول: أنا الإسلام!

ليس من حق أحد أن يتحصّن بكتاب الله، ثم يعلن علينا من ورائه أن من نصره وأيّده فقد دخل في زمرة المؤمنين الصالحين، ومن خذله أو عارضه فقد خرج على كتاب الله، وصار من أعداء الإسلام المارقين!

ليس من حق أحد أن يزعم بأنه يتمتع بحصانة إسلامية خصّته بها السماء من دون كل المسلمين، فرفعته فوق الرؤوس، ونزهته عن النقد والسؤال، وأحاطته بسياج من العصمة والقداسة.

لكنهم في زماننا يقولون ذلك، بغير تردد أو مواربة، يختلفون في أمور الدنيا، ويتبادلون الاتهامات هنا وهناك، ثم نفاجأ بمن يلقي قفاز الإسلام في وجه الجميع، فتنقلب موازين العراك وأسلحته، ويتحول الأمر من قبول أو رفض للاجتهاد السياسي، ليصبح إيماناً بالله أو كفراً به، ودعماً للإسلام أو طعناً فيه والإسلام بريء مما يفترون!»[1].

فليس لأحد (فرداً كان أو مذهباً أو مدرسة فكرية) أن يحتكر الإسلام لنفسه، وأن يزعم أن فهمه للإسلام هو الإسلام، وأن تفسيره لمفاهيم الإسلام هو الحق الذي ما بعده إلا الضلال؛ لأن هذا يتنافى مع حق الآخر في الاجتهاد، ويتناقض مع مبدأ (أصالة الحرية).

وإذا كان من حق كل إنسان اختيار دينه، فبالأولى أن له الحق في اختيار مذهبه، ومرجعه، وفكره، وليس من حق أحد -كائناً ما كان- أن يفرض دينه أو مذهبه أو مرجعه على الآخرين بالقوة والإكراه؛ لأن ذلك يتنافى مع (أصالة الحرية) وحق الإنسان في المعتقد.

ويذهب الإسلام بعيداً في (الحرية الدينية) والتسامح تجاه الأديان الأخرى إلى درجة اعترافه بـ (الآخر الديني) يقول تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[2]، ذلك أن شرعية

١. القرآن والسلطان، فهمي هويدي، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٢٧.
٢. سورة الكافرون، الآية: ٦.

الآخرين ليست مبنية على اعتقادهم حقاً كان أم باطلاً، ولكن تلك الشرعية مبنية على تلك الحقيقة الكبرى التي قررها الإسلام من البداية، إنهم بشر لهم حقهم في الحصانة والكرامة والحماية.

ولا ينبغي -في المفهوم الإسلامي- أن نلغي شرعية الطرف الآخر، ولا ينبغي أن ندفع المسلمين إلى انتهاك حدود الحصانة التي قررها القرآن للإنسان، ذلك أن حرية الاختيار -حتى في الدين- هو حق يكفله الإسلام للإنسان[1].

واحترام الإنسان يعني حرمة حقوقه المادية كجسده وماله، وحقوقه المعنوية كحريته وكرامته واختياره لدينه.

من هنا يرفض الإسلام اضطهاد الناس على أساس دينهم أو اعتقاداتهم، بل ويوصي الإسلام أبناءه بأن يكونوا المثل الأعلى في الأخلاق وحسن التعامل مع الآخرين، حتى لا تحسب تصرفاتهم غير اللائقة على الإسلام فتشوه سمعته وتنفر الآخرين منه.

إن القرآن الحكيم يشجع المسلمين على البر والإحسان للكفار غير المعادين المحاربين، يقول تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[2].

وإذا كان مطلوباً من المسلم أن يدعو إلى دينه، وأن يوضح بطلان وفساد الأديان الأخرى، فإن ذلك يجب أن يكون بأسلوب لائق لا يجرح مشاعر الآخرين ولا ينفّرهم[3]، يقول تعالى: ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[4].

وقد أوضح الفقهاء (**الحرية الدينية في الإسلام**) بصورة مفصلة في الكتب الفقهية، وبينوا فروع هذه الحرية في البنود التالية:

---

١. مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٩١.

٢. سورة الممتحنة، الآية: ٨.

٣. التعددية والحرية في الإسلام، الشيخ حسن الصفار، دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٤٨.

٤. سورة العنكبوت، الآية:٤٦.

١- لا يجبر إنسان أن يبدل دينه إلى الإسلام، سواء كان أهل كتاب، إجماعاً، أو غير أهل كتاب، على الأظهر، بدليل إطلاق الآية: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ والرسول ﷺ لم يجبر أحداً من المشركين على الإسلام، كما في أسارى بدر وأهل مكة، وأهل الطائف وغيرهم، كما لم يؤثر عن علي عليه السلام أنه أجبر كافراً غير كتابي على الإسلام، مع وضوح كثرة الوثنيين في زمانه عليه السلام تحت حكمه.

٢- كما لا يُجبر إنسان أن يبقى على دينه، إذا أراد أن يبدل دينه إلى دين آخر غير الإسلام، مثلاً: أراد الوثني أن يتنصر، أو المجوسي أن يتهود أو ما أشبه ذلك، إذ لا دليل على الجبر، فالأصل عدمه.

٣- لا يحق لمسلم أن يبدل دينه، نصاً وإجماعاً، وحكم المرتد: القتل، وإبانة زوجته، وتقسيم أمواله بين ورثته، ويستثنى من هذا الحكم:

أ- المرأة المرتدة: لا تقتل نصاً وإجماعاً، بل تُحبس ويضيق عليها في المعاش إلى أن تتوب أو تموت، وإن كانت ردتها عن فطرة.

ب- إذا كان الارتداد عموميا كما إذا أصاب المسلمين فتنة فارتدوا.

ج- الارتداد لشبهة واقعية، بأن شك حقيقة في شيء من أصول الدين مما احتاج إلى الحجة، فإنه لا يعقل عقابه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

د- من لم يُسلم وإن كان ولد من المسلم وبعد البلوغ لم يقبل الإسلام إذ لا يسمى ذلك ارتداداً.

هـ- من تاب بعد الارتداد: في المرتد الملي حيث يستتاب، فإن تاب فلا شيء عليه، وأما المرتد الفطري فإن تاب، فالأقوى قبول توبته باطناً وظاهراً فتقبل عباداته ويطهر بدنه، نعم يجب قتله إن أمكن، وتبين زوجته، وتنقل أمواله إلى ورثته، ولا تسقط هذه الأحكام بالتوبة[1].

٤- الكفار الذين يعيشون في بلاد الإسلام، لهم الحرية في إبراز عقيدتهم بدون أن يدعوا

١. الفقه: كتاب الحدود والتعزيرات، السيد محمد مهدي الشيرازي، دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ج٨٨، ص٢٦٥.

المسلمين إليها، كما أن لهم الحرية في إجراء مراسيم عباداتهم، ولا يتعرض مسلم لهم بسوء، ولهم أن يعملوا حسب شريعتهم في عقدهم ونكاحهم وإرثهم وعباداتهم، بشرط أن لا يظهروا بالمناكير، ولهم الحرية في موارد نزاعاتهم، أن يرجعوا إلى قاضي المسلمين، أو إلى قاضيهم، ولا يحق للدولة التدخل في شؤونهم التي لا تضر المسلمين، ولا تنافي مصلحة البلاد[1].

وبهذا يتضح لنا، اعتراف الإسلام بـ(الآخر الديني) وتسامحه تجاه الأديان والملل الأخرى، وحمايته لحق الإنسان في الاختيار العقدي، ويرفض الإسلام من جهة أخرى أية عملية قسرية أو تعسفية أو قهرية لفرض الدين على الآخر؛ لأن الانتماء إلى الدين يجب أن يكون عن اختيار حر، وقناعة ذاتية.

ومما تقدم من أقوال وآراء المفسرين والفقهاء والعلماء في تفسير آية ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[2] يتضح بجلاء أن الإسلام بما يحمل من براهين وأدلة ساطعة قادر على الإقناع العلمي والقبول العقلي بعيداً عن لغة الفرض والقسر والإكراه، وأن هذا يؤكد على جذر التسامح في الإسلام، إذ أن الآية الشريفة تنفي تجويز الإكراه والقسر والعنف لأجل الدخول في الدين الإسلامي، خاصة بعد أن ﴿ **تبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ وأن المطلوب هو الدخول في الدين عن قناعة واقتناع، لأن الإكراه والقسر لا ينتج إيماناً ولا إسلاماً، وإنما الذي ينتج ذلك هو المنطق والبرهان والدليل.

١. الفقه: كتاب السياسة، السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج١٠٦، ص ٢١٨.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

قاعدة الإلزام وقبول الآخر

القاعدة الثانية التي تدل على التسامح في الإسلام هي **(قاعدة الإلزام)** والتي تقول **(ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)** مما يعني إعطاء الآخر المذهبي، بل والآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقد ويراه صحيحاً طبقاً لمذهبه أو دينه.

وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها الفقهاء تدل على إنسانية الإسلام وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر المذهبي والديني؛ فهذه القاعدة الفقهية تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، بل وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش مع الآخر المغاير للذات.

ويستدل على قاعدة الإلزام بمجموعة من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ومنها:

١ – قول الإمام الرضا عليه السلام: «ألزموهم من ذلك ما ألزموه أنفسهم»[١].

٢ – عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً قال: «من كان يدين بدين قوم لزمته أحكامها»[٢].

٣ – صحيحة محمد بن مسلم حيث سأل الإمام الباقر عليه السلام: عن الأحكام؟ فقال: «تجوز على أهل كل ذوي دين ما يستحلون»[٣].

٤ – قول الإمام الصادق عليه السلام: «إن كل قوم دانوا بشيء[٤] يلزمهم حكمه»[٥].

ويستفاد من هذه الأحاديث والروايات تجويز عمل الآخر المذهبي وفقاً لمذهبه، وكذلك يجوز لغير المسلمين من أصحاب الأديان المختلفة العمل وفق عقائدهم وشرائعهم، وإن كانت في نظر الإسلام باطلة. وهذا يدل على روح التسامح والإنسانية في الإسلام، والقبول بالتعايش مع الآخر بغض النظر عن صحة دينه أو مذهبه أو لا.

وإقرار أهل الكتاب بحقهم في العمل وفق عقائدهم وعباداتهم وسلوكياتهم المباحة في

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ج ٢٢، ص٧٣، رقم ٢٨٠٥٧.
٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ج ٢٢، ص٧٤، رقم ٢٨٠٦١.
٣. وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ج ٢٦، ص١٥٨، رقم ٣٢٧١١.
٤. في الاستبصار: بدين
٥. وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ج ٢٦، ص٣١٨، رقم ٣٣٠٧٤.

دينهم وإن كانت حراماً في نظر الإسلام أو لا يصح الاعتقاد بها وفق العقائد الإسلامية دليل على روح التسامح في الإسلام.

وقد سمح رسول الله ﷺ لنصارى نجران أن يؤدوا صلاتهم وطقوسهم وفق عقيدتهم المسيحية من دون ضغط عليهم أو إكراه أو جبر أو قسر. وإذا كان هذا هو نظرة الإسلام لغير المسلمين، فبالأولى تسامحه مع المسلمين من أتباع المذاهب المختلفة، إذ لا يصح إجبار أو إكراه أحد من المسلمين على خلاف مذهبه، بل له الحق في التعبد وفق ما يراه صحيحاً في مذهبه عن اجتهاد أو تقليد.

قاعدة الإلزام وسيرة الفقهاء

إن إقرار الفقهاء قديماً وحديثاً بالمذاهب والفِرق والمدارس الإسلامية هو إقرار بشرعية حق الاجتهاد في الإسلام، ومن ثم الحق في الاختلاف، وهو كذلك إقرار بشرعية (التعددية) وحق (الرأي الآخر) في التعبير عن نفسه.

وعندما نقرأ في سيرة وتراجم أئمة المذاهب وكبار الفقهاء نجد في حياتهم ما يدل على إقرارهم بشرعية الرأي الآخر، واحترامهم لرأي المخالف، ورفضهم فرض الرأي الواحد على الأمة، وتسامحهم تجاه الآراء الفقهية المتباينة.

فهذا (أبان بن تغلب) كان من خواص تلامذة الإمام جعفر الصادق ﷺ وقد أمره أستاذه الإمام أن يجلس للإفتاء في مسجد المدينة؛ ولأن السائلين والمستفتين كانوا يختلفون في مذاهبهم ومراجعهم، فقد وجّهه الإمام إلى أن لا يقتصر على نقل رأي مذهب أهل البيت أو فتاواهم، بل يفتي السائلين حسب مذاهبهم، يقول له الإمام الصادق ﷺ: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك»[1].

وينقل الشيخ (أبو زهرة) قصة مشابهة عن تلميذ آخر للإمام جعفر الصادق ﷺ وهو مسلم بن معاذ الهروي أنه كان يجلس في المسجد ويفتي الناس بأقوال الأئمة جميعاً حتى قال له يوماً سيدنا جعفر ﷺ: بلغني أنك تجلس في المسجد وتفتي الناس. أجاب: نعم.. وكنت أودُّ أن أسألك عن ذلك إذ يأتيني الرجل فأعرفه على مذهبكم فأفتيه بأقوالكم، ويأتيني

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٦، ص ٢٣٣، رقم ٢١٤٤٣.

الرجل فأعرفه على غير مذهبكم فأفتيه بأقوال مذهبه، ويأتيني الرجل فلا أعرف مذهبه، فأذكر له أقوال الأئمة وأدخل قولكم بين الأقوال، فأشرق وجه سيدنا الإمام جعفر عليه السلام وقال: «أحسنت.. هكذا أنا أفعل»[1] لأنه كان إذا سُئل عن مسألة ذكر كل أقوال العلماء فيها.

وبالفعل كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذا طرحت عليه مسألة ذكر آراء مختلف العلماء فيها. كما ينقل ذلك بإكبار أبو حنيفة إمام المذهب الحنفي، يقول: يا أبا حنيفة، إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد، فهيأت له أربعين مسألة، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، ثم قال أبو حنيفة: «ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[2].

إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا شك أنه يعتقد الصواب في رأيه والحق في فتواه، ولكن ذلك لا يمنعه من نقل آراء الآخرين وفتاواهم ليعطي للأمة درساً في التسامح، وفي احترام الرأي الآخر مهما اختلفت معه[3].

وقد سجل مالك بن أنس إمام المذهب المالكي موقفه التاريخي المعروف بعدما ألّف كتابه الشهير (الموطأ) بتكليف من الحاكم العباسي، أبي جعفر المنصور، فقد أراد أن يحمل الناس على ما فيه من آراء وأحكام فقهية بقوة سلطان الدولة، وبعبارة أخرى: أراد أن يجعل منه قانوناً عاماً لدولة الخلافة، يلتزم به عامة الناس، وتلغى الآراء والاجتهادات الأخرى، ولكنه رفض ذلك، ورأى أن المصلحة ترك الناس وما اختاروا من مذاهب وآراء.

فإمام المذهب المالكي يرفض أن يفرض رأيه على الأمة كلها؛ لأن في هذا مصادرة لحق الآخرين في الاجتهاد، والمصادرة أمر مرفوض شرعاً وعقلاً.

إن أقصى ما يقوله المجتهد عن نفسه في الأحكام الجزئية، والفروع العملية، ما نُسب إلى الشافعي إمام المذهب الشافعي حيث يقول: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

١. ينظر نص الرواية بتعابير أخرى في وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٦، ص ٢٣٣، رقم ٢١٤٤٤.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٧، ص ٢١٧ – ٢١٨.
٣. التعددية والحرية في الإسلام، الشيخ حسن الصفار، دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ١٩٧.

وهكذا نرى في سيرة أئمة المذاهب وكبار الفقهاء ما يشير إلى إقرارهم بشرعية التعددية المذهبية، والاعتراف بحق الآخر في الاجتهاد ما دام ذلك ضمن الأطر والموازين الشرعية، وهو يضمن حق الاختلاف للفقهاء والمجتهدين والعلماء؛ مما يعبر عن روح التسامح المذهبي.

وليس من حق أحد (فرداً كان أو مذهباً أو جماعة أو مدرسة..) أن يفرض رأيه على الأمة، ويصادر حق الآخرين في الاجتهاد، وحقهم في الاختلاف، وحقهم في الاختيار، لأن هذا يتنافى كلياً مع مبدأ الاجتهاد نفسه.

ثم إن الاختلاف في الفروع ضمن الدين الإسلامي أمر سائغ ومشروع، ويستفاد من قاعدة (الإلزام) الإقرار بقبول ما توصل إليه أتباع كل مذهب حتى وإن كان في نظر المذهب الآخر باطلاً أو فاسداً.

إذ يتفق الفقهاء والعلماء على شرعية الاختلاف في الفروع، وهذه الشرعية مؤسسة في الأصل على شرعية الاجتهاد في الإسلام، وعلى هذا المرتكز يجب النظر إلى الاختلاف في الفروع على أنه أمر شرعي وطبيعي.

يقول الشيخ محمد إبراهيم الجناتي: «إن المسائل التي طرحت في الأدلة والمصادر الاجتهادية على نوعين: بديهية ونظرية؛ أما في النوع الأول فلم يقع فيه خلاف بين فقهاء المذاهب الإسلامية مثل: وجوب الصلاة والصوم والحج وحرمة الفواحش، إذ جاءت هذه الأحكام في منابع الشريعة بطريقة واضحة في جانب الإيجاب والتحريم والإباحة، واستنباطها من أدلتها لا يحتاج إلى إعمال النظر والاجتهاد فيها، ولذا تكون حقائق ثابتة في جميع الأزمنة ولا تتغير مهما تغير الزمان والمكان والأحوال إلى يوم الدين، لعدم كونها مبتنية على الاجتهاد حتى يقال: إن الأحكام المبتنية عليه تتحول بتحول الزمان والمكان والأحوال.

أما في النوع الثاني: فقد وقع الخلاف بين علماء المذاهب فيه: كشرائط الواجبات وأجزائها وموانعها، لعدم مجيئها في الأدلة والمصادر الاجتهادية بطريقة واضحة، بل جاءت على نحو صالح لأن تختلف فيه الأفهام وتتعدد فيه وجهات النظر، وهذا النوع من المسائل الفرعية جعلتها الشريعة موضع اجتهاد المجتهدين، إذ لا يمكن استخراج الأحكام من مصادرها بدون الاجتهاد وإعمال النظر، ولذا تكون هذه الأحكام غير ثابتة، وقابلة للقبض والبسط؛ لكونها مبتنية على

الاجتهاد، وبتحول الزمان والمكان والأحوال تتحول تلك الأحكام على أساس المنابع.

ومهما يكن من أمر، فالخلاف في المسائل الفرعية النظرية بين العلماء أمر طبيعي، ويعم جميعها سواء كانت فقهية أو غيرها»[1].

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «إن اختلاف وجهات النظر في التشريعات الفرعية حقيقة إنسانية وإسلامية لا محيص عنها، ونشوء مدارس كبرى وصغرى على محاور قانونية مختلفة أمر لا غضاضة فيه ولا شر منه.

ولو أن القرآن نزل أمس وبعث الرسول ﷺ به منذ البارحة لما كان هناك بدٌّ من تفاوت الأنظار في أحكام الوضوء والصلاة لأن ذلك أمر طبيعي»[2].

وإذا كان من السائغ شرعاً الاختلاف في أمور الدين الفرعية حسبما تقتضيه اجتهادات الفقهاء، فمن الأولى جواز الاختلاف في أمور الدنيا كالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. طِبقاً لما تقتضيه اجتهادات المفكرين والباحثين والعلماء المختصين وضمن إطار الضوابط والثوابت الشرعية.

وإذا كان رأي الفقيه المجتهد قابلاً للصواب والخطأ، فإن الاجتهاد في قضايا الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع.. قابل كذلك للخطأ والصواب!

وعليه فلا يحق لأحد مصادرة رأي الآخر لمجرد مخالفته لرأيه، إن رأي الذات -كما هو رأي الآخر- ليس له عصمة ولا قداسة تمنع من القدح فيه.

والرأي الآخر أو لنقل التعددية بجميع أشكالها هو نوع من الاختلاف في الفروع وهو جائز ومشروع في الفكر الإسلامي، ومن ثم فلا داعي للتعصب والتشدد واللاتسامح تجاه الآراء المخالفة؛ بل يجب التعامل معها بروح متسامحة.

يقول الدكتور محمد عمارة: «لقد سنّ لنا تاريخ الفكر الإسلامي منذ عصر الصدر الأول سنّة حسنة، اهتدى فيه بنهج الوسطية الإسلامية الجامعة، وذلك عندما علمنا أنه

١. دروس في الفقه المقارن، الشيخ محمد إبراهيم الجناتي، الناشر: منظمة الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ: ج٢، ص ٥.

٢. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص١١٨.

لا اجتهاد في الأصول والمبادئ والقواعد التي بُني عليها الإسلام، اللهم إلا الاجتهاد في الفهم والتقعيد وإلحاق الفروع بالأصول.. فهذه هي مساحة وإطار وحدة الأمة التي يمتنع فيه الاختلاف ومن ثم تمنع التعددية، أما في الفروع التي تقام أبنيتها على هذه القواعد فهنا يصح بل ويجب الاجتهاد، وإذا كانت هذه السنّة الإسلامية الحسنة قد علمتنا أن اجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر، وأن لكل مجتهد مقلّدون يسترشدون باجتهاداته فإن هذه السنّة الإسلامية هي بعينها الإعلان الإسلامي عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية في هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته وفي الأدوات اللازمة لذلك.

تلك هي سنة الإسلام التي شرعت وقُننت لمبدأ التعددية في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام، والتي بناء عليها وتطبيقاً لنهجها كانت تيارات الاجتهاد الإسلامي مصدراً لثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري، الذي سبق عصر التراجع والجمود»[1].

ومن الغريب حقاً بعد كل هذا أن ترى من يدعو إلى إلغاء الرأي الآخر، والقضاء على التعددية المذهبية، ومصادرة حق الآخرين في الاجتهاد والتفكير والاستنباط، وكأن هؤلاء لا يرون أي شرعية للاختلاف في الفروع.

إن الرأي الآخر لا يعدو أن يكون نوعاً من الاختلاف في الفروع، وهو مشروع بشرعية الاجتهاد في الإسلام، وإجماع الأمة على ذلك، فعلينا التعامل مع الآراء الاجتهادية الأخرى بالتسامح والانفتاح والاعتدال.

من كل ما تقدم يتضح أن القاعدة الفقهية المعروفة بـ **(قاعدة الإلزام)** ليست مجرد تكليف للآخر المذهبي أو الديني والاحتجاج عليه بما يعتقده في مذهبه أو دينه فحسب، وإنما يتجاوز ذلك لتأسيس القبول بالآخر المذهبي أو الديني، بغض النظر عن الصحة والفساد فيما يراه، وتأصيل روح التسامح في الإسلام، وعدم جواز فرض أو إكراه أو إجبار الآخر على ما يراه الذات أو نعتقد بصحته، بل ولا يصح حتى للدولة الإسلامية فرض تصوراتها على الآخرين بالقوة والإكراه، وإنما إتاحة الحرية لأتباع كل مذهب أو دين بالعمل بما يلتزمون به عقائدياً وتشريعياً.

١. الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية.. أوراق في النقد الذاتي، تحرير وتقديم: عبدالله النفيسي، الناشر: مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ص٣٣٠.

أخلاقيات الإسلام وقيم التسامح

من أهم القواعد التي تؤصل للتسامح في الإسلام هي قاعدة (حسن الخلق) إذ إن الالتزام بمنظومة أخلاقيات الإسلام يربي الإنسان على التسامح والتعايش؛ بينما من تنعدم لديه الأخلاق الحسنة لا يمكن أن يكون إلا غير متسامح، وغير قادر على التعايش مع الآخرين.

وقد أكّد الإسلام أهمية الأخلاق الحسنة، وعدها من أهم الفضائل التي يجب أن يتحلّى بها المسلم في حياته، فقد جاء في فضيلة التحلي بالأخلاق الحسنة روايات كثيرة منها:

ما ورد عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما يُوضَعُ في مِيزانِ امرئٍ يَومَ القِيامَةِ أفضَلُ مِن حُسنِ الخُلقِ»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ صاحِبَ الخُلقِ الحَسنِ لَهُ مِثلُ أجْرِ الصّائمِ القائمِ»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق»[3].

وروى ابن أبي عمير، عن حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن، وأنّ الله ليبغض الفاحش البذيء»[5].

١. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٠٧، رقم ٢.

٢. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٠٧، رقم ٥.

٣. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٠٧، رقم ٦.

٤. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١١٠، رقم ١٦.

٥. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول – تركيا، ج٦، ص٢١٣.

وروي عنه أيضاً أنّه قال: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإنّ صاحب حس الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[1].

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟

فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»

وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟

فقال: «الفم والفرج»[2].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن لين، هين، سمح، له خلق حسن»[3].

وقال ﷺ أيضاً: «يا أيها الناس، إني أعلم أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن بالطلاقة وحسن الخلق»[4].

وقد عد الرسول الأعظم ﷺ الأخلاق الحسنة من سعادة المرء حيث يقول: «من سعادة المرء حسن الخلق»[5] بل إنّه ﷺ عد الهدف من بعثته هو تعميق القيم الأخلاقية في المجتمع الإنساني، حيث قال: «إنّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مَكارِمَ الأخْلاقِ»[6].

كل هذه الأحاديث وغيرها تدل على قيمة الأخلاق الحسنة وأهميتها في البناء الإيجابي سواء على الصعيد الشخصي كفرد أم المجموع كأمة، أم الكيان كحضارة.

في معنى الأخلاق

أصل كلمة الأخلاق من الفعل خَلُقَ، أي لان، وملس، واستوى، ومن خالق، أي عاشر بخلق حسن، ومن تخلق، أي تطبع بطباع.

---

١. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول – تركيا، ج٦، ص٢١٣.

٢. سنن الترمذي، ج٦، ص٢١٤.

٣. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج١٣، ص ٥٢٣، رقم ١٥٠٠.

٤. مستدرك الوسائل، الشيخ الطبرسي، ج ٨، ص ٤٤٨، رقم ٩٩٦٤.

٥. مستدرك الوسائل، الشيخ الطبرسي، ج ٨، ص ٤٤٨، رقم ٩٩٥٩.

٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٦، ص ٢١٠.

والخُلْقُ، بالضم وبضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ، والمُروءةُ والدينُ[1].

ومفرد الأخلاق، الخُلْق، والخُلُق، وهو المروءة، والعادة، والسجية، والطبع، والتقليد، فالأخلاق هي المروءات، والعادات، والسجايا، والطباع، والتقاليد.

وتعرف الأخلاق بأنّها القواعد العملية لتنظيم وتهذيب السلوك الإنساني وعلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الأخلاق نفسها، وهو أحد أقسام الحكمة العملية، ويسمونه أيضاً الحكمة الخلقية، هذا حسب التقسيمة القائلة بأنّ الحكمة قسمان: نظرية، وعملية، وأحد فروع العملية، علم الأخلاق الذي يشتمل على الفضائل الأربع وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدل[2].

والخُلُق يطلق على الملكات والصفات الراسخة في النفس حسنة كانت أم قبيحة وهي في مقابلة الأعمال، ويطلق حُسن الخُلُق غالباً على ما يوجب حسن المعاشرة ومخالطة الناس بالجميل[3].

مما سبق نستنتج بأنّ الهدف من الأخلاق هو تنظيم السلوك الإنساني وفق معايير أخلاقية ثابتة، فالمبادئ الأخلاقية عامة وثابتة في كل زمان، وفي كل مكان، فالصدق -مثلاً- مبدأ أخلاقي يقرّه العقلاء كلهم بأنّه حسن في ذاته، ويبقى الصدق حسن في ذاته في كل زمان، وفي كل مكان.

ويجب أن تحكم المبادئ الأخلاقية علاقات الناس بعضهم بالبعض الآخر، لأنّ هذه المبادئ الأخلاقية هي وحدها القادرة على تنظيم المجتمع تنظيماً حضارياً، أما عندما تنعدم هذه المبادئ فإنّ شريعة الغاب تسود المجتمع، وعندئذٍ ينقلب كل شيء رأساً على عقب.

ومن أهم هذه المبادئ الأخلاقية مبدأ التسامح الإيجابي حتى يستطيع أن يعيش المجتمع بكل مكوناته وعناصره بكل حرية وأمن وسلام.

١. انظر المعاجم اللغوية كلسان العرب، والقاموس المحيط والصحاح في اللغة وغيرها (حرف الخاء).

٢. كيف تتصرف بحكمة؟ خليل الموسوي، دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٠٧.

٣. انظر أصول الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٠٦، (بالهامش).

الأخلاق والسلم الاجتماعي

تُعد الأخلاق الحسنة من أهم العوامل في بناء السلم الاجتماعي، لأنّ النفوس جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، فالإحسان والتسامح والعفو والصفح يساعد على بناء المجتمع المتآلف والمتعايش والمتسامح.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الاجتماعية؛ إذ عد أن أخلاق رسول الله ﷺ من أهم عوامل نجاحه الاجتماعي، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[1].

وقد أثنى الله تعالى على حسن أخلاق نبيّنا الأكرم محمد بن عبدالله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[2] فالأخلاق الحسنة من أهم عوامل النجاح الاجتماعي.

فما من مصلح أو قائد أو زعيم أو عظيم إلاّ وكانت الأخلاق الحسنة من صفاته الرئيسة، فلا يستطيع أحد أن يؤثر على الآخرين إلاّ إذا كان ذا أخلاق رفيعة، ولذا قال الرسول ﷺ: «إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم فَسَعُوهم بأَخْلاقِكم تواضع»[3] إنّ هذه الكلمة الرائعة يجب أن تحفظ، لأنّها قاعدة هامة لكل من أراد أن ينجح، فالأخلاق الحسنة قادرة على تذويب القلب القاسي وتحويله إلى قلب رقيق.

والتخلق بأخلاق الإسلام يؤدي إلى التسامح، وهو مؤثر أيضاً في تحقيق أي نجاح اجتماعي، وتقوية أواصر القوة والتماسك بين مختلف المكونات الاجتماعية

أخلاقيات الإسلام ومنهج التسامح

إن المنظومة الأخلاقية التي شرعها الإسلام ورغَّبَ فيها وحَثَّ عليها تؤكد كلها على التحلي بمنهج التسامح، والابتعاد عن الإساءة أو التجريح أو التحقير أو الإيذاء للآخرين.

وأخلاقيات الإسلام التي يؤدي العمل بها الى الالتزام بقيم التسامح كثيرة ومنها:

١. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
٢. سورة القلم، الآية: ٤.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٣٨٣، رقم ١٩.

الرفق واللين في التعامل مع الآخرين، والعفو والصفح عن أخطاء من نتعامل معهم، والحلم وكظم الغيظ تجاه تصرفات الآخرين الخاطئة، والرحمة والرأفة بالناس، وحب الآخرين وقضاء حوائجهم، وعمل الخير والإيثار والتضحية من أجل إسعاد الآخرين، كلها من قيم التسامح، فهذه الأخلاقيات التي يدعو الإسلام المسلمين للالتزام والعمل بها إنما تعني – فيما تعنيه – العمل بروح وقيم ومنهج التسامح.

والتحلي بالقيم الأخلاقية، والالتزام بأخلاقيات الإسلام في التعامل مع الآخرين، وإدارة الاختلاف مع الآخر بمحبة ومودة يؤسس لروح وقيم التسامح التي دعا إليها الإسلام.

وبمقدار ما يلتزم أصحاب الرأي بالمبادئ والقيم الأخلاقية، بنفس المقدار يستطيعون التأثير على الطرف الآخر وإقناع الجماهير بصحة أفكارهم وآرائهم وفلسفتهم في الحياة، ومن دون الأخلاق تتحول الأفكار إلى أسلحة مدمرة، والاختلاف في وجهات النظر إلى معارك حامية، وحروب استنزافية.

والواقع يشير إلى ذلك في أكثر من موقع على الساحة الإسلامية، فنتيجة لغياب (الأخلاق) وتغييب القيم الأخلاقية في العمل السياسي والإسلامي، تحولت الخلافات العلمية، والاجتهادات المتغايرة، والمواقف المتباينة إلى صراعات دامية، ونزاعات استهلاكية.

ولا سبيل لتجاوز ذلك إلا بممارسة الحوار الموضوعي والالتزام بأخلاقيات العمل، ومن أهم هذه الأخلاقيات: احترام الرأي الآخر، فاحترام الرأي المخالف وتقدير وجهات نظر الآخرين، وإعطاء آرائهم الاجتهادية حقها من الاعتبار والتقدير، هو الطريق الأقصر للوصول إلى تفاهم منطقي.

وكما في الأصول يقرر العلماء هذه القاعدة وهي: كل ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمر قابل للاجتهاد، وإذا كان قابلاً للاجتهاد فهو قابل للاختلاف، كذلك في السياسة وفي العمل الإسلامي، بل وحتى في الفكر والثقافة.

ومن السخافة والحماقة ممارسة (اللاأخلاقية واللاتسامح) مع الطرف الآخر لمجرد

خلاف في الرأي، مهما كان هذا الرأي مغايراً لرأي الذات، فمن يُضحي بأخلاقياته ومبادئه وقيمه ليفرض رأيه على الآخرين، يكون قد تخلى عن إنسانيته، وقيمة الإنسان بإنسانيته، ولا إنسانية بدون أخلاق.

ومن أجل صلاح الغاية لابد من صلاح الوسيلة، فالوصول إلى الغاية شيء مهم لأية جماعة أو فئة أو معارضة، بل حتى للشركات والمؤسسات ذات الطابع المادي أو المعنوي أو معاً، بل وحتى للأفراد، ولكن الأهم هو استخدام الوسائل المشروعة، أما اتباع سياسة (الغاية تبرر الوسيلة) فهي مرفوضة شرعاً وعقلاً وأخلاقاً، فما بُني على باطل لن يؤدي إلا إلى باطل.

والتعامل بأخلاقية مع الرأي الآخر يبقى من أهم الوسائل المشروعة والمستحسنة عقلاً ومنطقاً، كما أنه الخيار الأفضل في العمل السياسي وفي العمل الإسلامي.

وجماع القول أن الالتزام بالأخلاق الحميدة، وبحسن الخُلُق مع الآخرين يعمق من روح التسامح في المجتمع، وينمي من حالة الائتلاف، ويقلل من حالة الافتراق والتقاطع، ويقوي من روح التسامح والتعايش.

والمتأمل لسيرة رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت الأطهار يجد أنهم كانوا المثال الكامل في الأخلاق قولاً وفعلاً وسلوكاً. وقد استطاعوا أن يجذبوا إليهم عامة الناس وخاصتهم بأخلاقهم الجميلة، وتعاملهم الراقي.

وسنذكر في الفصل القادم بعض أخلاق الإمام الحسين بن علي عليه السلام التي تدل على مضامين وقيم التسامح لما لها من أثر قوي في تنمية ثقافة التسامح في المجتمع المسلم.

الإسلام دين العقل والسماحة

القاعدة المهمة والأخيرة التي نستدل بها على جذور التسامح في الإسلام قاعدة (حجية العقل) فالعقل يدعو إلى التسامح والتعايش والمحبة بين الناس، بينما التعصب والتطرف واللاتسامح والعنف كلها ممارسات تخالف منطق العقل والتعقل.

وللعقل بعد النقل مكانة كبيرة ومميزة في تشكيل المعارف والعلوم الإسلامية، بل وفي بيان العديد من مسائل التشريع في الإسلام.

إن من أعظم ما خلقه الله سبحانه وتعالى في الإنسان العقل، فبه يستطيع أن يميز بين الأمور، ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، والحسن من القبيح، ولهذا اعتُبر -أي العقل- حجة باطنية على الإنسان، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «إِنَّ لله عَلَى النَّاس حُجَّتَيْن: حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرَّسُولُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ»[1]، وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ»[2] فبالعقل يُستدل على الأشياء، ولا يُستدل بالأشياء عليه، إذ لا سبيل لمعرفة العقل إلا بالعقل نفسه.

وللعقل مكانة عظيمة في الفكر الإسلامي، فقد نَصَّ القرآن الحكيم على فضله وشرفه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ **هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾[4].

ونصّت السنة كذلك على فضل العقل وعظمته في روايات متواترة، ومنها -على سبيل المثال- ما ورد عن الإمام علي عليه السلام حيث يقول: «العَقلُ أقوى أساس»[5]، وقوله عليه السلام: «العقل رسول الحق»[6]، وقوله عليه السلام: «العقل أفضل مرجو»[7]، وقوله عليه السلام: «لا غنى أكبر

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٠٠.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٩٧.
٣. سورة البقرة، - الآية: ٢٦٩.
٤. سورة غافر، الآية: ٥٤.
٥. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ص ٣٥.
٦. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ص ٢٧.
٧. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، ص ٢٦.

من العقل»[1]، وقوله عليه السلام: «لا مال أعود من العقل»[2] إلى ما هنالك من آيات وروايات تشير إلى مكانة وعظمة العقل، ودوره المهم في الإحساس والإدراك والتفكير والاختيار والتوجيه والإرشاد.

العقل من مصادر التشريع

عد علماء الأصول أن المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي هو العقل، والمراد من الدليل العقلي المقابل للكتاب والسنة -كما يرى الشيخ المظفر- هو: كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي، وبعبارة ثانية هو: كل قضية عقلية يتوصل به إلى العلم القطعي بالحكم الشرعي[3]، فالمقصود بحكم العقل إذن هو إدراك العقل للأحكام الشرعية من غير طريق النقل.

وحجّية العقل -في واقعها- من الأمور البديهية التي لا تفتقر إلى برهان؛ لأن العقل هو الدليل الأساسي للعقيدة الإسلامية، التي منها ينبثق التشريع الإسلامي.

فمن عدّه دليلاً أساسياً للعقيدة نستطيع أن ندرك بسهولة وبداهة حجية عدّه دليلاً للتشريع، وذلك لأن العقيدة أهم من التشريع لأنها أصل الدين.

ومما فهمناه من أن دليل العقل هو الذي ينهي إلى القطع بحكم الشرع نستطيع أن ندرك حجيته أيضاً، وذلك لأن القطع حجّة بالبداهة[4].

وقد عد العلامة الشيخ (محمد جواد مغنية) العقل من أبرز مظاهر الاجتهاد، ولهذا سمّي بالدليل الاجتهادي، ويقول: لقد وجد علماء الشيعة فيه ميداناً فسيحاً لاجتهادهم، فأحدث المتأخرون قواعد فقهية جديدة، وعدّلوا كثيراً من القواعد القديمة، وقلّموا وطعّموا جميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات.

إن الاجتهاد يكون مع وجود الأدلة الأربعة، فمع نصوص القرآن يكون في الفهم

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ١١١.

٢. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، بيروت، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٦٨٦، رقم ١١٤.

٣. أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، منشورات مكتبة الزواد بالقطيف، ج٢، ص ١٢٥.

٤. مبادئ أصول الفقه، د. عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٨٠.

والاستنباط، ومع السنّة يكون في سند الحديث، وفهم ألفاظه، ويكون في الإجماع، في إمكان تحققه، أما الدليل الرابع فكما قدمنا من أبرز مظاهر الاجتهاد، حيث لا نص ولا إجماع.

وقد أخذت مذاهب السنّة بالاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير في كثير من الموارد، كما أخذت الشيعة بالاستصلاح والعلة المنصوصة ومفهوم الموافقة، ولكن أركان الدليل الرابع وأقسامه الرئيسية عند أولئك هي القياس والاستحسان والاستصلاح، وعند هؤلاء الاستصحاب والاحتياط والتخيير[1].

مما تقدم يتأكد لنا دور العقل في منظومة الاجتهاد في إطار التشريع الإسلامي.

وإذا كان العقل يعتبر الدليل الرابع من أدلة التشريع الإسلامي كما يؤكد ذلك علماء الأصول، وأن للعقل دوراً لا يمكن إنكاره في بناء (الحقل التشريعي) فمن الأولى جواز استعمال العقل في القضايا العامة مما يرتبط بمصالح الناس.

وشرعية الاجتهاد العقلي[2] -كما هو الاجتهاد الشرعي- يعطي شرعية للرأي الآخر في الحقل التشريعي، وبالأولى بعد ذلك استجلاء شرعية الرأي الآخر في مجال القضايا العامة.

والاجتهاد، سواء في حقل التشريع أو في غيره، ما هو إلا إعمال للعقل، وجواز إعمال العقول المتعددة -كما هو مفترض- يستدعي بالضرورة تقبل نتائج الاجتهادات التي قد تتفق وقد تختلف، وهذا بذاته إعلان عن شرعية ومشروعية الرأي الآخر إن كان في مجال التشريع، أو في مجال القضايا العامة التي تهم الجميع، إذ لا غضاضة في اجتهاد كل ذي

١. مع الشيعة الإمامية، الشيخ محمد جواد مغنية،، دار التيار الجديد - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، ص٥٣١.

٢. ينقسم الاجتهاد إلى قسمين هما:

أ- الاجتهاد العقلي: ونريد به ما كانت الطريقية أو الحجية الثابتة لمصادره عقلية محضة غير قابلة للجعل الشرعي، وينتظم في هذا القسم كل ما أفاد العلم الوجداني بمدلوله كالمستقلات العقلية، وقواعد لزوم دفع الضرر المحتمل، وشغل الذمة اليقيني يستدعي فراغاً يقينياً، وقبح العقاب بلا بيان وغيرها.

ب- الاجتهاد الشرعي: ونريد به كل ما احتاج إلى جعل أو إمضاء لطريقيته أو حجيته، ويدخل ضمن هذا القسم: الإجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان والعرف والاستصحاب، وغيرها من مباحث الحجج والأصول العملية مما يكشف عن الحكم الشرعي أو الوظيفة المجعولة من قبل الشارع عند عدم اكتشافه.. ولمزيد من الاطلاع راجع كتاب: (الأصول العامة للفقه المقارن) للسيد محمد تقي الحكيم، ص٥٧١.

عقل في القضايا العامة التي لا ترتبط بجوانب التشريع، أما في حقل التشريع فالاجتهاد فيه منحصر في كل من تتوافر فيه مؤهلات وشروط الاجتهاد.

العقل والحق في التفكير

عندما خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان العقل، فإنما أراد منه أن يفكر ويبدع ويجتهد ويُعمل عقله في جميع جوانب الحياة.

ولأن الإنسان كائن عاقل، فمن حقه بعد ذلك أن يفكر، ويستثمر عقله في تطوير حياته العلمية والعملية، وحق التفكير يعطي للإنسان حق الاختلاف مع الآخرين؛ لأن تفكير الذات قد لا ينسجم مع تفكير الآخر، وما يجتهد فيه الآخر من رؤى وأفكار وتصورات قد يختلف عمّا يتوصل إليه الذات، وهو حق مشروع للذات وللآخر؛ لأن من حق كل واحد منا أن يفكر، وإلا إذا صادرنا حق الإنسان في التفكير فنحن في الحقيقة نصادر عقله، ونلغي بالتالي دوره الذي من أجله وُجد في الإنسان.

ولقد أوضح القرآن بجلاء دور العقل ومكانته في كثير من آياته الشريفة، وحث الإنسان فيها على ممارسة التفكير والتدبّر والتعقّل والتأمل الواعي، يقول الله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[3].

ويكفي أن نعلم أن عدد الآيات التي وردت في القرآن الدالة على التفكير والاجتهاد وما يتعلق بهما من ألفاظ كالتعقل والتفقه والتدبر والتأمل والتذكر ما يقارب الثلاث مئة آية، فآيات القرآن التي تحدثت عن فعل العقل والتعقل هي تسع وأربعون آية، وآياته التي تحدثت عن القلب، ومن وظائفه التفكير والتعقل، تبلغ مئة واثنتين وثلاثين آية، ولقد ورد الحديث في القرآن عن (اللب) بمعنى العقل؛ لأنه جوهر الإنسان وحقيقته، في ستة

١. سورة الجاثية، الآية: ١٣.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٧٥.
٣. سورة محمد، الآية: ٢٤.

عشر موضعاً، وجاء الحديث فيه عن (النُّهى) بمعنى العقول في آيتين، أما التفكر، فلقد جاء الحديث عنه بالقرآن في ثمانية عشر موضعاً، وجاء الحديث فيه عن (الفقه) في عشرين موضعاً، وجاء حديثه عن (التدبر) في أربع آيات، وعن (الاعتبار) في سبع آيات، وعن (الحكمة) في تسع عشرة آية.. الأمر الذي يجعل رصيد (التفكير) و (الاجتهاد) في القرآن ضخماً جداً.

إن الله تعالى شاء أن يجعل معجزة الإسلام معجزة عقلية أدبية، ولم يجعلها معجزة حسية، كما كان في رسالات سبقت، إعلاءً لشأن العقل في هذا الدين[1].

وروي عن الرسول ﷺ قوله: «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة»[2]، وقوله ﷺ: «تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله»[3].

هكذا يأمرنا الله عز وجل ورسوله ﷺ بضرورة بل بوجوب التفكير، فهل يحق لأحد بعد هذا أن يطالبنا بالتوقف عن التفكير؟! وهل يجوز لأحد -كائناً ما كان- أن يطالب الآخرين بإلغاء عقولهم كي يأخذوا بما توصل إليه هو من آراء واجتهادات وأفكار؟!

يقول الأستاذ (عمر عبيد حسنة): «إن إغلاق الاجتهاد هو إلغاء للعقل، والفكر، والبحث، والنظر، ومحاصرة للإسلام الخالد عن الامتداد، وإن أول مظاهره: إلغاء إنسانية الإنسان، وغياب الشورى، وإهدار حقوق الإنسان، واستحكام الأزمة الفكرية، التي جرّت علينا كل المحن والبلايا، حتى أصبحنا نعيش في أجواء من الإرهاب الفكري، تجعلنا نخاف من التفكير، وإبداء الرأي؛ لأن قائمة العقوبات والاتهامات بانتظارنا، وسوف تطاردنا باسم الخوف على الشريعة والدين، أمكننا القول: إن كل الإصابات الأخرى التي لحقت بالعقل المسلم هي أعراض لهذا المرض الأصلي»[4].

١. انظر كتابنا: شرعية الاختلاف، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م، ص٩٨ - ٩٩.

٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، - ج٣، ص١٠٦، رقم ٥٧١٠.

٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج٣، ص١٠٦، رقم ٥٧٠٤.

٤. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، - ص١٠٣.

وما دام من حق الإنسان أن يفكر لأنه كائن عاقل، فمن حقه أن يختلف، وما دام من حق الإنسان أن يجتهد فمن حقه أن لا يتفق مع غيره، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نفكر، وأن نجتهد، وأن نبدع، وأن نستثمر عقولنا، وأن نؤمن بما نعتقد فيه عن قناعة ونظر واستدلال، وهذه هي وظيفة العقل.

العقل والحق في الاختلاف

خلق الله تعالى البشر مختلفين ومتفاوتين في عقولهم وإدراكهم للأشياء، فلكل إنسان شخصيته المستقلة، وتفكيره الخاص به، ونظرته للأمور، فكما ينفرد كل واحد منا ببصمة بنانه، وصورة وجهه، ونبرة صوته، كذلك ينفرد بلون تفكيره وتفكره وميوله وذوقه ومزاجه، ونظرته الخاصة إلى الأشخاص والأشياء والقضايا المختلفة.

وانطلاقاً من هذا فإن الاختلاف في القضايا الفقهية والفكرية والسياسية أمر طبيعي، وذلك لما فطر عليه الناس من تباين في عقولهم وأفهامهم ومداركهم، يقول الله تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[1]، ويقول الإمام علي عليه السلام: «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»[2] مما يعني أن العقول ليست بدرجة واحدة، وبالتالي يتباين مستوى الإدراك والفهم والوعي عند الناس، مما يسبب اختلافهم في المواقع والآراء والاجتهادات.

ثم إن الاختلاف بين البشر، وتباين مواقفهم أو تعارضها هو من سنن الله في الكون، إذ إن اختلاف الناس في الدين -وفي غيره- واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى والمسلم يوقن أن مشيئة الله لا رادَّ له ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، وهذه المشيئة ثابتة في نصوص القرآن الكريم، في مواضع عدة كقوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم** ﴾[3]، وقوله تعالى:

١. سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

٢. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، - ج٤، ص٦٩٥.

٣. سورة المائدة، الآية: ٤٨.

﴿ وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3].

والمعنى المشترك بين هذه الآيات أن الله جلت قدرته يستطيع أن يجعل الناس على دين واحد، ورأي واحد، في حياتهم الاجتماعية كما النحل أو النمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة كما يقول الشيخ رشيد رضا صاحب (المنار) ولكنه لحكمة أرادها أرادهم مختلفين[4].

ولعل من أبرز أسباب الاختلاف بين الناس هو تفاوت العقول، ومن ثم تفاوت مستوى الإدراك والعلم والمعرفة والفهم بين بني البشر، مما يؤدي إلى اختلاف الرؤى والمواقف والمناهج والمذاهب والمدارس.

وإذا كان من حقي أن أعبر عما أتوصل إليه (بعقلي) من اجتهادات وأفكار وآراء، فإن من حق (العقل الآخر) أن يعبر عن رأي آخر، وعن فكر آخر، وعن اجتهاد آخر، وعن منهج آخر؛ إذ لا ولاية لعقل على عقل آخر، ولا سلطان لأحد على أحد في هذا المضمار.

العقل يدعو إلى التسامح

إن العقل المجرد من الأهواء والمصالح والملوثات المختلفة يدعو إلى التسامح مع الآخرين سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي العام.

فما دام أن من حق الإنسان أن يفكر، ويجتهد، ويعمل عقله فلابد وأن يتوصل إلى نتائج معينة، قد تكون متطابقة وفي أحيان أخرى مختلفة ومتباينة، وليس من حق أحد أن يفرض وصايته على الآخرين، أو يجعل نفسه وكيلاً عن قيام الآخرين بالتفكير والتعقل والتفكر

١. سورة النحل، الآية: ٩٣.
٢. سورة هود، الآيتان: ١١٨ – ١١٩.
٣. سورة يونس، الآية: ٩٩.
٤. حتى لا تكون فتنة، فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص١٤٠.

والتأمل، والصحيح أنه لا حل أمام وجود الآراء المختلفة أو الكيانات المتغايرة إلا العمل بمبدأ التسامح الفعال والتعايش الإيجابي.

والبديل عن التسامح التصارع، وعن التعايش التحارب، وقد رأينا أن المجتمعات التي وقعت في أحابيل التعصب واللاتسامح والتشدد دخلت في حروب أهلية عبثية، وساد بين مكوناتها الكراهية والبغضاء والشحناء؛ وهو ما يخالف منطلق العقل والحكمة.

وفي المقابل نرى المجتمعات المتقدمة علمياً وحضارياً تعيش التسامح والتعايش بين مكوناتها الدينية والاجتماعية والفكرية والسياسية، وهذا التسامح سمح لها بالتفرغ للإبداع والابتكار والإنتاج والتقدم.

ولأن الإسلام دين العقل والسماحة والرحمة والمحبة فإنه يشجع على التسامح والتعايش بعيداً عن لغة التعصب والتشدد والتقاطع والتباغض.

وزبدة القول: أن للتسامح جذوراً وقواعد في الإسلام، وقد ذكرنا أربع قواعد تدل على التسامح، وهي القاعدة الأولى قرآنية (لا إكراه في الدين)، والقاعدة الثانية فقهية: وهي قاعدة (الإلزام)، والقاعدة الثالثة أخلاقية وهي (أخلاقيات الإسلام)، والقاعدة الرابعة قاعدة عقلية وهي قاعدة (حجية العقل) وبهذه القواعد الأربع أثبتنا أن التسامح هو منهج أصيل وله جذور عميقة في الدين الإسلامي الحنيف.

الفصل الثالث

الإمام الحسين عليه السلام وأخلاقيات التسامح

- مدخل تمهيدي.
- تواضعه.
- حلمه.
- صبره.
- عفوه وصفحه.
- رحمته ورفقه.
- كرمه وجوده.
- إحسانه.

مدخل تمهيدي

أكّد الإسلام ضرورة التحلي بمكارم الأخلاق، والتعامل مع الآخرين بحسن الخلق، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخْلاقِ»[1] وعنه صلى الله عليه وآله قال: «إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم فَسَعُوهم بأَخْلاقِكم»[2]. وقال صلى الله عليه وآله: «لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَالْقَوْهُمْ بِطَلَاقَةِ الْوَجْه وحُسْنِ الْبِشْرِ»[3]. وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ أحَبّكُم إلَيَّ وأقرَبَكُم مِنّي يَومَ القِيامَةِ مَجلِساً أحْسَنُكُم خُلقاً، وأشَدُّكُم تَواضُعاً»[4]. وقال صلى الله عليه وآله: «ما مِن شيءٍ أثقَلُ في الميزانِ مِن حُسنِ الخُلقِ»[5]. وقال صلى الله عليه وآله: «أكمَلُ المؤمنينَ إيماناً أحْسَنُهُم خُلقاً»[6].

وسُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟

فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[7].

وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «رَوِّضوا أنفُسَكُم على الأخْلاقِ الحَسَنَة؛ فإنّ العَبدَ المُسلِمَ يَبلُغُ بحُسْنِ خُلقِه دَرجَةَ الصّائم القائم»[8]. وعنه عليه السلام: «علَيكُم بمَكارِمِ الأخْلاقِ فإنّها رِفْعَةٌ، وإيّاكُم والأخْلاقَ الدَّنِيَّةَ فإنّها تَضَعُ الشَّريفَ وتَهْدِمُ المَجْدَ»[9].

وَجَسَّدَ أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام أخلاق الإسلام وآدابه عملياً، فكانوا مدرسة مثالية في تعليم قيم ومبادئ وفضائل الأخلاق الإسلامية.

والإمام الحسين عليه السلام ضرب أروع الأمثلة وأجملها في سيرته الأخلاقية الرفيعة، وكان مثالاً رائعاً لحسن الخلق، ومكارم وفضائل الأخلاق.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٦، ص ٢١٠.
٢. الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦٢، رقم ٢٣/ ٩. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٦١، رقم ١٥٩٥٤.
٣. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١١٠، رقم١.
٤. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٥، الرقم ٢٦.
٥. عيون أخبار الرِّضا: ج ٢، ص ٤٠، رقم ٩٨. الوسائل، ج ١٢، ص ١٥٢، الرقم ١٥٩٢٣.
٦. الوسائل، ج ١٢، ص ١٥٦، الرقم ١٥٩٣٧. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٢٦، الرقم ١٥.
٧. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٠، ص ٣٥٩، رقم ٢٥٨٢٧. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٣، ص ٦٩٨، رقم ٨٤٩٨.
٨. الخصال: ص ٦٢١، رقم ١٠.
٩. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٥٣، رقم ٨٩.

فالإمام الذي تربى في حضن جده الرسول الأعظم ﷺ قد نهل منه مكارم الأخلاق، وهو الذي مدحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾[1] وقد شهد بعظمة أخلاقه ﷺ الأعداء قبل الأصدقاء، وغير المسلمين فضلاً عن المسلّمين.

وقد سار الإمام الحسين عليه السلام على نهج جده رسول الله ﷺ، ونهج والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فكان المثل الأعلى في الأخلاق قولاً وفعلاً وسلوكاً وتقريراً.

وقد حَثَّ الإمام الحسين عليه السلام على ضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة، وعد ذلك عبادة؛ حيث قال عليه السلام: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ عِبادَةٌ »[2].

وأوضح عليه السلام بعض معاني المفردات الأخلاقية، وأهمية التجمل بالسجايا والفضائل الخُلُقية؛ فمن روائع حكمه النفيسة قوله عليه السلام: «الصِّدْقُ عِزٌّ، وَالْكِذْبُ عَجْزٌ، وَالسِّرُّ أَمانَةٌ، وَالْجِوارُ قَرابَةٌ، وَالْمَعُونَةُ صَداقَةٌ، وَالْعَمَلُ تَجْرِبَةٌ، وَالصَّمْتُ زَيْنٌ، وَالشُّحُّ فَقْرٌ، وَالسَّخاءُ غِنىً، وَالرِّفْقُ لُبٌّ »[3].

وقال عليه السلام: «إِنَّ الْحِلْمَ زِينَةٌ، وَالْوَفاءَ مُرُوَّةٌ، وَالاِسْتِكْبارَ صَلَفٌ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَّفَهَ[4] ضَعْفٌ »[5].

وقال عليه السلام: «لا تَتَكَلَّفْ ما لا تُطيقُ، وَلا تَتَعَرَّضْ لِما لا تُدْرِكُ، وَلا تَعِدْ بِما لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلا تُنْفِقْ إلاّ بِقَدَرِ ما تَسْتَفيدُ، وَلا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزاءِ إلاّ بِقَدَرِ ما صَنَعْتَ، وَلا تَفْرَحْ إلاّ بِما نِلْتَ مِنْ طاعَةِ اللهِ تَعالى، وَلا تَتَناوَلْ إلاّ ما رَأَيْتَ نَفْسَكَ لَهُ أَهْلاً »[6].

وبالإضافة لما بينه الإمام الحسين بن علي عليه السلام من معاني مفردات مكارم الأخلاق،

---

١. سورة القلم، الآية: ٤.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢.

٣. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١٧٢.

٤. السَّفَه: ضدّ الحلم، وأصله الخفّة والحركة (الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٣٤« سفه»).

٥. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٢٢، رقم ٥. الفصول المهمة، ج ٢، ص ٧٧١. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ٢٠١.

٦. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص ٧٧. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٤٥١.

والحث عليها، والترغيب فيها، جَسَّدَ عملياً الأخلاق الفاضلة، وضرب أروع الأمثلة وأجمل الصور في تطبيق الأخلاق في سيرته العملية والحياتية.

وسنركز البحث في هذا الفصل على منهجه الأخلاقي الرائع، وتجسيده لأخلاقيات التسامح والتي من أبرزها: تواضعه، وحلمه، وصبره، وعفوه، وصفحه، ورأفته، ورحمته، وإحسانه، وكرمه، وبره حتى لمخالفيه وأعدائه.

إننا إذ نستعرض ملامح المنهج الأخلاقي للإمام الحسين عليه السلام علينا أن نقرأ ذلك كمنهج للتسامح الأخلاقي والإنساني والاجتماعي الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام، وضرورة تحلي المجتمع المسلم بتلك الأخلاق الإسلامية حتى نعزز مفهوم التسامح في مجتمعنا بين مختلف المكونات الاجتماعية والتيارات الثقافية والفكرية المتعددة بما يُسهم في الارتقاء والنهوض بالسلم الاجتماعي، والتقدم الحضاري.

تواضع الإمام الحسين عليه السلام

التواضع صفة أخلاقية حميدة، لأنه يعبر عن سمو النفس ورفعتها، فالتواضع -كما عرفه علماء الأخلاق- هو اللين مع الخلق، والخضوع للحق، وخفض الجناح.

وبهذا المعنى فإن التواضع من أخلاقيات التسامح، إذ يرمز إلى خفض الجناح ولين الجانب، ولا يمكن أن يكون الإنسان متسامحاً إلا إذا كان كذلك، أما المتكبر والمغرور والمعجب بنفسه فيتصف عادة بعدم التسامح والتعصب والحدية في القول والفعل.

وقد حَثَّ القرآن الكريم المؤمنين على التواضع، وبالرغم من أن كلمة (التواضع) لم ترد بلفظها في القرآن الكريم، ولكن وردت كلمات تشير إليها وتدلُ عليها، منها قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]. إلى غيرها من الآيات الشريفة التي فيها معنى التواضع.

١. سورة الحجر، الآية: ٨٨.
٢. سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
٣. سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

أما في السنّة المطهّرة فقد رُوِي الكثير من الروايات التي تحثّ على التحلي بصفة التواضع، والتي توضح أيضاً فضيلته وفضله، منها قول الرسول ﷺ: «لا حسب إلا بتواضع»[1] وقوله ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله»[2] وقوله ﷺ: «إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله»[3] وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة» قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: «التواضع»[4] وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عليك بالتواضع، فإنه من أعظم العبادة»[5] وورد عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: «فيما أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام يا داود كما أنَّ أقرب النّاس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون»[6] وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه»[7]... إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي تبين أهمية التواضع وفضيلته، فحريّ بالمسلم أن يتصف بهذه الصفة الأخلاقية الرفيعة، والتي توصله للفلاح والسعادة في آخرته ودنياه.

شواهد من تواضع الإمام الحسين عليه السلام

إن التواضع سمة بارزة من سمات الأنبياء والأئمة والأولياء والعلماء والحكماء، وقد سجلت لنا كتب التاريخ والسيرة الكثير من القصص والشواهد والأمثلة على ذلك.

ومن هؤلاء العظماء الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي كان مثالاً بارزاً للتواضع ولين الجانب وخفض الجناح للمؤمنين، وقد نقلت لنا كتب السيرة والتراجم والتاريخ شواهد مشرقة من تواضعه عليه السلام، نشير إلى بعضها وهي:

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٤، ص ١٦٨.
٢. صحيح مسلم، ج٣، ص٤٣٢.
٣. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ١٣٠، رقم ١.
٤. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.ش، ص ٢٠٥. إحياء علوم الدين، ج٣، ص٢٤١. ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٥٥٤.
٥. مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٢٩٦، رقم ١٣٠٧٩. بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١١٩، رقم ٥. ميزان الحكمة، ج٨، ص ٣٥٥٤، رقم ٢١٨٢٦.
٦. أصول الكافي، ج ٢، ص ١٣٢، رقم ١١.
٧. أصول الكافي، ج٢، ص ١٣٥، رقم ٢.

١ – روى العياشي في تفسيره عن مسعدة بن صدقة قال: مَرَّ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عليه السلام بِمَساكينَ قَد بَسَطوا كِساءً لَهُم، فَألقَوا عَلَيهِ كِسَراً فَقالوا: هَلُمَّ يَابنَ رَسولِ الله!

فَثَنى وَرِكَهُ فَأَكَلَ مَعَهُم، ثُمَّ تَلا: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}[١]، ثُمَّ قالَ: قَد أَجَبتُكُم فَأَجيبوني.

قالوا: نَعَم يَابنَ رَسولِ الله ونُعمى عَينٍ[٢]. فَقاموا مَعَهُ حَتّى أَتَوا مَنزِلَهُ.

فَقالَ [عليه السّلام] لِلرَّبابِ: أخرِجي ما كُنتِ تَدَّخِرينَ[٣].

٢ – نقل ابن شهر آشوب: مَرَّ [الحُسَينُ عليه السلام] بِمَساكينَ وهُم يَأكُلونَ كِسَراً لَهُم عَلى كِساءٍ، فَسَلَّمَ عَلَيهِم فَدَعَوهُ إلى طَعامِهِم، فَجَلَسَ مَعَهُم، وقالَ: لَولا أَنَّهُ صَدَقَةٌ لَأَكَلتُ مَعَكُم.

ثُمَّ قالَ: قوموا إلى مَنزِلي. فَأَطعَمَهُم وكَساهُم وأَمَرَ لَهُم بِدَراهِمَ[٤].

٣ – روى قطب الدين الراوندي: بعثت امرأة الحسين إليه: إنا صنعنا ألواناً من الطعام الطيب وصنعنا طيّباً فانظر أكفاءك فأتنا بهم، فدخل الحسين عليه السلام المسجد فجمع السؤّال الذين فيه والمكاتبين فانطلق بهم إليها، فأتاها جواريها فقلن: قد والله جلب عليك المساكين، ودخل الحسين عليه السلام على امرأته، فقال: أعزم عليك خُواناً عن خُوان[٥] لا تدخري طعاماً ولا طيّباً، ففعلت[٦].

وتدل هذه القصص عن تواضع الإمام الحسين عليه السلام أنه كان شديد التواضع للمؤمنين، وكان يخالط الفقراء والمساكين والضعفاء، ويجالسهم، ويأكل معهم، ويكرمهم، ويدعوهم إلى منزله، ويفيض عليهم بعطفه وحنانه.

---

١. سورة النحل، الآية: ٢٣.

٢. قال ابن منظور: نُعمَة العين: قُرّتُها، والعرب تقول: نَعْمَ ونُعْمَ عينٍ ونُعمَةُ عينٍ ونَعمَةَ عينٍ ونِعمَةَ عينٍ ونُعمى عينٍ...(لسان العرب: ج ١٢ ص ٥٨١« نعم»).

٣. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٢٥٧ ح ١٥. بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٩ ح ١. تاريخ دمشق: ج ١٤ ص ١٨١. الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٤، ص ٣٠٠-٣٠١، رقم ٣٠٦٠٣.

٤. المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٦٦، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩١ ح ٣. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٢٤٥.

٥. أي هاتي خُواناً بعد خُوان.

٦. مكارم أخلاق النبي والأئمة، قطب الدين الراوندي، ص ٢٤٥، رقم ٣٠٢.

وتواضع الإمام الحسين ﷺ لم يكن عن تصنع أو تكلف، وإنما هو مَلَكة جُبِلَ عليها، فهو يحب التواضع ويأنس به، ويجالس المتواضعين، ويحب الفقراء والمساكين.

ومن جهة أخرى كان ﷺ يكره التكبر والكبرياء، ويتجنب مجالسة المتكبرين والطغاة والظالمين.

فلنتعلم من تواضع الإمام الحسين ﷺ كيف نتواضع للمؤمنين، ونتعامل برفق ولين وتسامح مع الفقراء والمساكين والضعفاء، فالمتواضع محبوب عند الله تعالى، وعند الناس. والمتكبر مبغوض عند الله عز وجل، ومنبوذ عند الناس.

وفي سيرة الإمام الحسين ﷺ درس تربوي مهم في ترسيخ التسامح الاجتماعي؛ إذ أن كثيراً من المشاكل الاجتماعية والسياسية تتولد نتيجة الشعور بالعجب والغرور والتكبر تجاه المكونات والتيارات الأخرى، بينما التواضع ولين الجانب وخفض الجناح يؤدي إلى التسامح، إذ يساعد ذلك على خلق روح إيجابية في التعامل مع الآخرين والتعايش الإيجابي معهم، وتعزيز قيم التآلف والتعاون والتراحم والتواصل والتفاعل والتسامح الفعال.

حلم الإمام الحسين ﷺ

الحلم خُلُق من أخلاق الإسلام، وهو من مكارم الأخلاق، وأعز الخصال، وأجمل الصفات، وأشرف السجايا، وأنفع الأعمال في جلب المودة والمحبة والألفة.

وقد ذكر الحلم في القرآن الكريم نحو عشرين مرة في سور متعددة، وقد مدح الله تعالى الحلماء والكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾[2].

ومما يدلل على المكانة الرفيعة للحلم في نظر القرآن الكريم أنه ذكر اتصاف الله تعالى بصفة الحلم في عدد من الآيات الشريفة كقوله تعالى: ﴿ **لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**

١. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
٢. سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[4]... وغيرها من الآيات الشريفة الدالة على أن من صفات الله تعالى الحلم.

وإذا كان معنى الحلم هو الأناة وضبط النفس فإن الحلم بالنسبة إلى الله عز وجل بعني الإمهال وتأخير العقوبة على الذنب.

تعريف الحلم

عرّف الراغب الأصفهاني الحلم بأنه: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب[5].

وقد عرّف العلماء فضيلة الحلم بأنها حالة يظهر معها الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب، أو الباعثة على التعجل في العقوبة. وعرفوه كذلك بأنه حبس النفس حتى تخضع لسلطان العقل، وتطمئن لما يأمرها به.

وقد يعبر بعض الباحثين في الأخلاق عن الحلم بأنه (ضبط النفس)، وهذا غير بعيد عن الصواب، لأن ضبط النفس هنا يعني إخضاع قوتها الغضبية لسلطة العقل المفكر المدبر، وهذا هو مضمون الحلم، فعلى الرغم من أن الحليم قد سمع أو رأى أو علم ما يثير غضبه نراه متحلياً بالهدوء وضبط النفس[6].

فالحلم إذن هو ضبط النفس تجاه مسببات ومثيرات الغضب، والتحكم الإيجابي في الانفعالات الناتجة من حالة الغضب والهيجان.

١. سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.
٢. سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.
٣. سورة النساء، الآية: ١٢.
٤. سورة الحج، الآية: ٥٩.
٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١٣٦.
٦. موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج١، ص١٨٢.

بين الحلم وكظم الغيظ

قد نعبر عن الحلم بكظم الغيظ، أو عن كظم الغيظ بالحلم، لكن العلماء قالوا: إن كظم الغيظ هو التحلم، أما الحلم فهو طبيعة ذاتية في الشخص لقدرته على ضبط انفعالاته.

«وقد يشتبه الحلم بكظم الغيظ، مع أن هناك فرقاً بينهما -كما أشار الغزالي- فكظم الغيظ هو التحلم، أي تكلف الحلم، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في الكظم من كتمان ومقاومة واحتمال، وأما الحلم فهو فضيلة أو خلق يصبح كالطبيعة، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه على صاحبه، وانكسار قوة الغضب عنده، وخضوعها للعقل. ولكن هناك ارتباطاً بين الحلم وكظم الغيظ، لأن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم»[1].

ولكن هذا لا يمنع عن القول أن الحلم قد يأتي بمعنى كظم الغيظ أيضاً، وهو ضبط النفس عند هيجان الغضب، فقد سأل أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسين عليه السلام عن الحلم قائلاً له: يا بني ما الحلم؟

قال عليه السلام: « كَظْمُ الْغَيْظِ وَمِلْكُ النَّفْسِ »[2].

الإمام الحسين عليه السلام والحلم

من أسمى صفات الإمام الحسين عليه السلام الحلم، ومن أبرز خصائصه، فقد كان- فيما أجمع عليه الرواة- لا يقابل مسيئاً بإساءته، ولا مذنباً بذنبه، وإنما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه شأنه في ذلك شأن جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله، وقد عرف بهذه الظاهرة وشاعت عنه، وقد استغلها بعض مواليه فكان يعمد إلى اقتراف الإساءة إليه لينعم بصلته وإحسانه[3].

وقد عد الإمام الحسين عليه السلام أن الحلم زينة يتزين بها الإنسان، فقد قال عليه السلام: « إِنَّ الْحِلْمَ زِينَةٌ»[4]. فعلينا أن نتزين بهذه الزينة والتي تظهر جمال الروح، وجمال الأخلاق، وجمال التسامح.

١. موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ج١، ص١٨٣.

٢. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ٩، ص ١١، رقم ١٠٠٥٦.

٣. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ج١٢، ص ١٣٢ – ١٣٣.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ١٢٢، رقم ٥.

وروى الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم»[1]. فلا قيمة للعلم من دون حلم، بينما العالم الحليم يفيد الناس، ويتواضع لهم، ويتسامح مع جاهلهم، ويعفو عن مسيئهم، ويصفح عن مخطئهم، ويتحمل أذاهم.

شواهد من حلم الإمام الحسين عليه السلام

سجل لنا التاريخ بعض الشواهد والقصص عن حلم الإمام الحسين عليه السلام، ومنها:

١- التعامل بلطف وحلم مع الشاتم:

ذكر المحدث الشيخ عباس القمّي قال:

رأيتُ في بعض الكتب الأخلاقية ما هذا لفظه: قال عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليه السلام، فأعجبني سَمتُهُ[2] ورُواهُ[3]، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال عليه السلام: نعم.

فبالغت في شتمه وشتم أبيه!

فنظر إليَّ نظرة عاطف رؤوف ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**﴾[4].

ثم قال عليه السلام لي: «خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك».

قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني.

---

١. الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٤- ٥، رقم ١١.

٢. السَّمْتُ: الهَيئَةُ الحسنة (النهاية: ج ٢ ص ٣٩٧ «سمت»).

٣. الرُّواء: المنظر الحسن (النهاية: ج ٢ ص ٢٨٠ «روى»).

٤. سورة الأعراف الآيات: ١٩٩ – ٢٠٢.

فقال عليه السلام: ﴿ **قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ وهو تعبير قرآني جميل عن العفو والتسامح.

ثم سأله: من أهل الشام أنت؟

قلت: نعم.

فقال عليه السلام: « **أجَل، شِنشِنَةٌ[1] أعرِفُها من أخزَمَ!** » وأضاف: «حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى».

قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذاً، وما على الأرض أحب إليّ منه ومن أبيه[2]. [3]. وقُلتُ: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ﴾[4].

وتبين هذه القصة مدى حلم الإمام الحسين عليه السلام وكظمه لغيظه تجاه إساءات هذا الرجل الشامي الذي كان يشتمه ويسبه ويشتم أباه وهو موقف يثير الغضب والانفعال، لكن الإمام الحسين عليه السلام بحلمه وتعامله اللطيف والحليم مع جهل هذا الرجل الذي لا يعرف مقام الأئمة عليهم السلام وفضلهم، استطاع أن يجذبه بالحلم إلى محبة أهل البيت بعدما كان يحمل العداوة والبغضاء ضدهم.

٢- كففت عن جوابك حلماً:

كان الحسين عليه السلام جالساً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فسمع رجلاً - من بني أمية - يحدث

١. الشِّنشِنَةُ: الطبيعة والخليقة والسجيّة، وفي المَثَل: « شِنشِنَةٌ أعرفُها من أخزَم». قال ابن بري: كانَ أخزَمُ عاقّاً لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا جدّهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك (لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٤٣ « شنن»).

٢. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ص ٢٠٨. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥هـ، ج ٤٣، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

٣. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ص ٢٠٨. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥هـ، ج ٤٣، ص ٢٢٤ – ٢٢٥، الرقم ٥٠٧٨.

٤. سورة الأنعام: ١٢٤.

أصحابه، ويرفع صوته ليُسمع الحسين وهو يقول: إنا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، ونلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبم يفخرون علينا؟ وكرر هذا القول ثلاثاً.

فأقبل عليه الحسين عليه السلام فقال له: «إني كففتُ عن جوابك في قولك الأول حلماً، وفي الثاني عفواً، وأما في الثالث فإني مجيبك، إني سمعت أبي يقول: إن في الوحي الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صور الذر يطأهم الناس حتى يفرغ من الحساب، ثم يؤتى بهم فيحاسبوا، ويصار بهم إلى النار».

فلم يطق الأموي جواباً وانصرف وهو يتميز من الغيظ[1].

الحلم والتسامح

إن الحلم وكظم الغيظ إذا تحول إلى منهج اجتماعي عام فإنه يساهم في إشاعة أجواء التسامح بين مختلف المكونات الاجتماعية، والتوجهات المختلفة، والمذاهب والأديان المتعددة.

فعندما نتحدث عن الحلم فإننا لا نقصد به صفة فردية حميدة وحسب، وإنما نريد منه أن يتحول إلى منهج اجتماعي عام.

وحينما نتعمق في قراءة سيرة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام ومنهم: الإمام الحسين عليه السلام فإننا نلحظ ذلك بوضوح، فكانوا حريصين أشد الحرص على إشاعة روح الحلم بين الناس، وتحويل هذه الصفة الأخلاقية الحميدة إلى منهج اجتماعي كي يسود التسامح والمحبة والألفة بين مختلف أفراد المجتمع ومكوناته.

وانطلاقاً من ذلك علينا كأفراد وجماعات ومجتمعات أن نتحلى بصفة الحلم وكظم الغيظ باعتبارها صفة من صفات المتسامحين، ومفردة من مفردات التسامح.

أما إذا ساد الغضب – الذي هو ضد الحلم – والتشنج والانفعال بين أفراد المجتمع، أو بين المكونات الاجتماعية المختلفة فقد يتحول المجتمع إلى ساحة للصراع والتصادم وشيوع

١. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص٢٣٥– ٢٣٦.

الأحقاد والعداوات المضرة بوحدة المجتمع وتماسكه.

صبر الإمام الحسين عليه السلام

كثيرة هي الآيات الشريفة والأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي تحث الإنسان على التحلي بفضيلة الصبر، والتأسي بالصابرين.

فقد بشر الله تعالى الصابرين بالحب والرحمة والرضا، كقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[2].

ووعدهم بالنصر والتأييد كما في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[3] وأعدَّ لهم الأجر والثواب الجزيل، يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[4].

ويكفي في شرف الصبر وجلالة الصابرين أن الله تعالى قد أشاد بهما في نيف وسبعين آية في القرآن الكريم، ومن أعظم أقسام الصبر هو الصبر على المكاره والنوائب والأرزاء، وخير ما يفعله المبتلى بمكروه أو رزية هو التحلي بفضيلة الصبر والتأسي والاقتداء بالصابرين!

وقد تواترت الأحاديث الشريفة في فضل الصبر ومدح الصابرين، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن صَبَرتَ جَرَى علَيكَ القَدَرُ وأنتَ مَأجُورٌ، وإن جَزِعتَ جَرَى علَيكَ القَدَرُ وأنتَ مَأزُورٌ»[5]. ويقول عليه السلام أيضاً: « مَن لَم يُنْجِهِ الصَّبرُ أهلَكَهُ الجَزَعُ »[6] ويقول عليه السلام أيضاً: « علَيكُم بالصَّبرِ؛ فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه»[7]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الصَّبرُ مِن الإيمانِ بمَنزلَةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، فإذا ذَهَبَ الرَّأسُ ذَهَبَ الجَسَدُ، كذلكَ إذا ذَهَبَ الصَّبرُ ذَهَبَ الإيمانُ »[8].

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
٢. سورة البقرة، الآية: ١٥٥.
٣. سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
٤. سورة الزمر، الآية: ١٠.
٥. نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ٢٠١٣م، ج ٤، ص ٣٨٤، رقم ٣١٠.
٦. نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، طبع عام ٢٠١٣م، ج٤، ص٣٦٩، رقم ١٩١.
٧. نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، طبع عام ٢٠١٣م، ج٤، ص، رقم ٨٣.
٨. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٤، رقم ٢.

وعنه عليه السلام قال: «الصَّبرُ رَأسُ الإيمانِ»[1] وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الجَنّةُ مَحفوفةٌ بالمَكارِهِ والصَّبرِ، فمَن صَبرَ على المَكارِهِ في الدُّنيا دَخلَ الجَنّةَ. وجَهنّمُ مَحفوفةٌ باللَّذّاتِ والشَّهَواتِ، فمَن أعطى نَفْسَهُ لَذَّتَها وشَهْوَتَها دَخلَ النّارَ»[2]. وقال الإمام السجاد عليه السلام: «الصَّبرُ مِن الإيمانِ بمَنزِلَةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، ولا إيمانَ لِمَن لا صَبرَ لَهُ»[3].

ومما تقدم من النصوص الدينية يتضح لنا أهمية الصبر ووجوب التحلي به، فهو عماد الفضائل، ورأس المكارم، وجميل المحاسن والمفاخر.

معنى الصبر

معنى الصبر: احتمال المكاره والبلايا من غير جزع أو هلع. والصبر المحمود هو الصبر على المكاره التي لا يمكن للإنسان دفعها كفقد قريب أو عزيز، أو سلب مال، أو ظلم ظالم، أو الإصابة بمرض مزمن.

وليس من الصبر في شيء الاستسلام للمكاره والبلايا التي يمكنه دفعها، بل هو حمق وسفاهة؛ كالقدرة على علاج المرض مع امتناعه عن تناول العلاج، أو الفقر مع قدرته على الاكتساب والعمل، أو القدرة على استرجاع حقوقه مع عدم السعي لاسترجاعها!

ومن أجمل وأعلى مراتب الصبر هو الصبر الجميل ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾[4] وقد فسّره الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «ذلكَ صَبرٌ ليسَ فيهِ شَكوى إلى الناسِ»[5].

والصبر الجميل دليل على سمو النفس، ورجاحة العقل، وسعة الأفق، وقوة الشخصية، أما الجزع فهو دليل على الضعف والهوان وخوار الإرادة والعزيمة.

أقسام الصبر

للصبر أقسام وأنواع ودرجات، وأعظمه هو الصبر على البلايا والأرزاء والمكاره

١. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٤، رقم ١.
٢. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٦، رقم ٧.
٣. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٥، رقم ٤.
٤. سورة يوسف، الآية: ١٨.
٥. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٠٠، رقم ٢٣.

والنوائب، فالإنسان عرضة لمختلف أنواع البلايا والرزايا والمآسي التي لا يستطيع دفعها ولا يملك لتجنبها حولاً ولا قوة، وأفضل ما يفعله المبتلى بشيء من ذلك هو التحلي بفضيلة الصبر، والاقتداء بالصابرين؛ فإنه بلسم للقلوب الحزينة، ودواء للنفوس المعذبة.

أما من يصاب بالجزع والهلع تجاه أي ابتلاء أو مكروه فإنه يكون عرضة للانهيار والضعف والخوار، ومأوى للأحزان والآلام والآهات المدمرة.

وقد قسَّم الإمام علي عليه السلام الصبر إلى قسمين فقال: «الصَّبرُ صَبرانِ: صَبرٌ على ما تَكرَهُ، وصَبرٌ عمّا تُحِبُّ »[1] وعنه عليه السلام أيضاً قال: «الصَّبرُ صَبرانِ: صَبرٌ عندَ المُصيبَةِ حَسَنٌ جَميلٌ، وأحسَنُ مِن ذلكَ الصَّبرُ عندَ ما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وجلَّ علَيكَ »[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصبر صبران: صبر عند البلاء، وأفضل منه الصبر عند المحارم»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الصبر صبران: فالصبر عند المصيبة حسن جميل، وأفضل من ذلك الصبر عما حرم الله عز وجل ليكون لك حاجزاً»[4].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الصبر صبران: صبر على البلاء، حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم»[5].

فعلى الإنسان المؤمن أن يصبر على طاعة الله، ويصبر عن فعل الحرام؛ فالصبر على فعل الطاعات والالتزام بالواجبات، والتصبر عن فعل المعاصي وارتكاب الشهوات المحرمة من أعظم الواجبات، وأحسن الأفعال.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «اصبروا على طاعة الله، وتصبروا عن معصية الله، فإنما الدنيا ساعة فما مضى فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغتبطت»[6].

وأوضح الإمام الصادق عليه السلام ما للصابرين من أجر وثواب في يوم القيامة، إذ روى

١. نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٥٣، رقم ٥٦.
٢. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٩٧، رقم ١١.
٣. مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٢٢، رقم ٢٣٤٨.
٤. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٨٨، رقم ٢٠٥٨.
٥. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص٩٨، رقم ١٤.
٦. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٣١، رقم ٢١.

هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس[1] فيأتون باب الجنة فيضربون، فيقال لهم: من أنتم؟

فيقولون: نحن أهل الصبر.

فيقال لهم: على ما صبرتم؟

فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا، أدخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**[2] ﴾[3].

الإمام الحسين عليه السلام والصبر

جسّد الإمام الحسين عليه السلام فضيلة الصبر في مختلف أبعادها وجوانبها، فقد تحمل الإمام عليه السلام من البلايا والرزايا والنوائب ما يعجز عنه أعاظم الرجال، وكان كالطود الشامخ لا تزيده المكاره والبلايا إلا ثباتاً ورسوخاً وقوة وعزة.

وللإمام الحسين عليه السلام كلمات عديدة في الحث على الصبر، والدعوة إلى التمسك بفضيلة الصبر حتى في أحلك الظروف وأصعبها، فالصبر الذي هو نقيض الجزع يعني ضبط الانفعالات السلبية، وحبس النفس عن فعل ما لا يرضى به الله سبحانه وتعالى، وتحمل المكاره والمصائب عن رضا بقضاء الله وقدره.

يقول الإمام الحسين عليه السلام وهو يحث على الصبر: « اصْبِرْ عَلى ما تَكْرَهُ فيما يُلْزِمُكَ الْحَقُّ، وَاصْبِرْ عَمّا تُحِبُّ، فيما يَدْعُوكَ إِلَيْهِ الْهَوى »[4].

وقال الإمام الحسين عليه السلام لأبي ذر، عندما نفي إلى الربدة: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ في الصَّبْرِ »[5].

وأمر الإمام الحسين عليه السلام أصحابه في كربلاء بالتحلي بالصبر قائلاً لهم: «إن الله قد أذن في

١. أي جماعة منهم.

٢. سورة الزمر، الآية: ١٠.

٣. أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٨٠، رقم٤.

٤. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، مدرسة الإمام المهدي، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ص ٨٥، رقم ١٨.

٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٢، ص ٤٣٦.

قتلكم، فعليكم بالصبر»[1].

وفي أصعب المواقف التي مرت بالإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء عندما كان يخرج أهل بيته للقتال، فكان يخرج منهم الرجل بعد الر جل حتى قتل القوم منهم جماعة، فصاح الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، صبراً؛ فو الله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً»[2]. وقال عليه السلام: «صَبراً بَنِي الكِرام، فَمَا المَوتُ إلّا قَنطَرَةٌ تَعبُرُ بِكُم عَنِ البُؤسِ وَالضَّرّاءِ إلَى الجِنانِ الواسِعَةِ وَالنَّعيمِ الدّائِمَةِ، فَأَيُّكُم يَكرَهُ أن يَنتَقِلَ مِن سِجنٍ إلى قَصرٍ؟ وما هُوَ لِأَعدائِكُم إلّا كَمَن يَنتَقِلُ مِن قَصرٍ إلى سِجنٍ وعَذابٍ»[3].

وهكذا كان الإمام الحسين عليه السلام يدعو إلى التحلي بفضيلة الصبر في كل المواقف والأحوال، في السلم والحرب، وفي الحضر والسفر، فالخير كله في الصبر الجميل.

تجليات الصبر عند الإمام الحسين عليه السلام

ضرب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر وتحمل المصائب والشدائد مما جعله المثال الكامل للصبر والقدوة الحسنة للصابرين.

ونشير إلى بعض تجليات صبره عليه السلام في المواقف التالية:

١ - الصبر على الطاعة:

إن كل تجليات صبر الإمام الحسين عليه السلام إنما كانت طاعة لله وأمره، ولامتثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليات والمصائب، ورفضه لكل الدعوات التي صدرت من محبيه ومن أعدائه، للتنازل والاستسلام والبيعة ليزيد، انما كانت امتثالاً للأوامر والنواهي الإلهية وتطبيقاً لأحكام الشريعة وتجسيداً للصبر على الطاعة[4].

١. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٧٢، رقم ١٨٧.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٦.

٣. معاني الأخبار: ص ٢٨٨ ح ٣، الاعتقادات: ص ٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٧ ح ٢.

٤. أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، مطبعة ثامن الحجج، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م، ص ١٧٦.

إن كل ما تحمله الإمام الحسين عليه السلام من مصائب ونوائب وبلايا ورزايا إنما كان لله تعالى، وفي سبيل الله، ومن أجل إعلاء كلمة التوحيد، والدفاع عن الإسلام الأصيل.

٢- الصبر على المكاره:

الصبر على المكاره والنوائب من أعظم أقسام الصبر، وهو يدل على سمو النفس، وقوة الإرادة، ورباطة الجأش، وضبط النفس، ورجاحة العقل.

ومن أعظم صور صبر الإمام الحسين عليه السلام صبره على فقدان أولاده وأهل بيته وأصحابه يوم الطف وهو يراهم يتساقطون في أرض المعركة واحداً تلو الآخر، ومع ذلك يحثهم على الصبر، ويدعوهم للتحلي بفضيلة الصبر.

يقول المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله): «لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطفِّ من أندر ما عرفته الإنسانية.

يقول العلامة الإربلي: «شجاعة الحسين عليه السلام يُضرب بها المثل، وصبره في مأقط[1] الحرب أعجز الأوائل والأواخر».

إنّ أيّة واحدة من رزاياه لو ابتلى بها أيّ إنسان مهما تدرّع بالصبر والعزم وقوّة النفس، لأوهنت قواه واستسلم للضعف النفسي، ولكنه عليه السلام لم يعنِ بما ابتلي به في سبيل الغاية الشريفة التي سمت بروحه أن تستسلم للجزع أو تضرع للخطوب.

يقول المؤرّخون: إنّه تفرّد بهذه الظاهرة، فلم توهِ عزمه الأحداث مهما كانت، وقد توفّي له ولد في حياته فلم يرَ عليه أثر للكآبة، فقيل له في ذلك.

فقال عليه السلام: «إنّا أهل بيت نسأل الله فيعطين، فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا»[2].

لقد رضى بقضاء الله واستسلم لأمره، وهذا هو جوهر الإسلام ومنتهى الإيمان»[3].

لقد جسد الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف، أسمى مراتب الصبر، وأعظم أقسامه، ولم يتزعزع أو يضعف أو تفتر عزيمته وإرادته، بل كان صبره وثباته وصلابته كرسوخ الجبال الرواسي.

١. المأقط: موضع القتال، أو المضيق في الحرب.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٧ ص١٨.
٣. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٢، ص ١٣٢.

٣- الصبر على العطش:

الصبر على العطش من أقوى أنواع الصبر؛ وخاصة عندما يشتد العطش بالمرء، فالثبات والصمود عند اشتداد العطش وعدم الخضوع والتسليم للباطل، لهو من علامات العزم الراسخ الكبير ولعلنا لا نجد في التاريخ من صبر على العطش كالحسين عليه السلام.

وبحسب النقولات التاريخية، فإن الماء قد منع عن خيام الحسين عليه السلام من اليوم السابع من المحرم، وإن كان بعض أصحاب الحسين وخاصة أبو الفضل العباس قد تمكنوا من الاستسقاء لبعض الماء ما بين اليوم السابع والعاشر، فإن هذا الماء كان يخصص للأطفال والنساء ولم يكن للكبار نصيب فيه، وعلى هذا فالحسين وأصحابه لم يشربوا الماء ليومين أو ثلاثة أيام، ويكون صبرهم على العطش، خاصة يوم القتال، صبراً لا نظير له. ومن عاش حرارة الطقس في العراق، يعرف جيداً أن تحمل العطش لساعات أمر بعيد المنال، خاصة في زحمة الجهاد والمبارزة والجراح وحرارة الشمس ونزف الدم والهيجاء والغبار، كل ذلك باعث على اشتداد إضرار العطش، ولكن الإمام العطشان صبر على ذلك ولم يستسلم لأولئك الأوغاد[1].

لقد استخدم الأمويون منع الماء عن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه كسلاح لإجبارهم على الاستسلام، أو الهزيمة في المعركة؛ لكن ذلك لم يؤثر في صبر الإمام الحسين عليه السلام وثباته وعزيمته وإرادته في التصدي للجيش الأموي، ورفض كل عروض الاستسلام، وأصر على نيل الشهادة، وتعرية القناع المزيف للأمويين بأنهم من حماة الإسلام.

لم يكن من السهل على الإمام الحسين عليه السلام أن يرى أطفاله وعياله وأصحابه يتألمون من ألم الظمأ القاتل، والعطش الشديد وهم بجانب نهر الفرات؛ لكنه عليه السلام كان بأمرهم بالصبر والثبات والاستقامة، ويبشرهم بحسن العاقبة بعد هذه المحنة الكبيرة، وهكذا كان.

فعندما رجع علي الأكبر من المعركة قال لأبيه: يا أَبَه العَطَشُ!

فقال الحسين عليه السلام: «اصبِر حَبيبي؛ فَإِنَّكَ لا تُمسي حَتّى يَسقِيَكَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله بِكَأسِهِ»[2].

١. أشعة من عظمة الإمام الحسين، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، مطبعة ثامن الحجج، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢ن، ص ١٧٥.

٢. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٧٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٤٥.

ولّما بَرَزَ [عَلِيُّ بنُ الحُسَين] إلَيهِم دَمَعَت عَينُ الحُسَين عليه السلام، فَقالَ:

اللهُمَّ كُن أنتَ الشَّهيدَ عَلَيهِم، فَقَد بَرَزَ إلَيهِمُ ابنُ رَسولِكَ، وأشبَهُ النّاسِ وَجهاً وسَمتاً[1] بِهِ، فَجَعَلَ يَرتَجِزُ وهُوَ يَقولُ:

نَحنُ وبَيتِ اللهِ أولى بِالنَّبيّ أنَا عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ

أما تَرَونَ كَيفَ أحمي عَن أبي

فَقَتَلَ مِنهُم عَشَرَةً ثُمَّ رَجَعَ إلى أبيهِ، فَقالَ: يا أبَه العَطَشُ!
فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: صَبراً يا بُنَيَّ، يَسقيكَ جَدُّكَ بالكَأسِ الأَوفى.
فَرَجَعَ فَقاتَلَ حَتّى قَتَلَ مِنهُم أربَعَةً وأربَعينَ رَجُلًا، ثُمَّ قُتِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ[2].

٤- الصبر على الإساءة:

لقد تعرض أئمة أهل البيت عليهم السلام للكثير من صور الإساءة المعنوية والمادية، ومن هذه الصور المؤلمة: سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر لثمانين سنة، والانتقاص من شخصيته، والتقليل من فضله وشأنه ومقامه، بل ووضع المعايب الملفقة والمكذوبة تجاه شخصيته، وكان الإمام الحسين عليه السلام يسمع ذلك ولكنه صبر واحتسب كل ذلك من أجل مصلحة الإسلام العليا، ومصلحة المسلمين العامة.

الصبر والتسامح

الصبر الذي يعني - فيما يعنيه - ضبط النفس وحبسها عن الانفعال، وتحمل المكاره والإساءات يعد في ذاته صورة من صور التسامح الذي يكون هدفه الحفاظ على وحدة المجتمع، وحفظ الإسلام من التشويه والتزييف والتحريف.

وكم صبر الإمام الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت الأطهار من أجل مصلحة الإسلام العامة، وتحملوا المصائب والمكاره من أجل بقاء كلمة التوحيد خفاقة في الأرض، وتحمل

١. سَمْتُه: حُسنُ هيئته ومنظره في الدين (النهاية: ج ٢ ص ٣٩٧« سمت»).
٢. الأمالي للصدوق: ص ٢٢٦ ح ٢٣٩، روضة الواعظين: ص ٢٠٧، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢١.

المشاكل والبلايا والرزايا، واحتساب كل ذلك في سبيل الله تعالى.

فالتسامح في بعض صوره يحتاج إلى صبر، وتحمل ألم الجراح، وغض الطرف عن الإساءة، والتركيز على الأمور العامة، والقضايا المهمة، وتحقيق الأهداف الكبرى، وهذا ما نلحظه في سيرة الإمام الحسين ﷺ، كما أثبتنا ذلك.

أما الإنسان الجزوع فيتصف بصفة عدم التسامح، فتراه يتصرف من غير تعقل، ولا اتزان، ولا اعتدال؛ أما الإنسان الصبور فيتصف بالإرادة القوية والعزيمة والثبات والاستقامة، وهذا ينتج القدرة على الاتزان، والاعتدال، والتسامح.

وهذا ما يجب أن يتحول إلى منهج اجتماعي عام، حتى يعم التسامح كل مكونات المجتمع، وفئاته المختلفة.

عفو الإمام الحسين ﷺ وصفحه

العفو والصفح من مكارم الأخلاق، وفضائل الأفعال، ومحاسن الصفات، وهما من أخلاقيات التسامح، ومن صفات المتسامحين.

وقد رغب الإسلام أتباعه على التحلي بالعفو والصفح، ففي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات الشريفة الدالة على العفو والصفح، كقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[1]؛ فالعفو يكون معواناً على نيل التقوى عند الإنسان، والابتعاد عن الانتقام والظلم والحيف والعدوان. يقول تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿**وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿**إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً**﴾[5]،

١. سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
٢. سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
٣. سورة التغابن، الآية: ١٤.
٤. سورة النور، الآية: ٢٢.
٥. سورة النساء، الآية: ١٤٩.

فهذه الآيات الشريفة تحث وتحرض الإنسان على التجمل بالعفو والصفح، لما فيه من خير وفائدة في الدنيا والآخرة.

ويدعو القرآن الكريم إلى التدرج والرقي في درجات العفو والصفح والتسامح مع الناس كما في قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1] فالآية تدعو إلى كظم الغيظ أولاً وهو كظم الغضب وضبط النفس، ثم العفو بمعنى ترك عقوبة المخطئ والمذنب، ثم الإحسان وهو التفضل بالخير.

أما الأحاديث الشريفة الحاثة على العفو فهي كثيرة منها: ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «عَلَيكُم بِالعَفوِ؛ فَإِنَّ العَفوَ لا يَزيدُ العَبدَ إلّاعِزّاً، فَتَعافَوا يُعِزَّكُمُ اللهُ »[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «ألا اخبِرُكُم بِخَيرِ خَلائقِ الدّنيا والآخِرَةِ؟: العَفوُ عَمَّن ظَلَمَكَ، وتَصِلُ مَن قَطَعَكَ، والإحسانُ إلى مَن أساءَ إلَيكَ، وإعطاءُ مَن حَرَمَكَ »[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العَفوُ تاجُ المَكارِمِ»[4]. وقال عليه السلام أيضاً: «أحسَنُ المَكارِمِ عَفوُ المُقتَدِرِ، وَجودُ المُفتَقِرِ »[5].

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ »[6] فالعفو عند المقدرة يدل على التسامح والقوة والعزة،، وسمو النفس ورفعتها.

تعريف العفو

١- **العفو لغة:** يقال العَفُوُّ، وهو فَعُولٌ من العَفْو، وهو التَّجاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العِقابِ عليه، وأَصلُه المَحْوُ والطَّمْس، وهو من أَبْنِية المُبالَغة. يقال: عَفَا يَعْفُو عَفْواً، فهو عافٍ وعَفُوٌّ، قال الليث: العَفْوُ عَفْوُ اللهِ، عز وجل، عن خَلْقِه، والله تعالى العَفُوُّ الغَفُور.

---

١. سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ – ١٣٤.
٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٧٠، رقم ١٥٩٨٤. أصول الكافي، ج٢، ص ١١٦، رقم ٥.
٣. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٧٢، رقم ١٥٩٩٣. أصول الكافي، ج ٢، ص ١١٥، رقم ١.
٤. غرر الحكم: ٥٢٠. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٢، ص ٨٠٥، رقم ٥٠٧٠.
٥. غرر الحكم:. ٣١٦٥. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٢، ص ٨٠٥، رقم ٥٠٦٩.
٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة الإربلي، ج ٢، ص ٢٠٠.

وكلُّ من اسْتحقَّ عُقُوبةً فَتَرَكْتَها فقد عَفَوْتَ عنه[١].

وقد يكون أن يعفُوَ الإنسان عن الشَّيء بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاق[٢].

٢- العفو اصطلاحاً: «هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب، وأصله المحو والطمس»[٣].

وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه: «التحافي عن الذنب»[٤].

والعفو مفردة تحمل فيما تحمله معنى اللين والرفق والرحمة والعطف والانتصار على الرغبة الجامحة في التشفي والانتقام وأخذ الثأر. وبمعنى آخر: «العفو» هو صفة تترجم كل معاني الإنسانية النبيلة، والصفات الخلقية الرفيعة، بحيث يتسع صدر الإنسان ليس لنده ونظيره وحسب، بل يتسع صدره ويتسع بحيث يستوعب أيضاً المخالف والضد![٥].

وكما نحتاج إلى العفو على الصعيد الفردي، فإننا نحتاجه بصورة أكبر على الصعيد الاجتماعي، فالعفو عن الأخطاء التي تقع من بعض الناس تجاه بعضهم البعض، ومن بعض الاتجاهات تجاه التوجهات الأخرى، ومن أتباع بعض المذاهب تجاه أتباع المذاهب الأخرى، ومن معتنقي دين معين تجاه الأديان الأخرى، يساعد على نشر ثقافة التسامح بين مختلف المكونات الاجتماعية، والتعدديات المذهبية والدينية والفكرية.

الإمام الحسين عليه السلام والعفو

اتصف الإمام الحسين بن علي عليه السلام بالعفو والصفح تجاه أخطاء الآخرين، وقبول العذر منهم، بل والإحسان إليهم.

ويسجل لنا التاريخ قصة جميلة عن عفوه عن غلام له جنى جناية توجب العقاب، لكنه عفا عنه، وأعتقه، وأحسن إليه. تقول نص الرواية:

جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب.

فقال: يا مولاي ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾.

١. لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ٧٢.
٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٥٨.
٣. التسامح في الإسلام، ص ٦٣.
٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٤٢.
٥. التسامح في الإسلام، أحمد محمد العلواني، ص ٦٥.

قال: خلوا عنه.

فقال: يا مولاي ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾.

قال: قد عفوت عنك.

قال: يا مولاي ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك[2].

فالإمام الحسين عليه السلام لم يكتفِ بالعفو والصفح عنه؛ بل أعتقه لوجه الله تعالى، وأحسن إليه بإعطائه ضعف ما كان يعطيه، وهذه قمة العفو والإحسان.

إننا يجب أن نقرأ هذه القصة ليست كحادثة منفصلة أو قصة في قضية واحدة؛ وإنما هو منهج أئمة أهل البيت الأطهار، وصفة لازمة لهم، وسيرة مستمرة في تعاملهم مع المخطئين والمسيئين لهم، وهكذا يجب أن نقتدي بسيرتهم العطرة، فنتجمل بالعفو والصفح، ونبتعد عن روح الانتقام والثأر، حتى تسود في مجتمعاتنا الإسلامية ثقافة التسامح والمحبة.

فوائد وآثار العفو والصفح

إن للعفو والصفح آثاراً وفوائد متعددة تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات، ومن أهمها:

١- إن العفو والصفح يجعل النفس مطمئنة وهادئة، والقلب مرتاحاً، والشعور بالسعادة والرضا، وهذا من مسببات طول العمر عند الإنسان، لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «مَن كَثُرَ عَفوُهُ مُدَّ في عُمرِهِ »[3].

٢- إن إشاعة العفو والصفح في الوسط الاجتماعي يؤدي إلى نشر ثقافة التسامح والمحبة بين الناس، وتجاوز حالات الاحتقان والتشنج المذهبي والديني والسياسي والاجتماعي؛ ولذلك قال الإمام علي عليه السلام: «شَيئانِ لا يُوزَنُ ثَوابُهُما: العَفوُ والعَدلُ »[4].

٣- إن العفو والصفح من الفضائل الأخلاقية التي تقطع الطريق نحو السلوكيات

١. سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة الإربلي، ج ٢، ص ٢٠٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٥، رقم ٩.

٣. أعلام الدين: ٣١٥. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣، رقم ١٣١٨٤.

٤. غرر الحكم: ٥٧٦٩. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣، رقم ١٣١٩٢.

المنحرفة والسلبية، وتقضي على الأحقاد والضغائن والكراهية بين مختلف الانتماءات الدينية أو الفكرية أو السياسية، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «تَعافَوا تَسقُطِ الضَّغائنُ بَينَكُم»[1] وعندما تسقط الضغائن بسبب العفو والصفح يحل محلها الاحترام والتقدير والمحبة.

٤- بالعفو والصفح قد يتحول الأعداء إلى أصدقاء، والمتصارعون إلى متعاونين، والمتنافرون إلى متقاربين، وقد حَثَّ القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[2].

٥- إن سياسة العفو والصفح عن المخطئين والخصوم يساعد على الاستقرار الاجتماعي والسياسي، ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ قد عفا عن أهل مكة وقال لهم:

اذهبوا فأنتم الطلقاء، بالرغم من أنهم آذوه وأساؤوا إليه، إلا أنه لم يعاملهم بالمثل، بل عفا عنهم وصفح عن أخطائهم تجاهه.

وتذكر كتب التاريخ والسيرة أنه ما جيء إليه بأحد من أعدائه أو خصومه إلا عفا عنه في غير حد.

يقول الإمام علي عليه السلام: «إذا قَدَرتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجعَلِ العَفوَ عَنهُ شُكراً لِلقُدرَةِ عَلَيهِ»[3].

وما أحوج مجتمعنا اليوم إلى العفو والصفح عن المعارضين والمخالفين والمخطئين لأن ذلك يُسهم في بناء الدولة، وتثبيت استقرارها واستمرارها.

٦- من فوائد العفو والصفح أيضاً الأجر والثواب في الآخرة، فآثار وفوائد العفو لا تقتصر على الدنيا فحسب، بل إنها في الآخرة أكبر وأعظم، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العَفوُ مَعَ القُدرَةِ جُنَّةٌ مِن عَذابِ اللهِ سُبحانَهُ»[4].

٧- إن على الإنسان كفرد، وعلى المجتمع كجماعات وتيارات ومكونات مختلفة العمل والسعي لاكتساب فضيلة العفو والصفح، وتجنب روح الانتقام والثأر، حتى نبني مجتمعنا على روح التسامح والتعايش والسلم والسلام، والابتعاد عن العوامل المسببة للأحقاد

١. كنز العمال، المتقي الهندي، ج٣، ص ٣٧٣، رقم ٧٠٠٤.
٢. سورة فصلت، الآية: ٣٤.
٣. نهج البلاغة: ج ٤، الحكمة ١١. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٤، رقم ١٣٢١١.
٤. غرر الحكم: ١٥٤٧. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٤، رقم ١٣٢١٥.

والضغائن والكراهية.

أما من لا يعفو عن الآخرين فهو من أشر الناس، قال الإمام علي عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ مَن لا يَعفو عَنِ الزَّلَّةِ، ولا يَستُرُ العَورَةَ!»[1] واعتبر الإمام الصادق عليه السلام أن الانتقام أمر قبيح فقال: «ما أقبَحَ الانتِقامَ بِأهلِ الأقدارِ»[2].

٨- إن بناء أي مجتمع قوي ومتقدم علمياً وحضارياً يستلزم منه نشر ثقافة العفو والصفح والرحمة واللين والرأفة حتى تشيع ثقافة التسامح، ونربي أبناءنا وأولادنا على روح التسامح والمحبة، وبذلك يتطور المجتمع ويتقدم نحو سلالم المجد والكمال.

أما المجتمعات التي تعشعش فيها روح الكراهية والأحقاد والضغائن فإنها تعيش حالة من حالات الخصام والتشنج والانفعال، وربما الحروب الأهلية كما حدث ويحدث في الكثير من المجتمعات المسلمة، وهو أمر يدعو إلى الحزن والأسى، وسببه الرئيس غياب ثقافة التسامح، وانتشار روح التعصب والتطرف والكراهية، ولا يمكن لمجتمع كهذا إلا أن يتأخر عن ركب العلم ويتخلف عن قطار التقدم والحضارة.

٩- إن علينا أن نستذكر دوماً أنه بالعفو والصفح والتسامح نستطيع أن نبني مجتمعاتنا علمياً وحضارياً، وبالانتقام والكراهية ندمر مجتمعاتنا ونقضي على نقاط قوتنا وتقدمنا.

رحمة الإمام الحسين عليه السلام ورفقه

إن قيمة الرحمة والرفق والشفقة والعطف من القيم الفضلى التي حَثَّ عليها الإسلام، وأمر أتباعه بالتحلي بها، والعمل بمقتضاها.

فرسالة الإسلام رسالة رحمة في مصدرها ومنهاجها وتشريعاتها وأحكامها، فقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي**

١. غرر الحكم: ٥٧٣٥. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٥، ص ٢٠١٣، رقم ١٣١٩٥.
٢. تحف العقول: ٣٥٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٥، ص ٢٠١٣، رقم ١٣١٩٦.
٣. سورة الفاتحة، الآية:٣.

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1].

وقال تعالى عن القرآن الحكيم: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] فهو شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[3] كما أن رسول الله ﷺ وصف نفسه بالرحمة قائلاً: «إنما أنا رحمة مهداة»[4].

وقال تعالى عن تعامل المؤمنين مع بعضهم البعض: ﴿ **أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾[5] فالتعامل برحمة ورأفة ورفق من صفات المؤمنين، إذ يجب أن تسود الرحمة بينهم.

وقيمة الرفق من القيم التي حثَّ عليها الإسلام أيضاً، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرِّفقَ لَم يُوضَعْ على شيءٍ إلّا زانَهُ، ولا نُزِعَ مِن شَيءٍ »[6] وعنه ﷺ أيضاً: « إنّ في الرِّفقِ الزِّيادَةَ والبَرَكَةَ، ومَن يُحرَمِ الرِّفقَ يُحرَمِ الخَيرَ »[7]. وقال الإمام الباقر ﷺ: «إنّ اللهَ عزّوجلَّ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ ويُعطِي عَلى الرِّفقِ ما لا يُعطِي على العُنفِ »[8].

وقال رسول الله ﷺ: «الرِّفْقُ يُمنٌ والخُرقُ شُؤمٌ »[9] ويصف هذا الحديث الرفق باليُمن، أي: البركة؛ لِما لَهُ من دور حيوي وأثر نافع، والخُرق: الجهل والحُمق وهو ما يؤدي إلى المشاكل والآثار السلبية

١. سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
٢. سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
٣. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة أهل البيت، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج ١٦، ص ١١٥.
٥. سورة الفتح، الآية: ٢٩.
٦. الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ج ٥، ص ٢٦٠، رقم ٢٣٥٢.
٧. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٢٦٠، رقم ٢٣٥٣.
٨. الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ج ٥، ص ٢٦٠، رقم ٢٣٥١.
٩. الوسائل، الحر العاملي، ج ٢، ص ٤٩٨، رقم ٢٧٤٢. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٣، ص٥١، رقم ٥٤٤٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أرادَ اللهُ بأهلِ بيتٍ خَيراً أدخَلَ علَيهِم بابَ رِفقٍ »[1] وقال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ على كل: هين، لين، قريب، سهل»[2] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن كانَ رفيقاً في أمرِهِ نالَ ما يُريدُ مِنَ الناسِ »[3] والأحاديث في مدح الرفق والرأفة والرحمة والعطف والشفقة كثيرة، وهذه الأخلاق من صفات المتسامحين، وأخلاق التسامح.

وقد سار الإمام الحسين عليه السلام على سيرة جده وأبيه في الرحمة والرفق والرأفة والشفقة والعطف والإحسان؛ فكان رحيماً بالناس، عطوفاً على الفقراء، رؤوفاً بالمساكين، متسامحاً مع الأعراب، وسمحاً مع عامة الناس.

قصص من رحمة الإمام الحسين عليه السلام

عُرِف الإمام الحسين عليه السلام بالرحمة والرأفة والرفق والشفقة بالناس، فكان يساعد كل محتاج، ويقف مع كل فقير، ويسعف كل ذي حاجة، ويتشفع في قضاء حوائج المحتاجين، وإليكم بعض القصص والشواهد الدالة على ذلك ومنها:

١- التشفع لقضاء حاجة أعرابي:

من وجوه الخير، وأعمال البر، التشفع لقضاء حاجات الناس، وبذل الجهد والسعي لمساعدة الآخرين في إعانة المحتاجين والفقراء والضعفاء.

وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ تشفع في قضاء حاجة أعرابي، حيث يذكر العلامة المجلسي في بحاره:

دخل الإمام الحسين عليه السلام على معاوية وعنده أعرابي يسأله حاجة، فأمسك معاوية وتشاغل بالحسين عليه السلام، فقال الأعرابي لبعض مَن حضر: مَن هذا الذي دخل؟

قالوا: الحسين بن علي.

فقال الأعرابي للحسين عليه السلام: أسألك يا بن بنت رسول الله لَمّا كلّمتَه في حاجتي.

١. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٣، ص ٥٣، رقم ٥٤٥٥. شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٣٣٩.
٢. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٣، ص ٧، رقم ٥١٦٢.
٣. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٢٦١، رقم ٢٣٦١.

فكلّمه الحسين ﷺ في ذلك فقضى حاجته، فقال الأعرابي:

أَتَيتُ العَبْشَميَّ فلم يَجُدْ لي

إلى أن هَزَّهُ ابنُ الرسولِ

هُو ابن المصطفى كرماً وجوداً

ومِن بطنِ المطهَّرةِ البتولِ

وإنّ لهاشم فضلاً عليكم

كما فَضلُ الربيع على المُحولِ

فقال معاوية: يا أعرابي، أُعطيك وتمدحه؟!

فقال الأعرابي: يا معاوية، أعطيتَني مِن حقّه، وقضيتَ حاجتي بقوله[1].

٢- ملاطفة الأعرابي:

الملاطفة في الكلام، وحسن الاستقبال، والتبسم في وجه المحتاج... كلها علائم على الرحمة والرفق والعطف.

وهذا ما فعله الإمام الحسين ﷺ مع أعرابي سأله أن يعطيه شيئاً لقضاء حاجته، فتلاطف معه الإمام ﷺ وتبسم في وجهه.

تقول القصة: إنَّ أعرابيّاً جاءَ إلَى الحُسَين بن عَلِيٍّ عليه السلام فَقالَ لَهُ: يَابنَ رَسولِ الله، إنّي قَد ضَمِنتُ دِيَةً كامِلَةً وعَجَزتُ عَن أدائِها، فَقُلتُ في نَفسي: أسأَلُ أكرَمَ النّاسِ، وما رَأَيتُ أكرَمَ مِن أهلِ بَيتِ رَسولِ الله صلى الله عليه و آله.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السلام: يا أخَا العَرَب، أسأَلُكَ عَن ثَلاثِ مَسائِلَ: فَإن أجَبتَ عَن واحِدَةٍ أعطَيتُكَ ثُلثَ المالِ، وإن أجَبتَ عَنِ اثنَتَينِ أعطَيتُكَ ثُلُثَي المالِ، وإن أجَبتَ عَن كُلٍّ أعطَيتُكَ المالَ كُلَّهُ.

فَقالَ الأَعرابِيُّ: يَابنَ رَسولِ الله، أمِثلُكَ يَسأَلُ مِن مِثلي وأنتَ مِن أهلِ العِلمِ وَالشَّرَفِ؟!

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ٢١٠، رقم٦.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السلام: بَلى، سَمِعتُ جَدّي رَسولَ اللهِ صلى الله عليه و آله يَقولُ: المَعروفُ بِقَدرِ المَعرِفَةِ.

فَقالَ الأَعرابِيُّ: سَل عَمّا بَدا لَكَ، فَإن أَجبتُ وإلّا تَعَلَّمتُ الجَوابَ مِنكَ، ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السلام: أيُّ الأَعمالِ أفضَلُ؟

فَقالَ: الإيمانُ بِاللهِ.

قالَ عليه السلام: فَما النَّجاةُ مِنَ الهَلَكَةِ؟

قالَ: الثِّقَةُ بِاللهِ.

قالَ عليه السلام: فَما يُزَيِّنُ الرَّجُلَ؟

قالَ: عِلمٌ مَعَهُ حِلمٌ.

قالَ عليه السلام: فَإن أخطَأَهُ ذلِكَ؟

قالَ: فَمالٌ مَعَهُ مُروءَةٌ.

قالَ عليه السلام: فَإن أخطَأَهُ ذلِكَ؟

قالَ: فَقرٌ مَعَهُ صَبرٌ.

قالَ عليه السلام: فَإن أخطَأَهُ ذلِكَ؟

قالَ: فَصاعِقَةٌ تَنزِلُ مِنَ السَّماءِ فَتُحرِقُهُ!

فَضَحِكَ الحُسَينُ عليه السلام ورَمى بِصُرَّةٍ إلَيهِ فيها ألفُ دينارٍ، وأعطاهُ خاتَمَهُ وفيهِ فَصٌّ قيمَتُهُ مِئَتا درهَمٍ، وقالَ لَهُ: يا أعرابِيُّ، أعطِ الذَّهَبَ لِغُرَمائِكَ، وَاصرِفِ الخاتَمَ في نَفَقَتِكَ.

فَأَخَذَ الأَعرابِيُّ ذلِكَ مِنهُ ومَضى وهُوَ يَقولُ: ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**[1] ﴾[2].

فنلاحظ في هذه القصة الجميلة كيف كان الإمام الحسين عليه السلام يتلاطف مع هذا الأعرابي، ويسأله بعض الأسئلة مع أن الإمام عليه السلام ليس بحاجة كي يسأله وإنما لمزيد من إعطاء الأعرابي ثقة بنفسه، ثم إن إجابات هذا الأعرابي تدل على أنه كان لديه بعض العلم والأدب، وقد

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٢. مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١ ص ١٥٧؛ جامع الأخبار: ص ٣٨١ ح ١٠٦٩، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٦ ح ١١.

أكرمه الإمام الحسين عليه السلام، وتبسم في وجهه، وأحسن إليه، وهذا من عطفه ورفقه وشفقته ورحمته بالمحتاجين.

٣- رحمته بأعدائه:

الرحمة والعطف والشفقة والرأفة بالأعداء تعبر عن قمة الإنسانية، ومنتهى التسامح، وسمو النفس، ورحابة الصدر، ولين العريكة، وأعظم الأخلاق؛ وهذا ما جَسَّده الإمام الحسين عليه السلام في موقفه مع أعدائه، حيث أمر أهل بيته، وغلمانه بسقي الماء لجنود الجيش الذي جاء لقتاله وحربه.

إذ أنه «لما استقبله الحر بجيشه البالغ ألف فارس، وكان قد أرسل لمناجزته وقتاله فرآه الإمام وقد أشرف على الهلاك من شدة العطش فلم تدعه أريحيته ولا سمو ذاته أن لا يقوم بإنقاذهم، فأمر عليه السلام غلمانه وأهل بيته أن يسقوا القوم عن آخرهم، ويسقوا خيولهم فسقوهم عن آخرهم، وكان فيهم علي بن الطعان المحاربي الذي اشتد به العطش فلم يدرِ كيف يشرب، فقام عليه السلام بنفسه فسقاه»[1].

وينقل العلامة المجلسي في بحاره: «وجاء القوم زهاء ألف فارس، مع الحر بن يزيد التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون أسيافهم.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملأون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقي آخر، حتى سقوها عن آخرها.

فقال علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر يومئذٍ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية! والراوية عندي السقا ثم قال: يا ابن الأخ أنخ الجمل! فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من

١. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٢، ص ١٣٦.

السقاء.

فقال الحسين: أخنث السقاء أي اعطفه فلم أدرِ كيف أفعل فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي»[1].

وهذه الصورة النادرة من الصور الإنسانية التي سجلها الإمام الحسين ﷺ في هذا الموقف الحاسم، ورحمته وشفقته وعطفه ورأفته بأعدائه لا تجد لها مثيلاً في قاموس الإنسانية، فعادة في الحروب يستفيد كل طرف من أي فرصة للإيقاع بالخصم والعدو، ولكن الإمام الحسين ﷺ سار كسيرة جده وأبيه يهمه تسجيل المواقف الإنسانية المعبرة عن قيم وأخلاق الإسلام النبيلة، وتحويل الأقوال النظرية إلى مواقف أخلاقية عملية.

كرم الإمام الحسين ﷺ وجوده

الكرم والجود والسخاء والبر من الفضائل الأخلاقية الرفيعة التي حَثَّ عليها القرآن الكريم في عدد من الآيات الشريفة، وأشاد بصفة الكرم وعطاء الكرماء، كقوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً** ﴾[2] وقد أجمع المفسرون على نزول هاتين الآيتين في أهل البيت ﷺ وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين.

وقد ذكرهم القرآن الكريم من جانب الثناء والمدح والتمجيد لهؤلاء الكرماء، والذين يؤثرون الفقراء على أنفسهم ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[3].

ويشير القرآن الكريم إلى نمو العطاء والكرم والإنفاق في سبيل الله تعالى، إذ يقول تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[4].

ويقول تعالى في شأن تحقق البر: ﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن**

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.
٢. سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.
٣. سورة الحشر، الآية: ٩.
٤. سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

﴿ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[1]. والبر هو التوسع في فعل الخير، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان إلى المحتاجين والفقراء.

ويعد الكرم والجود والعطاء من أشرف السجايا، وأجمل المكارم، وأخلد المآثر، وأروع الفضائل، وأحسن المناقب.

والكرم ضد البخل، وهو بذل المال أو الإطعام أو الإكساء أو أي نوع من أنواع الكرم وفيه منفعة وفائدة من دون مقابل وعن طيب نفس.

ويكفي في فضيلة الكرم أن القرآن الكريم يصف كل نفيس جليل بالكرم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[4].

وقد أشاد رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالكرم والسخاء والجود، وبالكرماء والمعطين، ونوهوا بذلك أبلغ تنويه:

قال الإمام الصادق عليه السلام: أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أفضلهم إيماناً؟ قال: أبسطهم كفاً[5].

وعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «السخي قريب من الله تعالى، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله تعالى، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «شاب سخي مرهق في الذنوب أحب إلى الله عز وجل من شيخ عابد بخيل»[7].

وقال الإمام الحسين عليه السلام عن الجود: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رَذُلَ، و إِنَّ

١. سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
٢. سورة الواقعة، الآية: ٧٧.
٣. سورة الدخان، الآية: ١٧.
٤. سورة الدخان، الآية: ٢٦.
٥. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢١، ص ٥٤٥، رقم ٢٧٨٢١.
٦. مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ١٣، رقم ٧٥٠٩.
٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٠، ص ٣٠٧، رقم ٣٤.

أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ »[1].

وعن السخاء قال الإمام الحسين عليه السلام: « السَّخاءُ غِنىً »[2] والأحاديث في هذا الجانب كثيرة ومستفيضة، وكلها تحث وترغب في فضيلة الكرم والجود والسخاء، وهذه الصفات الأخلاقية من صفات المتسامحين، وأخلاقيات التسامح، فالكرم والجود والسخاء والعطاء لا يتحلى بها إلا من كان قلبه صافياً، وروحه سامية؛ أما من يتصف بالبخل والشح فهو عديم التسامح، شديد العناد، لا يهمه فقير أو محتاج.

صور من كرم الإمام الحسين عليه السلام

عُرِفَ الإمام الحسين عليه السلام بالكرم والجود والسخاء، وكان نصير الفقراء والمساكين، ومعين اليتامى والأرامل، ومكرم الضيوف، وقد ذكر المؤرخون بعض القصص والشواهد والأمثلة الدالة على ذلك، ومنها:

١ - إيصال الطعام إلى المستحقين ليلاً:

كان الإمام الحسين عليه السلام يحمل في دجى الليل البهيم جراباً مملوءً طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى حتى شهد له بهذا الكرم معاوية بن أبي سفيان، وذلك حين بعث لعدة شخصيات بهدايا، فقال متنبئاً: أما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفين، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن[3].

وروى ابن شهرآشوب عن شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي: وُجِدَ عَلى ظَهرِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليه السّلام يَومَ الطَّفِّ أثَرٌ، فَسَألوا زَينَ العابِدينَ عليه السّلام عَن ذلكَ، فَقالَ: «هذا مِمّا كانَ يَنقُلُ الجِرابَ[4] عَلى ظَهرِهِ إلى مَنازِلِ الأَرامِلِ وَاليَتامى وَالمَساكينِ »[5].

١. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة الإربلي، ج ٢، ص ٢٠٠. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ١٢١، رقم ٤.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢.

٣. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٤٨.

٤. الجِراب: وعاء من إهاب الشآء لا يوعى فيه إلّا يابس (لسان العرب: ج ١ ص ٢٦١« جرب»).

٥. المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٦٦، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٠ ح ٣.

وذكر سبط ابن الجوزي: وَجَدوا في ظَهرِهِ [أي الحُسَين عليه السّلام] آثاراً سوداً، فَسَألوا عَنها فَقيلَ:

كانَ يَنقُلُ الطَّعامَ عَلى ظَهرِهِ فِي اللَّيلِ إلى مَساكِنِ أهلِ المَدينَةِ[1].

٢- قضاء الحوائج:

اشتَهَرَ النَّقلُ عَن الإمام الحُسَين عليه السّلام أنَّهُ كانَ يُكرِمُ الضَّيفَ، ويَمنَحُ الطّالِبَ، ويَصِلُ الرَّحِمَ، ويُنيلُ الفَقيرَ، ويُسعِفُ السّائِلَ، ويَكسُو العارِيَ، ويُشبِعُ الجائِعَ، ويُعطِي الغارِمَ، ويَشُدُّ مِنَ الضَّعيفِ، ويُشفِقُ عَلَى اليَتيمِ، ويُعينُ ذَا الحاجَةِ، وقَلَّ أن وَصَلَهُ مالٌ إلّافَرَّقَهُ[2].

٣- السائل أحق بها:

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الذيال بن حرملة قال: خَرَجَ سائِلٌ يَتَخَطّى أزِقَّةَ المَدينَةِ، حَتّى أتى بابَ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليه السّلام، فَقَرَعَ البابَ وأنشَأَ يَقولُ:

حَرَّكَ مِن خَلفِ بابِكَ الحَلَقَه ... لَم يَخَبِ اليومَ مَن رَجاكَ ومَن

أبوكَ قَد كانَ قاتِلَ الفَسَقَه ... وأنتَ جودٌ وأنتَ مَعدِنُهُ

وكانَ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عليه السّلام واقِفاً يُصَلّي، فَخَفَّفَ مِن صَلاتِهِ وخَرَجَ إلَى الأَعرابِيِّ، فَرَأى عَلَيهِ أثَرَ ضُرٍّ وفاقَةٍ، فَرَجَعَ ونادى بِقَنبَرٍ، فَأَجابَهُ: لَبَّيكَ يَابنَ رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله.

قالَ: ما تَبَقّى مَعَكَ مِن نَفَقَتِنا؟

قالَ: مِئَتا دِرهَمٍ أمَرتَني بِتَفرِقَتِها في أهلِ بَيتِكَ.

قالَ: فَهاتِها فَقَدَ أتى مَن هُوَ أحَقُّ بِها مِنهُم.

فَأَخَذَها وخَرَجَ يَدفَعُها إلَى الأَعرابِيِّ، وأنشَأَ يَقولُ:

---

١. تذكرة الخواص: ص ٢٥٤.

٢. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص ٧٦٧ – ٧٦٨.

وَاعلَم بِأَنّي عَلَيكَ ذو شَفَقَه ... خُذها وإنّي إلَيكَ مُعتَذِرٌ
كانَت سَمانا عَلَيكَ مُندَفِقَه ... لَو كانَ في سَيرِنا عَصا تُمَدُّ إذاً
وَالكَفُّ مِنّا قَليلَةُ النَّفَقَه ... لكِنَّ رَيبَ المَنونِ ذو نَكَدٍ

فَأَخَذَهَا الأَعرابيُّ وَوَلّى وهُوَ يَقولُ:

تَجري الصَّلاةُ عَلَيهِم أينَما ذُكِروا ... مُطَهَّرونَ نَقِيّاتٌ جُيوبُهُمُ
عِلمُ الكِتابِ وما جاءَت بِهِ السُّوَرُ ... وأنتُمُ أنتُمُ الأَعلَونَ عِندَكُمُ
فَما لَهُ في جَميعِ النّاسِ مُفتَخَرُ ... مَن لَم يَكُن عَلَوِيّاً حينَ تَنسُبُهُ

٤- صن وجهك عن ذل المسألة:

كان الإمام الحسين عليه السلام حريصاً على صيانة ماء وجه الفقير، وعدم هدر كرامته، فكان يأمر الفقراء بصيانة وجوههم عن ذل المسألة.

فعندما جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام رَجُلٌ مِنَ الأَنصارِ يُريدُ أن يَسأَلَهُ حاجَةً، فَقالَ عليه السّلام: يا أَخَا الأَنصارِ! صُن وَجهَكَ عَن بِذلَةِ[1] المَسأَلَةِ، وَارفَع حاجَتَكَ في رُقعَةٍ؛ فَإِنّي آتٍ فيها ما سارَّكَ إن شاءَ اللهُ.

فَكَتَبَ: يا أبا عَبدِ اللهِ، إنَّ لِفُلانٍ عَلَيَّ خَمسَمِئَةِ دينارٍ، وقَد أَلَحَّ بي فَكَلِّمهُ يُنظِرني إلى مَيسَرَةٍ.

فَلَمّا قَرَأَ الحُسَينُ عليه السّلام الرُّقعَةَ، دَخَلَ إلى مَنزِلِهِ فَأَخرَجَ صُرَّةً فيها ألفُ دينارٍ، وقالَ عليه السّلام لَهُ: أمّا خَمسُمِئَةٍ فَاقضِ بِها دَينَكَ، وأمّا خَمسُمِئَةٍ فَاستَعِن بِها عَلى دَهرِكَ.

ولا تَرفَع حاجَتَكَ إلّا إلى أَحَدِ ثَلاثَةٍ: إلى ذي دينٍ، أو مُرُوَّةٍ، أو حَسَبٍ؛ فَأَمّا ذُو الدّينِ فَيَصونُ دينَهُ، وأمّا ذُو المُرُوَّةِ فَإِنَّهُ يَستَحيي لِمُرُوَّتِهِ، وأمّا ذُو الحَسَبِ فَيَعلَمُ أَنَّكَ لَم تُكرِم وَجهَكَ أن تَبذُلَهُ لَهُ في حاجَتِكَ، فَهُوَ يَصونُ وَجهَكَ أن يَرُدَّكَ بِغَيرِ قَضاءِ حاجَتِكَ[2].

١. البذلة: ترك الصون.

٢. تحف العقول: ص ٢٤٧، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٨، رقم ١٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣٩٠.

٥- المعروف بقدر المعرفة:

رُوِيَ أنَّ أعرابيّاً مِنَ البادِيَةِ قَصَدَ الحُسَينَ عليه السّلام، فَسَلَّمَ عَلَيهِ، فَرَدَّ عَلَيهِ السَّلامَ وقالَ: يا أعرابيُّ فيمَ قَصَدتَنا؟

قالَ: قَصَدتُكَ في دِيَةٍ مُسَلَّمَةٍ إلى أهلِها.

قالَ: أقَصَدتَ أحَداً قَبلي؟

قالَ: عُتبَةَ بنَ أبي سُفيانَ؛ فَأعطاني خَمسينَ ديناراً، فَرَدَدتُها عَلَيهِ، وقُلتُ:

لَأَقصِدَنَّ مَن هُوَ خَيرٌ مِنكَ وأكرَمُ.

فَقالَ عُتبَةُ: ومَن هُوَ خَيرٌ مِنّي وأكرَمُ لا أُمَّ لَكَ؟

فَقُلتُ: إمَّا الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عليه السّلام، وإمّا عَبدُ اللهِ بنُ جَعفَرٍ.

وقَد أتَيتُكَ بَدءاً لِتُقيمَ بِها عَمودَ ظَهري، وتَرُدَّني إلى أهلي.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: وَالَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ وتَجَلّى بِالعَظَمَةِ، ما في مِلكِ ابنِ بنتِ نَبِيِّكَ إلّا مِئَتا دينارٍ، فَأعطِهِ إيّاها يا غُلامُ، وإنّي أسأَلُكَ عَن ثَلاثِ خِصالٍ إن أنتَ أجَبتَني عَنها أتمَمتُها خَمسمِئَةِ دينارٍ، وإن لَم تُجِبني ألحَقتُكَ فيمَن كانَ قَبلي.

فَقالَ الأَعرابيُّ: أكُلُّ ذلِكَ احتِياجاً إلى عِلمي؟ أنتُم أهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ، ومَعدِنُ الرِّسالَةِ، ومُختَلَفُ المَلائكَةِ!

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: لا، ولكِن سَمِعتُ جَدّي رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه و آله يَقولُ: «أعطُوا المَعروفَ بِقَدرِ المَعرِفَةِ».

فَقالَ الأَعرابيُّ: فَسَل، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: ما أنجى مِنَ الهَلَكَةِ؟

فَقالَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ.

فَقالَ: ما أروَحُ لِلمُهِمِّ؟

قالَ: الثِّقَةُ بِاللهِ.

فَقالَ: أيُّ شَيءٍ خَيرٌ لِلعَبدِ في حَياتِهِ؟

قالَ: عَقلٌ يَزينُهُ حِلمٌ.

فَقالَ: فَإن خانَهُ ذلكَ؟

قالَ: مالٌ يَزينُهُ سَخاءٌ وسَعَةٌ.

فَقالَ: فَإن أخطَأَهُ ذلكَ؟

قالَ: المَوتُ وَالفَناءُ خَيرٌ لَهُ مِنَ الحَياةِ وَالبَقاءِ.

قالَ: فَناوَلَهُ الحُسَينُ خاتَمَهُ، وقالَ: بِعهُ بِمِئَةِ دينارٍ، وناوَلَهُ سَيفَهُ وقالَ: بِعهُ بِمِئَتَي دينارٍ، وَاذهَب فَقَد أتمَمتُ لَكَ خَمسَمِئَةِ دينارٍ[1].

وتشير هذه الأمثلة والشواهد إلى كرم الإمام الحسين عليه السلام وجوده وسخائه، وإلى اهتمامه بالفقراء والمحتاجين، وإلى التعامل الإنساني الراقي مع الضعفاء والمعوزين، وأن هدفه هو نيل رضا الله تعالى، وقضاء حاجات المحتاجين، وإدخال السرور والفرح في قلوب المؤمنين.

فلسفة الكرم والتسامح

لا يسعد المجتمع، ولا يتذوق حلاوة الطمأنينة والسلام، ومفاهيم الدعة والرخاء، إلا باستشعار أفراده روح التعاطف والتراحم، وتجاوبهم في المشاعر والأحاسيس، في سراء الحياة وضرائها، وبذلك يغدو المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً.

وللتعاطف صور زاهرة، تشع بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأناً، وأكثرها جمالاً وجلالاً، وأخلدها ذكراً هي: عطف الموسرين، وجودهم على البؤساء والمعوزين، بما يخفف عنهم آلام الفاقة ولوعة الحرمان.

وبتحقيق هذا المبدأ الانساني النبيل (مبدأ التعاطف والتراحم) يستشعر المعوزون إزاء ذوي العطف عليهم، والمحسنين اليهم، مشاعر الصفاء والوئام والودّ، مما يسعد المجتمع، ويشيع فيه التجاوب، والتلاحم والرخاء.

وبإغفاله يشقى المجتمع، وتسوده نوازع الحسد، والحقد، والبغضاء، والكيد. فينفجر عن ثورة عارمة ماحقة، تزهق النفوس، وتمحق الأموال، وتهدد الكرامات.

من أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سُغَباً وحرماناً، دون أن

١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ١ ص ١٥٥. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي، ج ١١، ص ٤٤١.

يتحسس بمشاعرهم، وينبري لنجدتهم وإغاثتهم.

واعتبرت الموسرين القادرين والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الاسلام، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[1].

وقال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع، وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله اليهم يوم القيامة»[2].

وإنما حرّض الإسلام أتباعه على الأريحية والسخاء، ليكونوا مثلاً عالياً في تعاطفهم ومواساتهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي، ولأن الكرم صمام أمن المجتمع، وضمان صفائه وازدهاره[3].

وعندما تشعر جميع فئات المجتمع ومكوناته بالحياة الكريمة، والعيش الرغيد فإن هذا يؤدي إلى شيوع روح التسامح، ونمو التعايش السلمي بين مختلف مكونات المجتمع.

إما إذا شعر قسم من مكونات المجتمع بالغُبن والتهميش، وأن الثروة تنحصر في يد فئة أو جماعة أو مذهب أو انتماء سياسي معين؛ فإن هذا يؤدي إلى توليد الأحقاد والضغائن والكراهية بين المكونات المختلفة للمجتمع، وهو ما يعزز حالة الاحتقان والتشنج بين أفراد المجتمع، ويزيد من حدة الخصومات والعداوات بين المكونات الاجتماعية المختلفة.

إن الكرم والجود والسخاء يجب أن يتحول إلى صفة عامة وليس إلى صفة أخلاقية فردية فقط، حتى يشعر الجميع بالعدالة والحياة الكريمة، وكلها عوامل مهمة لصناعة التسامح الفعال في المجتمع.

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٦، ص ٣٣٧، رقم ٢١٧٠١. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٣٧، رقم ١١٦.
٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٣٠، رقم ١٥٨٤٩.
٣. أخلاق أهل البيت، السيد مهدي الصدر، ص ٥٥-٥٦.

إحسان الإمام الحسين عليه السلام

الإحسان إلى الناس من فضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، وللإحسان مجال واسع، وصور متعددة، ولا يقتصر معناه على معاونة الغني للفقير من ماله، وإنما له معان واسعة وعميقة، لأن معنى الإحسان في اللغة الإتقان، وهو ضد الإساءة، وهو التطوع والفضل بعد مراعاة العدل، وهو الإخلاص وصدق المراقبة.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى المحسنين بحفظ أجورهم، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾[1] وأن جزاء الإحسان هو الإحسان كما في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾[2] وأمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين في قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾[3].

وأوضح الله عز وجل أن الإحسان إلى المسيئ قد يحوله من عدو إلى صديق، كما قال تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[4] فالإحسان إلى المسيئين من صور التسامح، ونتائجه عظيمة، حيث يستطيع المحسن أن يحول أعداءه إلى أصدقاء حميمين، وبذلك يمكن أيضاً أن نحول العداوات والأحقاد بين المختلفين إلى متعاونين فيما بينهم.

ولأهمية الإحسان ومكانته في بناء المجتمع المسلم، «جاءت مادة الإحسان ومتعلقاتها فيما يقرب من أربعين موضعاً في القرآن الكريم. وهذه العناية التي تظهر في القرآن بأمر الإحسان، وتتمثل في الحديث عنه عشرات المرات، تدل على المكانة السامية التي تحتلها فضيلة الإحسان.

ولا عجب في ذلك، فعلماء الأخلاق يقولون: إن الإحسان خلق جامع لجميع أبواب الحقائق، وفيه لب الإيمان وروحه»[5].

١. سورة الكهف، الآية: ٣٠.
٢. سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
٣. سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
٤. سورة فصلت، الآية: ٣٤.
٥. موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، ج ٢، ص ٤٣.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالأخلاق الحسنة، والعمل بإحسان، إذ روي عنه ﷺ أنه قال «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

وتاريخ الإسلام حافل بصور الإحسان حتى للمسيئين، فهذا رسول الله ﷺ يقول لأهل مكة بعد تحريرها: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2].

وقد سجل الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الإحسان إلى المسيئين؛ ومن ذلك عندما سقى أعداءه الماء وقد جاؤوا لقتاله، ليضرب بذلك أروع مثال على النهج الإنساني والأخلاقي الرائع الذي كان يسير عليه، ويتحلى به حتى مع أشد الأعداء، وفي أحلك الظروف وأصعبها.

قصص وشواهد على إحسان الإمام الحسين عليه السلام

سجلت لنا كتب التاريخ بعض القصص والشواهد والأمثلة الرائعة عند الإمام الحسين عليه السلام، وكانت هذه الصور الرائعة والمختلفة تغطي مجالاً واسعاً عن مفهوم الإحسان، وفي ذلك ترسيخ وتعزيز لمبادئ التسامح والرحمة والشفقة عند الإمام الحسين عليه السلام.

ومن أشهر هذه القصص والشواهد ما يلي:

١- أغدق عليه بالإحسان:

روى ابن شهرآشوب عن عمرو بن دينار: دَخَلَ الحُسَينُ عليه السّلام عَلى أخلق جامعسامَةَ بنِ زَيدٍ وهُوَ مَريضٌ، وهُوَ يَقولُ: واغَمّاهُ!

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ عليه السّلام: وما غَمُّكَ يا أخي؟

قالَ: دَيني وهُوَ سِتّونَ ألفَ دِرهَم.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: هُوَ عَلَيَّ.

قالَ: إنّي أخشى أن أموتَ.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: لَن تَموتَ حَتّى أقضِيَها عَنكَ.

١. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٦، ص ٤٧٦. مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص١٥٣، رقم ٢٠٨٨٢.

٢. السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٤، ص ٤٧.

وبادر الإمام الحسين عليه السلام فَقَضاها عنه قَبلَ مَوتِهِ[1].

وفي هذه القصة تتضح صورة الإحسان إلى المخالفين، حيث أن أسامة بن زيد لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك عندما مرض عاده في مرضه، وأدى عنه دينه، ودفع عنه الغم والهم. وقد غض الإمام طرفه عن موقف أسامة من أمير المؤمنين، فلم يجازه بالمثل وإنما أغدق عليه بالكرم والإحسان.

إن هذا الموقف من الإمام الحسين عليه السلام تجاه أسامة بن زيد يكشف عن مدى التسامح الذي كان يتمتع به الإمام الحسين عليه السلام تجاه المعارضين، وفي هذا درس لنا جميعاً وهو الإحسان إلى من نختلف معهم، والتسامح تجاه أخطائهم ومواقفهم، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[2].

٢- رد التحية بأحسن منها:

كان الإمام الحسين عليه السلام مثالاً بارزاً للإحسان والعطف والرحمة والشفقة بالإماء والجواري والعبيد فضلاً عن الأحرار، قال أنس: : كُنتُ عِندَ الحُسَينِ عليه السّلام، فَدَخَلَت عَلَيهِ جارِيَةٌ بِيَدِها طاقَةُ رَيحانٍ فَحَيَّتهُ بِها، فَقالَ لَها: أنتِ حُرَّةٌ لِوَجهِ اللهِ تَعالى.

فَقُلتُ: تُحَيِّيكَ بِطاقَةِ رَيحانٍ لا خَطَرَ لَها فَتُعتِقُها؟!

قالَ: كَذا أَدَّبَنَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ، قالَ: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**[3] ﴾، فَكانَ أحسَنَ مِنها عِتقُها[4].

في هذا الموقف النبيل والدال على الخلق الرفيع، والإحسان الجميل، حيث قدمت الجارية طاقة ريحان فأعتقها لوجه الله تعالى ﴿ **هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾[5].

والإمام الحسين عليه السلام في هذه القصة يعلمنا درساً جميلاً ورائعاً في الإحسان إلى الخدم بأن

١. المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٦٥، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٩ ح ٢.
٢. سورة فصلت، الآية: ٣٤.
٣. سورة النساء، الآية: ٨٦.
٤. نثر الدرّ: ج ١ ص ٣٣٥، نزهة الناظر: ص ٨٣ ح ٨، كشف الغمّة: ج ٢ ص ٢٠١، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٥ ح ٤٨، الفصول المهمّة: ج ٢ ص ٧٦٨.
٥. سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

نتعامل معهم بإنسانية، ونعطف عليهم، ونحسن إليهم بأفضل إحسان.

٣- عتق جارية بقراءتها القرآن:

روي ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الأصمعي قال:

عُرِضَت عَلى مُعاوِيَةَ جارِيَةٌ فَأَعجَبَتهُ، فَسَأَلَ عَن ثَمَنِها، فَإِذا ثَمَنُها مِئَةُ ألفِ دِرهَمٍ، فَابتاعَها، ونَظَرَ إلى عَمرِو بنِ العاصِ، فَقالَ: لِمَن تَصلُحُ هذِهِ الجارِيَةُ؟

فَقالَ: لأَمِيرِ المُؤمِنينَ. قالَ: ثُمَّ نَظَرَ إلى غَيرِهِ، فَقالَ لَهُ كَذلِكَ. فَقالَ: لا.

فَقيلَ: لِمَن؟

قالَ: لِلحُسَينِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِها لِما لَهُ مِنَ الشَّرَفِ، ولِما كانَ بَينَنا وبَينَ أبيهِ. فَأَهداها لَهُ، فَأَمَرَ مَن يَقومُ عَلَيها.

فَلَمّا مَضَت أربَعونَ يَوماً، حَمَلَها، وحَمَلَ مَعَها أموالًا عَظيمَةً وكِسوَةً وغَيرَ ذلِكَ، وكَتَبَ: إنَّ أميرَ المُؤمِنينَ اشتَرى جارِيَةً فَأَعجَبَتهُ، فَآثَرَكَ بِها.

فَلَمّا قَدِمَت عَلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليه السّلام ادخِلَت عَلَيهِ، فاعجِبَ بِجَمالِها، فَقالَ لَها: مَا اسمُكِ؟

فَقالَت: هَوىً.

قالَ: أنتَ هَوىً كَما سُمِّيتِ. هَل تُحسِنينَ شَيئاً؟

قالَت: نَعَم، أقرَأُ القُرآنَ، وانشِدُ الأَشعارَ.

قالَ: اقرَئي.

فَقَرَأَت: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾[1].

قالَ: أنشِديني.

قالَت: ولِيَ الأَمانُ؟

قالَ: نَعَم. فَأَنشَأَت تَقولُ:

غَيرَ أن لا بَقاءَ لِلإِنسانِ أنتَ نِعمَ المَتاعُ لَو كُنتَ تَبقى

١. سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

فَبَكَى الحُسَينُ عليه السّلام، ثُمَّ قالَ: أنتِ حُرَّةٌ، وما بَعَثَ بِهِ مُعاوِيَةُ مَعَكِ فَهُوَ لَكِ. وأَمَرَ لَها بِأَلفِ دينارٍ أيضاً[1].

نجد في هذه القصة أن الإمام الحسين عليه السلام قد أعجب بجمالها وحُسنها، ولكنه أعتقها بقراءتها للقرآن الكريم، وأحسن إليها، ولم يأخذ منها شيئاً مقابل عتقها، بل أحسن إليها وأعطاها ألف دينار إكراماً لها.

٤- أعتق الغلام وأهداه البستان:

نقل الخوارزمي عن الحسن البصري قال: كان الحسين بن علي عليه السلام سيداً زاهداً، ورعاً صالحاً ناصحاً، حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستان له، وكان في ذلك البستان غلام يقال له: صافي، فلما قرب من البستان، رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجب الحسين عليه السلام من فعل الغلام، فلما فرغ من الأكل قال: الحمد الله رب العالمين، اللهم اغفر لي ولسيدي، وبارك له كما باركت على أبويه، يا أرحم الراحمين.

فقام الحسين عليه السلام ونادى: «يا صافي».

فقام الغلام فزعاً وقال: يا سيدي، وسيد المؤمنين إلى يوم القيامة، إني ما رأيتك فاعف عني.

فقال الحسين عليه السلام: «اجعلني في حل يا صافي، دخلت بستانك بغير إذنك».

فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك، تقول هذا.

فقال الحسين عليه السلام: «إني رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتأكل نصفه، فما معنى ذلك؟».

فقال الغلام: يا سيدي، إن الكلب ينظر إليَّ حين آكل، فإني أستحي منه لنظره إليَّ، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء، وأنا عبدك، وهذا كلبك، نأكل من رزقك معاً.

فبكى الحسين عليه السلام، ثم قال: «إن كان كذلك، فأنت عتيق لله» ووهب له ألف دينار.

فقال الغلام: إن أعتقتني فإني أريد القيام ببستانك.

---

١. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٥هـ، ج ٧٠، ص١٩٦، رقم ٩٤٤٨. موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الري شهري، ج٩، ص٢٨٢ – ٢٨٣.

فقال الحسين ﷺ: «إن الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل، البستان أيضاً وهبته لك، وإني لما دخلت البستان، قلت: اجعلني في حل فإني قد دخلت بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبت البستان بما فيه، غير أن هؤلاء أصحابي لأكلهم الثمار والرطب، فاجعلهم أضيافك، وأكرمهم لأجلي أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك».

فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فإني قد سبلته[1] لأصحابك وشيعتك[2].

نلاحظ في هذه القصة الجميلة من أخلاق الإمام الحسين ﷺ وإحسانه إلى عبده، فيتعامل معه باحترام وأدب، ولما رآه الإمام ﷺ يعطف على الحيوان (الكلب) ويعطيه من أكله ليأكل مما يأكل، أحسن إليه بإعتاقه في سبيل الله، ووهبه ألفي دينار.

وقد أَصَرَّ العبد على خدمة الإمام ﷺ، والقيام بشؤون البستان، فوهبه الإمام إليه!

وعندئذ قرر غلام الإمام الذي أعتقه أن يوقفه في سبيل الله تعالى، ويكون وقفاً على أصحاب الإمام ﷺ وشيعته.

إنها صورة جميلة ورائعة من صور الإحسان والعطاء، وهذا ما نحتاجه في كل عصر ومصر، وهو أن نحسن لبعضنا البعض وإن اختلفنا في كل شيء، فالإنسان محترم في نظر الإسلام، والإحسان إليه مطلوب وراجح، ومن أجَّل الأخلاق وأرفعها.

٥- عتق العبد وإهداء الغنم:

مَرَّ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ ﷺ بِراعٍ، فَأَهدَى الرّاعي إلَيهِ شاةً، فَقالَ لَهُ الحُسَينُ ﷺ: حُرٌّ أنتَ أم مَملوكٌ؟

فَقالَ: مَملوكٌ، فَرَدَّهَا الحُسَينُ عَلَيه.

فَقالَ لَهُ المَملوكُ: إنَّها لي، فَقَبِلَها مِنهُ، ثُمَّ اشتَراهُ وَاشتَرَى الغَنَمَ، فَأَعتَقَهُ وجَعَلَ الغَنَمَ لَهُ[3].

١. سبّل ضيعته: جعلها وقفاً في سبيل الله.

٢. مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي، ج ١، ص ١٥٣. مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي، ج ٧، ص ١٩٢-١٩٣، رقم ٨٠٠٦. موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الري شهري، ج٩، ص ٢٨٤-٢٨٥.

٣. مقتل الحسين للخوارزمي، ج١، ص ١٥٣. المحلّى: ج ٨ ص ٥١٥ عن ابن أبي شيبة، وفي المصنّف لابن أبي

قصة رائعة، حيث أن العبد أهدى الإمام الحسين عليه السلام شاة وقبلها منه بعد ما علم أنها له، ثم اشترى العبد واشترى الغنم، وأعتقه وجعل الغنم كلها له!

إنها صورة جميلة من صور الإحسان إلى العبيد، وعتقهم في سبيل الله تعالى، وجعلهم أحراراً، فمنهج الإمام الحسين عليه السلام الارتقاء بالإنسان واحترامه، والإحسان إليه، وبمثل هذه الأخلاق الرفيعة مَلَكَ الإمام الحسين عليه السلام قلوب الناس.

٦- مكافأة الإخوان على الإحسان:

خَرَجَ الإمام الحَسَنُ عليه السلام إلى سَفَرٍ فَأَضَلَّ طَريقَهُ لَيلًا، فَمَرَّ بِراعي غَنَمٍ فَنَزَلَ عِندَهُ، فَأَلطَفَهُ وباتَ عِندَهُ، فَلَمّا أصبَحَ دَلَّهُ عَلَى الطَّريقِ.

فَقالَ لَهُ الحَسَنُ عليه السلام: إنّي ماضٍ إلى ضَيعَتي[1] ثُمَّ أعودُ إلَى المَدينَةِ، ووَقَّتَ لَهُ وَقتاً وقالَ لَهُ: تَأتيني بِهِ.

فَلَمّا جاءَ الوَقتُ شَغَلَ الحَسَنُ عليه السلام بِشَيءٍ مِن اموره عَن قُدوم المَدينَةِ. فَجاءَ الرّاعي- وكانَ عَبداً لِرَجُلٍ مِن أهلِ المَدينَةِ- فَصارَ إلَى الحُسَين عليه السلام وهُوَ يَظُنُّهُ الحَسَنَ عليه السلام، فَقالَ: أنَا العَبدُ الَّذي بتَّ عِندي لَيلَةَ كَذا، ووَعَدتَني أن أصيرَ إلَيكَ في هذَا الوَقتِ، وأراهُ عَلاماتٍ عَرَفَ الحُسَينُ عليه السلام أنَّهُ الحَسَنُ عليه السلام.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السلام لَهُ: لِمَن أنتَ يا غُلامُ؟

فَقالَ: لِفُلانٍ.

فَقالَ عليه السلام: كَم غَنَمُكَ؟

قالَ: ثَلاثُمِئَةٍ.

فَأَرسَلَ إلَى الرَّجُلِ فَرَغَّبَهُ حَتّى باعَهُ الغَنَمَ وَالعَبدَ فَأَعتَقَهُ، ووَهَبَ لَهُ الغَنَمَ مُكافَأَةً لِما صَنَعَ مَعَ أخيهِ.

وقالَ عليه السلام: إنَّ الَّذي باتَ عِندَكَ أخي، وقَد كافَأتُكَ بِفِعلِكَ مَعَهُ[2].

شيبة: ج ٥ ص ٣٨٩« الحسن بن عليّ عليهما السّلام» بدل« الحسين بن عليّ عليهما السّلام».

١. الضَّيْعَةُ: الأرضُ المُغَلَّةُ، وقيل: العِقَارُ (تاج العروس: ج ١١ ص ٣١٥« ضيع»).

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ١ ص ١٥٣. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ١١، ص ٤٤٥.

هذه القصة الجميلة تعبر عن صورة رائعة من صور الإحسان، فالإمام الحسن عليه السلام بات عند العبد ليلة واحدة بعدما ضَيَّعَ الطريق، ووعده بمكافأة له.

وجاء العبد على الموعد، ولكنه ذهب للإمام الحسين عليه السلام ظاناً أنه الإمام الحسن عليه السلام، فلم يقل له الإمام: لستُ أنا، بل عمل على شراء الغنم التي عنده وهي ثلاث مئة من سيده، واشترى العبد، وأعتقه ووهب له الغنم مكافأة له لما صنع مع أخيه؛ إنها صورة جميلة ورائعة من صور الإحسان عند الإمام الحسين عليه السلام.

٧- قضاء الحوائج والإحسان:

رُوِيَ عَنِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ عليه السّلام أَنَّهُ قالَ: صَحَّ عِندي قَولُ النَّبِيِّ: «أفضَلُ الأَعمالِ بَعدَ الصَّلاةِ إدخالُ السُّرورِ في قَلبِ المُؤمِنِ بِما لا إثمَ فيه»؛ فَإِنّي رَأَيتُ غُلاماً يُؤاكِلُ كَلباً، فَقُلتُ لَهُ في ذلِكَ، فَقالَ: يَابنَ رَسولِ اللهِ، إِنّي مَغمومٌ أَطلُبُ سُروراً بِسُرورِهِ؛ لِأَنَّ صاحِبي يَهودِيٌّ اريدُ افارِقُهُ.

فَأَتَى الحُسَينُ عليه السّلام إلى صاحِبِهِ بِمِئَتَي دينارٍ ثَمَناً لَهُ.

فَقالَ اليَهودِيُّ: الغُلامُ فِدىً لِخُطاكَ! وهذَا البُستانُ لَهُ ورَدَدتُ عَلَيكَ المالَ.

فَقالَ عليه السّلام: وأَنَا قَد وَهَبتُ لَكَ المالَ.

فَقالَ: قَبِلتُ المالَ ووَهَبتُهُ لِلغُلام.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: أعتَقتُ الغُلامَ ووَهَبتُهُ لَهُ جَميعاً.

فَقالَتِ امرَأَتُهُ: قَد أسلَمتُ ووَهَبتُ زَوجي مَهري.

فَقالَ اليَهودِيُّ: وأَنَا أيضاً أسلَمتُ وأعطَيتُها هذِهِ الدّارَ[1].

إن الإمام الحسين لم يقتصر على قضاء حاجة هذا العبد بذهابه لصاحبه لشرائه منه، بل أهداه المال، وهذا الإحسان قد أدى إلى إسلام اليهودي وتبرعه بداره.

الإحسان والتسامح

إن للإحسان فوائد عظيمة، حيث ينمي روح التسامح في المجتمع، ويزيد من المحبة

١. المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٧٥، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٤ ح ٧، مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣٩٨ ح ١٤٤٠٧.

والمودة بين الناس، ويحول الأعداء إلى أصدقاء، والمتصارعين إلى متعاونين، والمتنافرين إلى متقاربين، فعليكم بالإحسان حتى للمسيئين لكم؛ كي تثمر شجرة التسامح بثمار الرحمة والعطف والرأفة والشفقة والمحبة والسلام والتعاون.

ومن أرقى صور التسامح هو الإحسان إلى المسيء، فالمتسامح محسن، حيث اختار الإحسان بدل رد السيئة بسيئة مثلها أو أعظم إلى المسيئ، وهذا يحتاج إلى تسامح كبير، حيث أن طبيعة الإنسان هو الانفعال والغضب تجاه المسيء، لكن أهل الإيمان والصلاح لا يتنزلون إلى صفات الأشرار، بل يتحكمون في انفعالاتهم وتصرفاتهم، ويكظمون غيظهم، ويردون السيئة بالحسنة.

والمؤمن المحسن يريد إنقاذ المسيء من هفواته وزلاته، وليس إلى تحطيمه والقضاء عليه، فبالإحسان يمكن تغيير مسار الإنسان المسيء نحو طريق الحق والخير والصلاح.

وقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام بإحسانه ضد المسيئين له أروع الأمثلة وأجمل القصص الدالة على عمق إنسانيته، ورقي أخلاقياته، وبذلك مَلَك الإمام عليه السلام قلوب الناس وعقولهم.

وعلينا الاقتداء والسير على نهجه ومنهاجه في الإحسان إلى الناس، وقضاء حوائجهم، وتحمل أذاهم، والتسامح تجاه أخطائهم.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان مثالاً رائعاً وأنموذجاً متكاملاً في التجمل بأخلاقيات الإسلام، والتحلي بأخلاقيات التسامح.

وما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية اليوم إلى روح التسامح بين مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، والابتعاد عن لغة التعصب والكراهية والتطرف والتشدد والأحقاد التي مزقت مجتمعاتنا المسلمة ومزقتهم تمزيقاً.

إن علينا كمسلمين الاقتداء بهذا الإمام العظيم وسيد الشهداء، وأبي الأحرار، في كل الأبعاد والجوانب، ومنها أخلاقه وصفاته وأفعاله وقيمه وآدابه وسجاياه النبيلة والجميلة والرائعة.

وليكن التسامح شعارنا ومنهجنا في الحياة، حتى ننهض بمجتمعنا، ونرتقي بفكرنا، ونعتز بأخلاقنا، ونتقدم بسلوكنا، ونتحضر بقيمنا.

الفصل الرابع

الإمام الحسين عليه السلام وأقسام التسامح

- مفتتح تمهيدي.
- التسامح الديني.
- التسامح الأخلاقي.
- التسامح الإنساني.
- التسامح الاجتماعي.
- التسامح الفكري.
- التسامح السياسي.

مفتتح تمهيدي

إن من أهم الأسس والقواعد التي تساعد على بناء المجتمعات الإنسانية وجود التسامح فيه، حيث يعزز من العيش المشترك، والقدرة على التعايش بين مختلف المكونات المتغايرة، وإدارة الاختلاف بصورة صحيحة بما يثري المجتمع ويساهم في تقدمه وتطوره وتنميته ورقيه.

والتسامح يجب ألا يقتصر على جانب دون آخر، أو فئة دون أخرى، أو مكون دون سائر المكونات، بل يجب أن يعم الجميع، ويتحول إلى ثقافة اجتماعية عامة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى أقسام التسامح، ودور الإمام الحسين عليه السلام في ترسيخ مختلف أنواع وأقسام التسامح سواء من خلال كلماته وأقواله وحكمه البليغة، أم من خلال سيرته العملية الأخلاقية والروحية والمعنوية والإنسانية والفكرية.

وسنتناول في هذا الفصل أقسام التسامح وهي:

١ - التسامح الديني.

٢ - التسامح الأخلاقي.

٣- التسامح الإنساني.

٤ - التسامح الاجتماعي.

٥ - التسامح الفكري.

٦ - التسامح السياسي.

التسامح الديني

التسامح الديني مصطلح حديث لم يكن دارجاً قبل القرآن التاسع عشر الميلادي، إلا أنه أخذ دوراً كبيراً منذ ذلك الوقت.

والمقصود به الإشارة إلى ما يحتوي عليه دين ما من قواعد تسمح بحرية الأديان الأخرى، وما يتحلى به أتباع هذا الدين من قابلية لاستيعاب أتباع العقائد المخالفة.

وبحسب (الموسوعة الإسلامية الميسرة ج٣): فإن للتسامح الديني مستويين اثنين:

الأول: مستوى نظري: ويقصد به القواعد والأسس والمبادئ.

الثاني: مستوى عملي: أي التطبيقات والسلوكيات المنعكسة عن تلك القواعد.

ويرى الباحثون -مسلمين وغير مسلمين- أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحتوي كتابه المنزل (القرآن الكريم) على قواعد مسجلة تنظم تعامل أتباعه مع أتباع الأديان الأخرى، وذلك على خلاف اليهودية والنصرانية مثلاً، اللتين تخلو كتبهما من مثل هذه القواعد الصريحة المتعلقة بالموضوع مباشرة، مما دعا رجال الدين فيهما إلى اللجوء إلى الأخلاقيات التي جاءت بها التوراة والإنجيل [1].

والحاجة إلى التسامح الديني تفرضها طبيعة واقع المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، حيث قلما نجد مجتمعاً من المجتمعات الإنسانية تتبع ديانة واحدة، فالغالب تعدد وجود الأديان والمذاهب فيها.

التعددية الدينية والتسامح

يشير مفهوم التعددية الدينية إلى «مشروعية التعدد، وحق جميع القوى والآراء المختلفة في التعايش، وفي التعبير عن نفسها وفي المشاركة على صعيد تسيير الحياة في مجتمعها».

والتعددية الدينية تختص بالتعدد في الدين والعقائد والشرائع والمناهج المتصلة به.

ومفهومها **يعني أولاً**: الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر.

---

١. روح التسامح، دار التوحيد، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص ٥٨.

ويعني ثانياً: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في العقائد.

ويعني ثالثاً: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبالحسنى بشكل يحول دون نشوب صراع ديني يهدد سلامة المجتمع.

إن مفهوم التعددية الدينية هذا يتضمن الإقرار بمبدأ «أن أحداً لا يستطيع نفي أحد».

وبمبدأ «المساواة في ظل سيادة القانون» وهو يلتزم بمبدأ حرية التفكير والتنظيم واعتماد الحوار واجتناب الإكراه.

وقد جاء الإسلام بنظرات حول الكون والحياة والإنسان، ويمكننا أن نستخلص من هذه النظرات أن مبدأ الاختلاف بين الناس هو أحد سنن الله في الكون، وهو واقع بمشيئته سبحانه، وقد أثبته القرآن الكريم، ويرتبط مبدأ الاختلاف هذا بمبدأ الحق في الاختيار الذي أقره الإسلام وأثبته القرآن الكريم أيضاً بعد أن فطر الله الإنسان عليه.

وتتجلى إيجابية الإقرار بالاختلاف في دعوة القرآن المسلمين أن يعدلوا مع من يعادونهم ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[1]. وكذلك في الدعوة إلى التعامل مع الآخر بمقتضى البر والعدل ﴿**لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[2].

وهكذا يُعطي الإسلام التعامل الإيجابي مع عقائد الآخر ومذاهبه المغايرة وأفكاره بعداً عقدياً يستند إلى التوجيه والتكليف الإلهيين، وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن أثبت كل نقد وُجه إلى الإسلام وقت نزول الرسالة، حتى وصفه البعض بأنه: «خلّد الفكر المضاد بين دفتيه» وهناك عدد من الآيات نزلت في سياق تبادل الحجج بين النبي والمشركين في شأن الدين الجديد. وقد فتح هذا التعامل الإيجابي الباب لتبادل النقد والتقويم في سياق عملية الإقناع والتبشير برسالة الإسلام فضلاً عن تثبيت العقيدة في النفوس[3].

ففي ظل الإسلام لا تُلغى الديانات الأخرى، ولا يحظر وجود سائر المبادئ والملل،

١. سورة المائدة، الآية: ٨.

٢. سورة الممتحنة، الآية: ٨.

٣. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، د. أحمد صدقي الدجاني، الطبعة – الأولى ١٩٩٠م، دار المستقبل العربي – القاهرة، ص ١١٧.

بل يخاطبهم القرآن الحكيم معترفاً بوجودهم، وتاركاً لهم حرية اختيارهم، يقول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1].

بل نظم الإسلام تشريعات ووضع قوانين لحماية أتباع الأديان الأخرى وللتعامل معهم في إطار الدولة الإسلامية، فإذا ما خضعوا للنظام السياسي، وساهموا مالياً في توفير احتياجاته عبر دفع الجزية وهي مبلغ سنوي من المال يحدده الحاكم الشرعي على كل فرد ذكر قادر من غير المسلمين، كما يدفع أفراد المسلمين الزكاة والخمس، فإنهم بعد ذلك أحرار في البقاء على أديانهم وممارسة معتقداتهم، دون أن يجبرهم أحد على تركها أو العدول عنها.

وحتى المشركون الكفار وإن كانوا لا ينتمون إلى ديانة معينة، ويعكفون على عبادة الأصنام والأوثان، فإن الإسلام لا يقسرهم على ترك ديانتهم، ولا يرفض وجودهم في ظله، بل شأنهم كأتباع الأديان الأخرى من يهودية ومسيحية ومجوسية[2].

وهذا ما حصل في تاريخ الإسلام بالفعل.. يقول السيد الشيرازي: «وهذا هو الذي عمله الرسول ﷺ فإنه لما ظفر بأصحاب بدر، وكانوا مشركين لم يقتلهم بل أخذ منهم الفداء وتركهم على شركهم فلم يجبرهم على الإسلام، وكذلك فعل بأهل مكة فإنه ﷺ قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فلم يقتلهم ولم يجبرهم على الإسلام، وكذلك صنع بأهل حنين.. إلى غير ذلك مما لا يخفى على من له أقل إلمام بتاريخ الرسول ﷺ، وهذا هو المقطوع به من سيرة رسول الله ﷺ بل وسيرة المسلمين طول التاريخ الإسلامي، فإنه لم يعهد من أي مقاتل من المسلمين أن يقتل جميع الكفار الذين لم يكونوا أهل كتاب ولم يسلموا، بل مختلف أنواع الكفار كانوا يعيشون في كنف الحكومات الإسلامية السنية والشيعة بسلام، كما لا يخفى ذلك على من راجع التاريخ»[3].

وقد اقتدى أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله ﷺ واحترم كل حريات الناس حتى الأقليات

١. سورة الكافرون، الآية: ٦.

٢. التعددية والحرية في الإسلام، الشيخ حسن الصفار، دار البيان العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ٤١.

٣. الفقه: كتاب الجهاد، السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، دار العلوم، بيروت، ج ٤٨، ص ٢٩.

التي كانت تحت لواء الإسلام، وفي الوقت الذي كان الإمام عليه السلام في أقصى درجات القوة، وحدود بلاده وحكومته تمتد من أواسط ما كان يُسمى بالاتحاد السوفياتي إلى غرب أفريقيا لم يجبر ولا مواطناً واحداً على ترك عقيدته واعتناق الإسلام، بل العكس صحيح؛ فقد ورد في روايات عديدة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام حول الأقليات الدينية: فعن أبي الحسن عليه السلام أنه قال «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»[1] وقال الإمام الحسين عليه السلام: «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دينٌ، وَكُنْتُمْ لا تَخافُونَ الْمَعادَ، فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُمْ »[2]. فالروايات الواردة عن الأئمة الأطهار حول الحريات كثيرة.. حتى أن فقهاء الإسلام اعتماداً على الكتاب والسنة استنبطوا قاعدة عامة مختصرة ومفيدة تقول: «الناس مسلطون على أنفسهم وأموالهم»[3].

وحينما يقبل الإسلام بوجود سائر الأديان والاتجاهات ضمن مجتمعه وفي ظل دولته، فإنه يمنحهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائر أديانهم والقيام بطقوس عباداتهم، وتنفيذ تعاليمها وأحكامها دون أن يفرض عليهم شعائره وأحكامه أو يتدخل في شؤون أديانهم.

وقد تعهد رسول الله لنصارى نجران بضمان حريتهم الدينية في عباداتهم وشعائرهم كما جاء في نص معاهدته لهم في كتابه لأبي الحارث بن علقمة أسقف نجران وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: إن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بِيَعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله.. لا يغيّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه [على ذلك جوار الله ورسوله أبداً] ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين»[4].

١. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٢٦، ص ١٤٨، رقم ٢٤٨٨٩.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٥١.

٣. الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين، السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي، الطبعة الأولى١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، مؤسسة الفكر الإسلامي – بيروت، ص٧. وقد تحدثنا عن هذه القاعدة الفقهية في الفصل الثاني من هذا الكتاب فراجع.

٤. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٦٧. مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ج ٣، ص ١٤٨.

إن هذه الرسالة من النبي إلى نصارى نجران تنص على حرية العقيدة وضمان حقوق (الآخر الديني) وعدم إكراههم على ترك عقيدتهم إذ أن من حق الإنسان أن يختار العقيدة التي يرغب فيها، دون أي إكراه أو جبر.

وقد بلغ احترام الإسلام للذمي حداً يسمح له أن يخاصم إمام المسلمين ويطالبه بالبّينة لدعواه كما اتفق ذلك في قصة درع أمير المؤمنين ومخاصمته في عصر خلافته مع رجل من اليهود عن شريح القاضي.

ولم يكتفِ الإسلام باحترام الأحياء من أهل الكتاب بل نرى النبي ﷺ يحترم بنفسه أمواتهم ويأمرنا بذلك أيضاً، فعن جابر بن عبدالله قال: «مرّ بنا جنازة فقام النبي وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا»[1]، وكان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمرّوا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض أي من أهل الذمّة، فقالا: إن النبي ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفساً؟![2]

هذا منطق الإسلام يرى للإنسان وحتى لجنازته بأي ملة ودين كان حرمة وشأناً ما لم يتجاوز على حقوق غيره.

وقد وجد اليهود والنصارى والمجوس في ظل الحكومات الإسلامية من كرامة العيش والحرية في جميع مجالات الحياة: من السياسة والاقتصاد والحرية في اكتساب العلوم والصنائع ما لم يجدوه في ظل الحكومات المسيحية وغيرها، وقد كانت الدول المسيحية في أوروبا يستعبدون اليهود ويذلونهم ويسومونهم سوء العذاب، وكانت البلاد الإسلامية ملجأ لهم وملاذاً يتمتعون فيها بأحسن ما كان يتمتع به المسلمون، كما شهدت بذلك التواريخ[3].

وما حَكم المسلمون بلداً إلا وأبقوا على ما فيه من ديانات وملل، وما حكم غير المسلمين

١. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ص٢٢٨، رقم ١٣١١.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٨، ص ٢٧٣، صحيح البخاري، ص٢٢٨، رقم ١٣١٢.
٣. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، الشيخ حسين المنتظري، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج٢، ص ٧٥٢.

بلداً إلا وألغوا كل اعتقاد آخر ولم يبقوا فيه إلا على دينهم أو مذهبهم، تلك شهادة ينطق بها سجل علاقات المسلمين بغيرهم على مدار التاريخ.

ذلك أن اعتزاز الإسلام بالإنسان كمخلوق مهما كان اعتقاده ولونه وجنسه، ثم إيمان المسلمين بالسابقين من الأنبياء، وشرعية وجود أصحاب الديانات الأخرى الذين اعتبرهم القرآن الكريم (أهل الكتاب) لهم مكانهم في المجتمع الإسلامي.

هذه العناصر في مجموعها هي التي أفسحت المجال لبقاء واستمرار تلك الجماعات غير المسلمة وسط مجتمعات المسلمين عبر ذلك التاريخ الطويل، وهي التي أفرزت في النهاية ما قد نسميه الآن قضية «حقوق الأقليات غير المسلمة» وبالمقابل فإن أوروبا المسيحية -ونحن هنا نتحدث عن التاريخ- اختصرت الطريق من بدايته وكان رفض اعتراف الكنيسة بنبوة محمد ﷺ وبتعاليمه بالتالي -وهي القضية التي لم تحسم في الفاتيكان إلى الآن[1]- كان هذا الموقف هو الأساس الذي بنت عليه أوروبا المسيحية موقفها في عدم الاعتراف بشرعية وجود المسلمين.

ومن المفارقات اللافتة للنظر هنا أن وصف الآخرين بأنهم أهل ديار الكفر، لم يكن مقصوراً على بعض فقهاء المسلمين لأن قساوسة الكنيسة حتى العصور الوسطى كانوا يعتبرون بلاد المسلمين ديار كفر أيضاً!! وأنه بينما يجيز جمهور الفقهاء منذ قرون، الاتجار بين المسلمين وغيرهم فإن أعراف القرون الوسطى منعت على الفرنجة التعامل التجاري مع المسلمين! وهو ما قرره صراحة مجمع لاتران الكنسي في عام ١١٧٩م.

وكان من نتيجة هذا الموقف أن أوروبا المسيحية لم تسمح باستمرار وجود المسلمين

١. اعترف الفاتيكان بالإسلام فقط -لأول مرة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية- بعد دورة مجمع الفاتيكان الثانية التي استمرت ثلاث سنوات (من ١٩٦١ - ١٩٦٤م) وفي أعقاب الدورة جاء في قرارات المجمع: «إن الكنيسة تنظر أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم، إنهم يعظمون المسيح كنبي وإن كانوا لا يعترفون به كإله!! يحترمون أمه البتول مريم، وأحياناً يذكرونها بكل تقوى!، ثم أنهم يرتجون اليوم الآخر، يوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث.. وهم بالتالي يقدرون الحياة الأخلاقية ويعبدون الله خاصة بالصلاة والزكاة والصوم.. وإذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسلمين والمسيحيين فإن (المجمع المقدس) يدعو الجميع إلى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق والعمل المشترك، لنصرة وتأكيد العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس»، انظر كتاب مواطنون لا ذميون، ص٧٤.

فيها، وما جرى في الأندلس وصقلية خير شاهد على ذلك، فقد كانت الخيارات التي وضعت أمام المسلمين في هذين البلدين كانت في حقيقة الأمر هي القتل أو التنصير أو الطرد أي أنها كانت درجات في اقتلاع الجذور وإلغاء كيان الأقلية المسلمة، وهذا ما حدث بالفعل وأدى في النهاية إلى اختفاء الإسلام تماماً من الأندلس وصقلية[1].

في حين أن الإسلام لم يسمح لسائر الأديان والملل في ممارسة عباداتهم وطقوسهم فحسب؛ وإنما أمر المسلمين باحترام تلك الأديان، وإعطاء كافة الحقوق المشروعة لهم، وهذا ما يفسر تواجد الأقليات غير المسلمة في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

إن احترام الإسلام لـ(الآخر الديني) المغاير له في الفكر والمعتقد ينطلق من مبدأ كرامة الإنسان؛ بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو دينه أو قوميته، وإنما الإسلام يحترم الإنسان لكونه إنساناً كرّمه الله تعالى، أما أفكاره وقناعاته ومعتقداته فهو مسؤول يوم القيامة عنها، ومحاسب عليها.

وإن تجذير قيم التعاون والتحاور والتعايش والتسامح التي يؤكدها الإسلام بين المسلمين وغيرهم من غير المحاربين، كفيل ببناء مجتمع بشري تسود فيه روح المحبة والمودة والإخاء الإنساني، فالناس -كما يقول الإمام علي ﷺ- صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

وإذا كان الإسلام يحث أتباعه على احترام (الآخر المغاير) له في الفكر والمعتقد، وإذا كان التاريخ قد سجل التزام المسلمين بمنهج التعددية الدينية والتعايش بينهم وبين أهل الكتاب وغيرهم، فمن المهم اليوم توضيح تلك الحقائق للعالم الذي يجهل بعضه، ويتجاهل بعضه الآخر، تلك الحقائق الناصعة عن الدين الإسلامي.

ومن المؤسف أن نرى بعض الكُتَّاب بالذات في العالم الغربي وهم يصوّرون الإسلام على أنه لا يقبل ولا يعترف بغيره، وهو ادعاء تنكره البيّنات الدامغة والحجج الواضحة والحقائق الثابتة!

وإن كان بروز الجماعات التكفيرية والإرهابية في العقود الأخيرة قد شَوَّه صورة

١. مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٦٠.

الإسلام الناصعة، وأعطى انطباعاً -غير صحيح- بأن الإسلام يتبنى العنف، وعدم التسامح؛ ورفض الآخر.

لكن ذلك ليس صحيحاً، ولا يمثل حقيقة الإسلام وجوهره، كما لا يمثل الحالة العامة للمسلمين، وإنما هي حالة شاذة وخاصة، وبالتالي فإن الجماعات التكفيرية التي تؤمن بالعنف والإرهاب والكراهية ورفض الآخر لها ثقافتها الخاصة بها، وهي لا تمثل إلا أصحابها، أما الإسلام -فكما أوضحنا- أنه يشجع ويحث على قبول الآخر، ويؤمن بحرية الإنسان والحفاظ على كرامته، ويدعو إلى التسامح والتعاون والتواصل والإحسان إلى جميع الناس وإن اختلفوا في عقائدهم ومذاهبهم وأفكارهم.

التسامح الأخلاقي

يرتكز التسامح الأخلاقي على منظومة من القيم الأخلاقية التي حَثَّ عليها الإسلام، وأمر أتباعه بالالتزام بها، والتعامل وفق هديها.

وقد اعتبر الإمام الحسين عليه السلام أن الأخلاق الحسنة عبادة، فقد قال عليه السلام: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ عِبادَةٌ»[1] والعبادة لا تقتصر على الصلاة والصيام والحج، بل تشمل كل ما فيه رضا الله تعالى ورجاء ثوابه.

وأورد الشيخ الطوسي بإسناده عن الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه علي عليه السلام أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «بعثتُ بمكارم الأخلاق ومحاسنها»[2].

وكان الإمام الحسين عليه السلام يحث على التنافس على كسب مكارم الأخلاق، إذ يقول عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ»[3].

وقد جَسَّد الإمام الحسين عليه السلام بسيرته المباركة أجمل وأروع وأحسن صور التسامح الأخلاقي؛ فكان مثالاً للعفو والصفح والرفق والرحمة واللين والشفقة والرأفة بالناس.

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٩، ص ٤٠٥، رقم ١٠٩. الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٤٥٧، رقم ١٢٣٤.

٣. كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة الإربلي، ج ٢، ص ٢٠٠. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٨، ص ١٢١، رقم ٤.

ومما يذكره لنا التاريخ أن رجلاً قال للإمام الحسين عليه السلام: إن فيك كبراً!

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «كل الكبر لله وحده، ولا يكون في غيره، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]»[2].

فالإمام الحسين عليه السلام تعامل مع هذا الناقد المخطئ بكل لطف ورفق، ولم يشتمه أو يرد عليه بما لا يليق، بل أجابه بكل رحابة صدر مبيناً له خطأ انتقاده للإمام بأن الكبر لا يكون إلا لله تعالى، وأن الإمام فيه عزة المؤمنين وصلابة الإيمان.

وقد طَبَّق الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموقف حسن التعامل مع الآخرين حتى مع المسيئين إليه.

وقد روى جمال الدين محمد الزرندي الحنفي المدني عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «سَمِعتُ الحُسَينَ عليه السّلام يَقولُ: لَو شَتَمَني رَجُلٌ في هذِهِ الاذُن- وأومَأَ إلَى اليُمنى- وَاعتَذَرَ لي في الاخرى، لَقَبِلتُ ذلكَ مِنهُ؛ وذلكَ أنَّ أميرَ المُؤمِنينَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِب عليه السّلام حَدَّثَني أنَّهُ سَمِعَ جَدّي رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه و آله يَقولُ: لا يَرِدُ الحَوضَ مَن لَم يَقبَلِ العُذرَ مِن مُحِقٍّ أو مُبطِلٍ »[3].

فالتسامح مع المخطئ أو المسيء، وقبول عذر المعتذر من القيم الأخلاقية الجميلة، ففي الاعتذار اعتراف بالخطأ، وفي قبول الاعتذار فضيلة تدل على التسامح الأخلاقي.

كما أنه في قبول الاعتذار كسب لمحبة الآخرين والحفاظ على مودتهم وإخائهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اقبل أعذار الناس تستمع بإخائهم»[4].

ويدعو الإمام الكاظم عليه السلام إلى تعزيز روحية التسامح الأخلاقي وقبول الاعتذار من غير لوم أو تعنيف، فيقول: «إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[5].

١. سورة المنافقون، الآية:٨.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٨، رقم١٣.
٣. نظم درر السمطين، الشيخ محمد الزرندي الحنفي، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ص٢٠٩.
٤. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٦، ص ٢٩٤، رقم ٤.
٥. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ١١، ص ٢٢٥، رقم ٩٨٦١.

ومن القيم الأخلاقية التي كان يتحلى بها الإمام الحسين عليه السلام أيضاً قيمة احترام الأخ الأكبر والأدب معه، فقد روى ابن قتيبة: أن رجلاً أتى الحسن بن علي يسأله؛ فقال الحسن: إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مفظعة[1].

فقال الرجل: ما جئت إلا في إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار.

ثم أتى الرجل الحسين بن علي فسأله، فقال له مثل مقالة أخيه، فردّ عليه كما ردّ على الحسن؛ فقال: كم أعطاك؟

قال: مئة دينار، فنقصه ديناراً. كره أن يساوي أخاه[2]. وذلك من باب الأدب مع أخيه الأكبر وهو الإمام الحسن عليه السلام.

إن علينا أن نتخلق بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام، فنتعامل برفق ولين وأدب وصفح وعفو مع الناس، ولنبدأ بأقرب الناس إلينا، فنحسن إليهم، ونعفو عن أخطائهم، ونصفح عن إساءاتهم، ونرفق بهم.

وإذا كان التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسنها شيء جميل، فإن الأجمل أن يتحول ذلك إلى منهج اجتماعي في تعامل بعضنا مع البعض الآخر، حتى نعزز من روح التسامح وثقافته في المجتمع، ونقوي من الالتزام بمنهج التسامح الأخلاقي حتى يعم مختلف الشرائح والتوجهات والتيارات والمذاهب والأديان؛ كي ينعم الجميع بالأمن والسلام والعيش بكرامة واحترام.

التسامح الإنساني

التسامح الإنساني هو الذي يكون نابعاً من دواعٍ إنسانية محضة بعيداً عن أية اعتبارات أخرى، أو انتماءات محددة، أو اتباع دين أو مذهب معين، وإنما يكون هذا التسامح من أجل احترام الإنسان باعتباره كائناً محترماً في نظر الإسلام.

١. الغرم: أداء شيء لازم، وما يلزم أداؤه، والضرر والمشقة. والفادح: الصعب المثقل. والمدقع: الملصق بالتراب. والحمالة: الدية والغرامة والكفالة.

٢. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ١٥٨.

وكما أن رسالة الإسلام رسالة إنسانية شاملة تهدف إلى بناء الإنسان وفق القيم والمبادئ والأخلاق، فإن رسالة النهضة الحسينية كانت كذلك، وهدفها الحفاظ على كرامة الإنسان واحترام حقوقه.

وقد أشاد بالقيم الإنسانية التي تمسك بها الإمام الحسين عليه السلام حتى مع أعدائه جميع الباحثين والمؤرخين والكُتاب. من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب والمدارس الفكرية والدينية. ونال إعجابهم، وأثار دهشتهم من إصرار الإمام الحسين عليه السلام على التمسك بنهجه الإنساني المتسامح.

فهذا الكاتب المسيحي (أنطون بارا) يبدي إعجابه بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وبالقيم الإنسانية التي ثار من أجلها: يقول ما نصه: «جديرٌ بقدسيّة رسالة الحسين عليه السلام، أن يقدّمها العالَمُ الإسلامي كأنصع ما في تاريخ الإسلام، إلى العالَم المسيحي، وكأعظم شهادةٍ لأعظم شهيدٍ في سبيل القيم الإنسانيّة الصافية الخالية من أيّ غرض أو إقليميّة ضيّقة أو مذهبية مفرقة، وكأبرز شاهدٍ على صِدق رسالة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وكلِّ رسالات الأنبياء السابقين.

وليس أدلّ على ما لسحر شهادة الحسين عليه السلام من قوةِ جذبٍ للشعور الإنسانيّ، من حادثة رسول القيصر إلى يزيد، حينما أخذ يزيد ينكث ثغر الحسينِ الطاهر بالقضيب على مَرأى منه، فما كان من رسول القيصر إلاّ أن قال له مستعظِماً فِعلتَه:

إنّ عندنا في بعض الجزائر(مدن) حافرَ حمار عيسى، ونحن نحجّ إليه في كلّ عام من الأقطار ونهدي إليه النذورَ ونعظّمه كما تعظّمون كتبكم، فأشهَدُ أنّكم على باطل!»[1].

فأغضب يزيدَ هذا القول، فأمر بقتله، فقام رسول القيصر إلى الرأس الطاهر وقبّله، وتشهّد الشهادتين (أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله)، وعند قتله سمع أهلُ المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً يردّد: «لا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله!»[2].

وحادثة أخرى دفعت براهبٍ مسيحيّ لأن يبذل دراهم مقابل تقبيل رأس الشهيد،

١. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٢٩٨.

٢. انظر مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٧٢.

وكان ذلك عند نصب الرأس على رمح إلى جانب صومعته، وفي أثناء الليل سمع الراهب تسبيحاً وتهليلاً، ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهَّر، وسمع قائلاً يقول:

(السلام عليك يا أبا عبدالله)، فتعجّب حيث لم يعرف الحال.

وعند الصباح استخبر الراهبُ القومَ فقالوا له: إنّه رأس الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت النبيّ محمّد، فقال لهم:

تَبّاً لكم أيّتُها الجماعة! صَدَقتِ الأخبار في قولها: إذا قُتِل تَمطُر السماءُ دماً! وأراد منهم أن يقبّل الرأس فلم يُجيبوه إلاّ بعد أن دفع إليهم دراهم، ولمّا ارتحلوا عن المكان نظروا إلى دراهم الراهب فإذا مكتوبٌ عليها: ﴿**وَسَيَعلمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلبون**﴾[1].

فبداهةُ القول: إنّ أيّ فكرٍ إنساني يطّلع على السيرة العطرة لسيّد الشهداء، لابدّ وأن تتحرّك في وجدانه نوازعُ الحبّ لهذا الشهيد المثاليّ، كما تحرّكت شبيهةُ هذه النوازع في قلبَيْ كلٍّ من: رسول القيصر، والراهب.

ففي أعماق كلّ إنسان لواقطُ خفيّة تلتقط أدنى إشارات العظمة والقداسة خُفوتاً.. فكيف بأقواها تلك المتعلّقة بشخص سيّد الشهداء، والمنبعثة - رغم السنين والقرون - مِن كلّ كلمةٍ في سِفْر حياته وكفاحه وشهادته، والتي تستهوي أشدَّ القلوب ظلامةً للتفاعل معها، وتُوقظ أشدَّ الضمائر موتاً لاستلهامها والسير على هُدى أنوارها السَّنيّة؟! فكيف بالقلوب المنورة والضمائر الحية؟»[2].

وقديماً قال ذلك المسيحي المعجب بشخصية الإمام الحسين عليه السلام: «لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كل بلد بيرقاً، ولنصبنا له في كل قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين»[3].

١. سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

٢. الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا، دار العلوم، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٩٣-٩٤.

٣. الحسين في الفكر المسيحي، انطون بارا، دار العلوم، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٧٢.

فالنهضة التي تقوم من أجل الحفاظ على حقوق الناس، وصيانة كرامتهم، والدفاع عن حقوقهم، والتضحية بالنفس في سبيل المبادئ والقيم الدينية والإنسانية تنال إعجاب الناس بكل أديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وأفكارهم، فالقيم الإنسانية ليست محلاً للخلاف والجدال، وإنما العقلاء أينما كانوا، ولأي دين اتبعوا، يؤمنون بها ويدافعون عنها.

إنسانية الإمام الحسين عليه السلام والتسامح

تتجلى إنسانية الإنسان بصورة أكثر وضوحاً عندما يلتزم بالقيم الإنسانية والأخلاق الرفيعة في المواقف الصعبة، وفي التعامل الإنساني مع الخصوم والأعداء.

لقد سَطَّرَ الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة على التمسك بالنبل الإنساني مع أعدائه فضلاً عن مريديه ومحبيه، فعندما أدركه الجيش الأموي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي للقبض عليه ورأي ما حل بهم من ألم العطش الشديد، أمر الإمام الحسين عليه السلام بإسقائهم الماء، يقول الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله):

«وكان عدد الجيش زهاء ألف فارس، ووقفوا قبال الإمام في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحر، ورآهم الإمام وقد أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ، فرق عليهم، وغض نظره من أنهم جاؤوا لقتاله وسفك دمه، فأمر أصحابه أن يسقوهم، ويرشفوا خيولهم، وقام أصحاب الإمام فسقوا الجيش ثم انعطفوا إلى الخيل فجعلوا يملؤون القصاص والطساس فإذا عَبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت وسقي الآخر حتى سقوا الخيل عن آخرها.

لقد كان الإمام عليه السلام على استعداد كامل في سفره، فقد كانت الأواني وحدها تسع لسقاية ألف فارس مع خيولهم، فضلاً عن سائر الأثاث والأمتعة الأخرى. وعلى أي حال فقد تكرم الإمام الحسين عليه السلام بإنقاذ هذا الجيش الذي جاء لحربه، وهذه قمة الأخلاق وهي لن تكون إلا في سبط نبي الرحمة، وهنا موقف من روائع مواقف الحسين عليه السلام»[1].

يقول المؤرخون: إنه كان من بين هذا الجيش علي بن الطعان المحاربي، وقد تحدث

١. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج١٤، ص ٧٥-٧٦.

عن سماحة الإمام الحسين عليه السلام وعظيم أخلاقه، يقول: كنت ممن أضَرَّ بي العطش، فأمرني الحسين بأن «أنخ الراوية» فلم أفقه كلامه، لأن الراوية بلغة الحجاز هي الجمل، ولما عرف أني لم أفهم كلامه قال: «أنخ الجمل» فأنخته، ولما أردت أن أشرب جعل الماء يسيل من السقاء، فقال لي «أخنث السقاء»، فلم أدرِ ما أصنع فقام الإمام الحسين عليه السلام فخنث السقاء حتى ارتويت أنا وفرسي[1].

ويكشف هذا الموقف الإنساني الرابع عمق إنسانية الإمام الحسين عليه السلام ومدى رحمته وعطفه حتى على خصومه وأعدائه الذين جاؤوا من أجل قتاله والقبض عليه!

ولا تجد في سجلات التاريخ مثل هذه المواقف الإنسانية إلا في سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وإلا فإن تاريخ الحروب والخصومات والمنازعات حافلة بقتل الخصوم، وتحين كل فرصة للقضاء عليهم.

وما عمله الإمام الحسين عليه السلام مع الجيش الأموي من مواقف إنسانية لا تصدر إلا من رجال عظام وأئمة كبار قد شربوا من معين رسالة الإسلام وتربوا في أحضان النبوة والإمامة.

ولا يمكن لأي منصف أو باحث إلا أن ينحني لمواقف الإمام الحسين عليه السلام الإنسانية مع أعدائه الألداء، وخصومه الأشداء.

وأما أعداء الحسين عليه السلام فقد تخلوا من كل قيم الإنسانية، ومنعوا الماء عندما كان تحت سيطرتهم عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأطفاله وأصحابه، واستخدموا الماء كسلاح ضدهم لإلحاق الهزيمة المعنوية والمادية بهم، ولم يحسنوا للإمام الحسين عليه السلام كما فعل معهم، وسمح لهم بشرب الماء، وهنا يتبين الفارق بين إنسانية الإمام الحسين عليه السلام ووحشية اعدائه وتخليهم عن شعورهم الإنساني ليحل محله التوحش والعنف.

وفي موقف آخر يسجله لنا التاريخ عن تسامح الإمام الحسين عليه السلام الإنساني، حيث بذل جهده لهداية العدو وهو هنا (عمر بن سعد) قائد الجيش الأموي، وإنقاذه من المصير المظلم في الدنيا والآخرة.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص ٣٧٦. (بتصرف قليل)

ينقل العلامة المجلسي في بحاره:

أرسل الحسين إلى عمر بن سعد: إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا، أمر الحسين ﷺ أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد وأصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال له الحسين ﷺ: ويلك يا بن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.

فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري!

فقال الحسين ﷺ: أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي!

فقال الحسين ﷺ: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال وأخاف عليهم!

ثم سكت ولم يجبه إلى شيء فانصرف عنه الحسين ﷺ[1].

وهذا الموقف الإنساني من الإمام الحسين ﷺ تجاه قائد العدوان الأموي وهو عمر بن سعد حتى في آخر اللحظات كان الهدف منه إنقاذه مما هو فيه، وإعطاؤه فرصة للتوبة والتراجع عن الطريق الخاطئ إلى طريق الحق والصلاح.

وما فعله الإمام الحسين ﷺ إنما هو تعبير عن تسامح الإمام الحسين ﷺ الإنساني مع الأعداء والخصوم، وتغليب الروح الإنسانية، وقيم العطف والرحمة والشفقة بأعدائه من أجل إنقاذهم من طريق النار إلى طريق الجنة.

وقلما نجد في تاريخ الإنسانية مثل هذه المواقف الإنسانية الجميلة المعبرة عن روح التسامح الإنساني حتى مع الخصوم والأعداء.

وعلينا كمجتمعات مسلمة أن نتخلق بأخلاق الإمام الحسين ﷺ الإنسانية، ونشيع قيم الرحمة والعفو والصفح والتسامح تجاه الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، ونبتعد عن روح

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٤، ص ٣٨٨.

الكراهية والحقد والضغينة ضد الآخر، ونتجنب عدم التسامح والتعصب تجاه من نختلف معهم في دين أو مذهب أو موقف أو رأي أو أي شيء آخر.

التسامح الاجتماعي

نستطيع أن نعرف التسامح الاجتماعي بأنه: القدرة على التعايش مع المكونات الاجتماعية الأخرى، وتقبل الرأي الآخر، وعدم تهميش أي مكون من مكونات المجتمع، وإعطاء كل المكونات والشرائح الاجتماعية الحق في التعبير عن نفسها وآرائها وهويتها وخصوصياتها وثقافتها.

والتسامح الاجتماعي بهذا المعنى من أساسيات بناء المجتمعات بصورة علمية وحضارية بعيداً عن لغة الإقصاء أو التهميش أو الإلغاء بما يساهم في إبراز الطاقات الكامنة والقدرات الكبيرة التي يتمتع بها مختلف المكونات لأي مجتمع إنساني.

و«التسامح كحقيقة اجتماعية، لا يمكن أن تتجسد بدون تطوير الثقافة المجتمعية التي تحتضن كل معالم وحقائق هذه القيمة. وبالتالي فإن المسؤولية الاجتماعية الأولى، هي العمل على تطوير ثقافة الحرية والتواصل وحقوق الإنسان ونبذ العنف والإقصاء والمفاصلة الشعورية بين أبناء المجتمع الواحد. فلكي يبنى التسامح الاجتماعي وتسود علاقات المحبة والألفة وحسن الظن صفوف المجتمع، نحن بحاجة أن نعلي من شأن الثقافة والمعرفة القادرة على استيعاب الجميع بتنوعاتهم واختلافاتهم الاجتماعية والفكرية.

وهذا بطبيعة الحال، يتطلب ممارسة قطيعة معرفية واجتماعية مع كل ثقافة تشرع لممارسة العنف والتعصب، أو تبرر لمعتنقها ممارسة النبذ والإقصاء مع الآخرين، فالتسامح الاجتماعي لا ينمو ويتجذر إلا في بيئة تقبل التعدد والاختلاف، وتمارس الانفتاح الفكري والمعرفي، وتطلق سراح الرأي للتعبير والنقد. فلكي نحقق التسامح، نحن بحاجة أن ننبذ من واقعنا كل أشكال التعصب وممارسة العنف، حيث أنه لا يمكن أن تتجسد معالم التسامح في مجتمع تسوده ثقافة تدفع إلى الانغلاق والتعصب وممارسة العنف تجاه المخالفين. إن التسامح بحاجة إلى ثقافة مجتمعية جديدة، قوامها القبول بالآخر المختلف

والتعامل معه على أسس حضارية تنسجم وقيم المساواة والعدل»[1].

وإذا ما رجعنا إلى قيم الإسلام وأخلاقه سنجد أن تلك القيم والأخلاقيات تعزز روح التسامح الاجتماعي، وتعطي كل فرد من أفراد المجتمع حقوقه كاملة، وتحرم أي شكل من أشكال انتقاص تلك الحقوق أو سلبها أو التعدي عليها.

ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ استطاع أن يستوعب كل المكونات الاجتماعية في بوتقة الإسلام، ويلغي كل الاعتبارات الجاهلية التي تتنافى مع قيم وأخلاقيات الإسلام.

وإذا ما نظرنا إلى المجتمعات الإنسانية اليوم فسنجد أن المجتمع الذي يعرف كيف يدير خلافاته بحكمة وحنكة، ويسمح للجميع بالتعبير عن نفسه ووجوده تتعزز فيه قيم التسامح الاجتماعي، وتتقلص فيه أمراض التعصب والتطرف والتشدد.

أما المجتمعات التي تتعامل مع مكوناتها المختلفة بالإقصاء والإلغاء والتهميش، وتشعر بالغُبن والظلم فإنها تعاني من حالات التعصب والتطرف والانغلاق.

إن أولى خطوات تعزيز التسامح الاجتماعي يتطلب قبول الآراء المتعددة، والاستفادة من مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، وتنظيم الاختلافات الطبيعية بما يثري ويعزز روح التسامح الاجتماعي.

الإمام الحسين عليه السلام والتسامح الاجتماعي

عزز الإمام الحسين عليه السلام بسيرته وأفعاله روح التسامح الاجتماعي، وعمل على بناء مجتمع قائم على القيم والمثل والأخلاق الفاضلة.

ونشير إلى موقفين للإمام الحسين عليه السلام يدل على ذلك، وهما:

الموقف الأول- الإمام الحسين عليه السلام يتزوج جاريته:

كان سادات العرب وقريش يتباهون بالزواج من أكفائهم في النسب والشرف، وكانوا يعتبرون الزواج من جارية لا يتناسب مع نسبهم وشرفهم ومكانتهم.

فعندما علم معاوية بن أبي سفيان بأن الإمام الحسين عليه السلام قد أعتق جارية ثم تزوجها

١. التسامح ليس منّة أو هبة، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٠٦-٢٠٧.

بعث إليه برسالة يلومه فيها على ذلك!

فقد رووا أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس وقريش وكتب إليه: إنّ الحسين بن عليّ أعتق جارية له وتزوجها، فكتب معاوية إلى الحسين: من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليّ أمّا بعد، فإنّه بلغني إنّك تزوّجت جاريتك وتركت أكفائك من قريش، ممّن تستنجبه للولد، وتمجد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتقيت.

فكتب إليه الحسين بن علي عليهما السلام: أَمّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَني كِتابُك، وتَعْيِيرُكَ إيّايَ بأَنّي تَزَوَّجْتُ مَوْلاتي، وَتَرَكْتُ أَكْفائي مِنْ قُرَيْش، فَلَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ الله ﷺ مُنْتَهىً في شَرَف، ولا غايَةٌ في نَسَب، وَإنّما كانَتْ مِلْكُ يَميني خَرَجَتْ عَنْ يَميني بأَمْر الْتَمَسْتُ فيهِ ثَوَابَ الله، ثُمَّ ارْتَجَعْتُها عَلى سُنَّةِ نَبيّهِ ﷺ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ بالإسلام الْخَسيسَةَ، وَوَضَعَ عَنّا بِهِ النَّقيصَةَ، فَلا لُؤْمَ عَلَى امْرئ مُسْلِم، إلاّ في أمْر مَأْثَم، وَإنّما اللُّؤْمُ لُؤْمُ الْجاهِليَّةِ [1].

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يعطي المجتمع درساً في التسامح الاجتماعي من خلال إلغاء الفوارق الطبقية التي كانت سائدة بين العرب في الجاهلية.

فالإمام الحسين عليه السلام الذي ينتسب لرسول الله ﷺ وهو المنتهى في الشرف، والغاية في النسب لا يضر بمكانته وفضله زواجه من جارية، وإنما هذا يدل على تواضعه، والتماسه للأجر والثواب، وتعليم الناس أن الموالي والجواري بشر لهم كامل الإنسانية، ولا يجوز التعامل معهم بدونية وانتقاص.

فالإسلام الذي يقرر «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»[2] والذي رفع بالإسلام من كان وضيعاً، يعزز مفهوم المساواة الإنسانية والتسامح الاجتماعي.

إن الإمام الحسين عليه السلام قد جسد بهذا الموقف الأخلاقي النبيل، وبهذا الفعل العملي قيمة مهمة من قيم التسامح الاجتماعي، وهو عدم انتقاص أي إنسان لأنه من فئة ضعيفة أو

١. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣٩٥.

٢. مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت – لبنان، ج ٥، ص ٤١١، رقم ٢٢٨٧١.

شريحة دونية، وإنما يجب التعامل مع كل إنسان – ولو كان عبداً أو أمة –باحترام وإنسانية.

الموقف الثاني– الشباب والموالي:

كان الإمام الحسين ﷺ يتفقد أحوال الشرائح الاجتماعية، ويسأل عن اهتمامات أصناف الناس في زمانه، والملفت للنظر اهتمامه بشريحة الشباب وشريحة الموالي (العبيد).

قال جُعَيد همدان: أَتَيتُ الحُسَينَ بنَ عَلِيٍّ عليه السلام ...فَساءَلَني فَقالَ: أخبِرني عَن شَبابِ العَرَبِ أو عَنِ العَرَبِ؟

قالَ: قُلتُ: أصحابُ جُلاهِقاتٍ[1] ومَجالِسَ!

قالَ: فَأَخبِرني عَنِ المَوالي.

قالَ: قُلتُ: آكِلُ رِباً، أو حَريصٌ عَلَى الدُّنيا.

قالَ: فَقالَ: إنّا للهِ وإنّا إلَيهِ راجِعونَ، وَاللهِ إنَّهُما لَلصِّنفانِ اللَّذانِ كُنّا نَتَحَدَّثُ أنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى يَنتَصِرُ بِهِما لِدينِهِ.

يا جُعَيدَ هَمدانَ، النّاسُ أربَعَةٌ: مِنهُم مَن لَهُ خُلُقٌ ولَيسَ لَهُ خَلاقٌ[2]، ومِنهُم مَن لَهُ خَلاقٌ ولَيسَ لَهُ خُلُقٌ، ومِنهُم مَن لَهُ خُلُقٌ وخَلاقٌ؛ وذاكَ أفضَلُ النّاسِ، ومِنهُم مَن لَيسَ لَهُ خُلُقٌ ولاخَلاقٌ؛ وذاكَ شَرُّ النّاسِ[3].

فالإمام الحسين ﷺ كان يسأل عن شريحة شباب العرب، أو العرب بصورة عامة، وكانوا قد انغمسوا في الشهوات وكانوا يرتادون مجالس اللهو واللعب.

أما الموالي فكانوا شريحة مضطهدة، مقهورة، ينظر إليهم بدونية واحتقار، ويمارس ضدهم التمييز العنصري، وكان العرب يعتبرون أنفسهم أفضل وأرقى قومية وجنساً منهم!

---

١. الجُلاهِق: البُندُق الذي يُرمى به، ومنه « قوسُ الجُلاهِق»، وأصله بالفارسيّة « جُلَهْ» وهي كُبّة غزل (تاج العروس: ج ١٣ ص ٦٣« جلهق»).

٢. الخَلاقُ: الحظّ والنصيب (النهاية: ج ٢ ص ٧٠« خلق»).

٣. الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): ج ١ ص ٤٠٤ ح ٣٧٨، كتاب العقل وفضله لابن أبي الدنيا: ص ٥٨ ح ٧٨ وفيه ذيله من « يا جعيد»، وفي تاريخ دمشق: ج ١٣ ص ٢٥٣ وتهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٣٥ عن الإمام الحسن ﷺ وفيهما ذيله من « يا جعيد».

ومع ذلك كانوا حريصين على الدنيا، ويأكلون الربا.

فأظهر الإمام الحسين عليه السلام أسفه على تلك الحالة، لأن هاتين الشريحتين لو كانوا في طريق الصلاح والخير يعتمد عليهم في نصرة الإسلام، وبناء المجتمع؛ ونشر الخير والصلاح.

ثم بَيَّن الإمام الحسين عليه السلام أصناف الناس، ومن هم أفضل الناس وأشرهم.

وهذا الموقف والاهتمام بشريحة الشباب لأنهم أسرع الناس إلى كل خير.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي جعفر لأحول: أتيت البصرة؟

فقال: نعم.

قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟

قال: والله إنهم لقليل ولقد فعلوا وإن ذلك لقليل.

فقال: عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير[1].

فالشباب طاقة هامة من طاقات بناء المجتمع، وإذا ما استفيد من طاقاتهم وإمكانياتهم وقدراتهم بالاتجاه الإيجابي فإن ذلك يساهم في تطوير المجتمع وازدهاره وتقدمه.

أما الشريحة الأخرى التي كان يسأل عنها الإمام الحسين عليه السلام فهي شريحة الموالي وهي شريحة ضعيفة، ومظلومة، ويمكن الاستفادة منها في نصرة الدين لأنها تسارع إلى التفاعل مع الدعوة لرفع الظلم والتمييز العنصري عنها.

ومن جهة أخرى فإن اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بهاتين الشريحتين يبرز اهتمامه بمختلف المكونات الاجتماعية، ونظرته الإيجابية للشرائح الفاعلة أو المظلومة من أجل إدارة المجتمع بصورة صحيحة تعزز من قيم التعايش والتسامح والانسجام والتواصل والتراحم والتكافل الاجتماعي.

التسامح الفكري

من الطبيعي أن تتباين الآراء الفكرية والثقافية المطروحة في المجتمع، وتتعدد النظريات الفكرية، وتختلف الاجتهادات حول مختلف المسائل والقضايا، لكن المهم أن يكون ذلك

١. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٤، ص ٢٨٢، رقم ١٥٧٢.

بصورة علمية، وأن يطعم الاختلاف بتسامح فكري بعيداً عن لغة الإقصاء أو الإلغاء أو التهميش، مما يساهم في تطوير أفكارنا ومراجعتها وفحصها والتأكد من صوابيتها.

أما إذا ساد المجتمع تعصب فكري لرأي واحد، أو وجهة نظر واحدة، أو نظرية واحدة فهذا يؤدي إلى التعصب الفكري، والتشدد والتطرف، وهو ما يوصل في نهاية الأمر إلى العمى الفكري، فلا يرى رأياً إلا رأيه، ولا فكرة إلا فكرته، ولا اجتهاداً إلا اجتهاده!

وهذا الأمر يتنافى مع حرية الرأي في الإسلام، إذ «جعل الإسلام لحرية الرأي مكانة كبيرة كحق للفرد، لا يجوز للدولة أن تنتقص منه، ولا يجوز لفرد أن يتنازل عنه بل إن حرية الرأي الصائب يعد أمراً ضرورياً لكيان الفرد الفكري والإنساني، ولازم لقيام المسلم بفرائض الإسلام.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُعد من أهم فرائض الإسلام، وتحقيقه يستلزم بداهة حرية الرأي، كما أن حق الفرد في مراقبة الحكام ونصحهم ونقد تصرفاتهم يستلزم ضرورة تمتع الفرد بحرية الرأي، وكذلك مبدأ الشورى وما يترتب عليه من مناقشات وحق الانتخاب يستلزمان حرية الرأي»[1].

وحرية الرأي والتعبير عنه هو حق طبيعي لكل إنسان، فله حق التكلم بما يشاء، وحق المحاججة بالحق، وحق النقد لكل ما هو غير صحيح عقلاً وشرعاً.

وقد مارس المسلمون الأولون حقهم في التعبير عن آرائهم وأفكارهم وتصوراتهم تجاه مختلف القضايا المهمة، وذلك بإيعاز من الرسول الأكرم ﷺ لأصحابه كي يتمتعوا بحقهم في إبداء الرأي.

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان: «لقد حض الرسول الكريم ﷺ أصحابه على أن يقولوا الحق مهما كانت الظروف، وأن لا تأخذهم في التعبير عما يعتقدونه من الصواب لومة لائم وأن لا يخافوا فيه أحداً إلا الله، لذلك يقول: «الساكت عن الحق شيطان أخرس» وحتى لو أن الرأي الذي سيقوله المسلم سيُغضب حاكماً فإن الرسول ﷺ يأمره أن يقوله

١. دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، سعيد محمد أحمد باناجه، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ص٤٩.

ولو قُتِل دونه.

ولقد كان من نتيجة هذه الدعوة إلى حرية الرأي والجهر بالحق، أن المسلمين ما كانوا يخشون أن ينبهوا على الخطأ حين يجدونه، وأن يناقشوا أولياء أمورهم، فأما أن يكون رأيهم الصواب فيعدل ولي الأمر عن خطئه أو يُقنعهم ولي الأمر بصحة رأيه وموقفه»[1].

والإمام علي عليه السلام قد عوّد أصحابه كذلك على (إبداء الرأي) فلم يكن الإمام علي يسمح لأحد بإبداء رأيه فحسب، بل كان يطلب منه ذلك معتبراً إياه جزءاً من العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وواجباً من واجبات الرعية تجاه الراعي.

يقول عليه السلام: «فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا ربّ غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا»[2].

«ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يُقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه»[3].

وهكذا فإن (إبداء الرأي) حق أساسي للرعية في أمورهم، وربما يكون واجباً من واجباتهم تجاه الراعي[4].

وهذا يشير إلى أنه في العصر الإسلامي الأول كان هناك إصرار شديد من أجل ممارسة (حق الرأي) عملياً لأن تقدم أي مجتمع لا يمكن أن يتم إلا في مناخ حر، بحيث تنمو فيه الأفكار الصالحة، والرؤى المنتجة، والأعمال الحضارية.

ومن دون ممارسة إبداء الرأي، تنعدم في المجتمع كل مقومات التقدم والحضارة، ولذا فإن من أبرز أسباب تخلف المسلمين اليوم هو انعدام الحرية ومحاربة الرأي الآخر، في حين أننا نجد المجتمع الإسلامي الأول تقدم بسرعة مذهلة، وذلك نتيجة لممارسة المسلمين لحق

١. معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٦٤.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٣٥.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٣٥.

٤. أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام، السيد هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص٢٥٥.

الرأي والتعبير عنه بحرية تامة.

وقد كفل الإسلام حق الرأي لكل إنسان باعتباره حقاً من حقوقه الأساسية، وعلى هذا الأساس، فإن الرأي الآخر يستمد شرعيته من حقه في التعبير عن رأيه وفكره وفلسفته في الحياة.

وقد نصت المواثيق والاتفاقات الدولية والإقليمية الخاصة بحقوق الإنسان على حق حرية الرأي والتعبير.

وقد تضمن إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الذي صدر في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م في الجمعية التأسيسية والذي يتكون من ١٧ مادة: أن حرية التعبير «تقوم على حق ممارسة كل عمل لا يضر بالآخرين» و«لا يجوز إزعاج أحد بسبب آرائه حتى الدينية منها» معتبراً حرية الفكر والرأي من أثمن الحقوق للإنسان، وذلك بالتأكيد على أن لكل مواطن الحق في أن يكتب ويتكلم ويطبع بحرية، على أن يكون مسؤولاً عن إساءة استعمال هذا الحق في الأحوال المحددة في القانون، وقد عبر فولتير عن روح الثورة الفرنسية حين أكد مقولته التي ما زالت منذ نحو قرنين حيث قال: «قد أختلف معك في الرأي ولكني مستعد أن أدفع حياتي دفاعاً عن حقك في التعبير عن رأيك».

ونظراً لأهمية هذه المادة ومركزيتها في مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فقد تم تأسيس مركز دولي خاص للدفاع عن حرية الرأي والتعبير -المركز الدولي ضد الرقابة- وسمي المركز بـ(المادة التاسعة عشر) ومقرّه في لندن - بريطانيا.

أما المادة التاسعة عشر من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فنصّت على أن:

١- لكل إنسان حق اعتناق آراء دون مضايقة.

٢- لكل إنسان حق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقله إلى الآخرين، دونما اعتبار للحدود سواء على شكل مكتوب أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.

٣- تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة ٢ من هذه المادة واجبات ومسؤوليات خاصة، وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون

محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية:

أ - لاحترام حقوق الآخرين.

ب- لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

وقد نصّت المادة الثالثة والعشرون لمشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان على أن: «للأفراد من كل دين الحق في ممارسة شعائرهم الدينية، كما لهم الحق في التعبير عن أفكارهم عن طريق العبارة أو الممارسة أو التعليم وبغير إخلال بحقوق الآخرين، ولا يجوز فرض أية قيود على حرية العقيدة والفكر والرأي إلا بما نص عليه القانون».

من كل ما سبق، نستطيع الاستنتاج بأن حق الرأي والتعبير عنه هو حق مكفول للإنسان -أي إنسان- في الإسلام، وكذلك في القانون الدولي، باعتباره حقاً أساسياً من حقوق الإنسان.

وعندما يتاح للجميع الحرية في إبداء آرائهم الفكرية والثقافية فإن ذلك يعزز من روح التسامح الفكري في المجتمع، ويقلص من مساحة اللاتسامح والتعصب الفكري المقيت.

الإمام الحسين عليه السلام والتسامح الفكري

للإمام الحسين عليه السلام أراء ومواقف مختلفة تبين حالة وروح التسامح الفكري عنده، فقد كان يبدي آراءه بكل أدب واحترام، وينتقد الآراء المخالفة بروح متسامحة، ويراعي الجوانب الأخلاقية في نقد الأفكار الخاطئة، وإليكم بعض تلك المواقف والآراء:

١- نقد الفكرة ومدح القائل:

النقد العلمي يثري الفكر، ويطور الأفكار، ويصحح الأخطاء، وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام مع مقولة قالها أبو ذر الغفاري، فمدح أولاً أبا ذر وترحم عليه لإبراز مكانته عنده، ثم صحح ما قاله، فنقد الفكرة ومدح القائل.

قيل للإمام الحسين عليه السلام: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة.

فقال عليه السلام: «رحم الله أبا ذر، أما أنا أقول: من وثق بحسن اختيار الله لم يختر غير ما اختار الله له »[1].

انظر كيف بدأ الإمام الحسين عليه السلام بالثناء على أبي ذر والترحم عليه (رحم الله أبا ذر) فقد كان له مكانة رفيعة عند رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار، ثم صحح الفكرة بكل أدب واحترام.

وفي هذا درس بليغ علينا أن نتعلم منه؛ إذ أن البعض بمجرد أن تختلف معه في رأي أو فكرة أو موضوع يسعى لاغتيال شخصيتك والنيل منك أولاً؛ فيتحول النقد من نقد الأفكار إلى نقد الأشخاص، وهذا ما تعاني منه مجتمعاتنا الإسلامية، والصحيح أن نهتم بنقد الأفكار بصورة علمية وموضوعية، ونحافظ في الوقت نفسه على مكانة الأشخاص واحترام شخوصهم ومكانتهم الاعتبارية.

٢- تصحيح الأفكار الخاطئة:

من صور التسامح الفكري تصحيح الأفكار الخاطئة مع رعاية الأدب، وعدم الإساءة إلى من يراها صحيحة، أو الحط من شأنه، وإنما الاكتفاء بتصحيح الأفكار الخاطئة للتخلص منها، وإبداء الصحيح من الأفكار.

وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام، فذات مرة قال عنده رجل: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع.

فقال الحسين عليه السلام: «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر »[2].

فالرجل كان يرى أن فعل المعروف لغير أهله يضيع، بينما الإمام الحسين عليه السلام صحح هذه الفكرة وقال له باحترام: «ليس كذلك» ولم يقل له ما يخدش مكانته كما يفعل بعضنا مع من يختلف معهم في رأي أو فكرة.

الإمام الحسين عليه السلام ضرب مثلاً جميلاً ومعبراً عن صناعة المعروف بالمطر الذي يصيب بقطراته النازلة البر والفاجر، فعمل المعروف لا يضيع، وآثاره تنفع الجميع، ثم إن إسداء

١. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ٢٧، ص ١٧٧. ونسب ابن عساكر هذا القول للإمام الحسن عليه السلام.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ١١٧، رقم ٣.

المعروف لغير أهله قد يجعلهم من أهله، فكم من رجل تغير مساره لأن رجلاً صالحاً أسدى إليه معروفاً!

ثم إن الله تعالى لا يضيع أجر من يصنع المعروف كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾[1].

٣- الاستماع للرأي الآخر برحابة صدر:

التسامح الفكري يعني -فيما يعنيه- الاستماع للرأي الآخر برحابة صدر حتى وإن كنت تعتقد بصوابية رأيك، وصحة فكرتك، فمن صفات المتسامحين فكرياً السماح للآراء الأخرى بالتعبير عن نفسها، والاستماع لها، فقد يكون فيها شيئاً مفيداً، أو يرى فكرة من زاوية أخرى، فلا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة -إلا المعصوم- وما عداه فهو معرض للخطأ والصواب.

الإمام الحسين عليه السلام يرسم لنا صورة رائعة من صور التسامح الفكري، فرغم أنه معصوم، ولا حاجة له للاستماع لرأي الآخرين، ولكن أراد أن يعلمنا درساً في ضرورة وأهمية الاستماع للرأي الآخر، بل وتشجيعه على التعبير عن رأيه!

فقد روى المؤرخون أن الإمام الحسين عليه السلام لما سار إلى مكة استقبله عبدالله ابن مطيع العدوي، فقال: أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك؟!

قال عليه السلام: «أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك».

فقال له عبد الله بن مطيع: خار الله لك يا بن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني.

فقال له الحسين عليه السلام: وما هي يا بن مطيع؟

قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم، فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك، والسلام.

١. سورة الكهف، الآية: ٣٠.

فودعه الحسين ﷺ ودعا له بخير[1].

وروى الدينوري: أن الإمام ﷺ قال لابن مطيع: «يقضي الله ما أحب»[2].

وروى عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين ﷺ تهيأ للمسير إلى العراق، أتيته فدخلت عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: أما بعد، فاني أتيتك يا بن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني، وإلا كففت عما أريد أن أقول.

فقال الحسين ﷺ: «قل فوالله ما أظنك بسيء الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل».

قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه.

فقال الحسين ﷺ: «جزاك الله خيراً يا بن عم، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح»[3].

وفي هذا الموقف درس بليغ في التسامح الفكري، فالإمام الحسين ﷺ لم يكتفِ بالاستماع لآراء الناصحين، بل شجعهم على إبداء آرائهم، وشكرهم على نصيحتهم «جزاك الله خيراً يا بن عم... فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح!».

ورغم أن الإمام الحسين ﷺ إمام معصوم؛ فلم ينههم عن إبداء رأيهم ونصيحتهم، بل شكرهم على ذلك، وعلينا أن نتعلم من ذلك أهمية الاستماع للآراء الأخرى، ونفكر في صوابتها أو سقمها، ونشجع الناس على إبداء آرائهم فبعض الآراء تكون صحيحة وقوية

١. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبعة، ج ٥، ص ٣٦- ٣٧.

٢. الأخبار الطوال، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م، ص ٢٢٩.

٣. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٢٩٤، (أحداث سنة ٦٠هـ).

ومفيدة.

إن شيوع التسامح الفكري في مجتمعنا بحاجة اليوم إلى السماح بحرية التعبير عن الآراء المختلفة، والنظريات المتضاربة، والاجتهادات المختلفة، ثم نبحث عن الآراء الصحيحة، وبهذا نشجع على تنمية روح التسامح الفكري.

أما إذا تعاملنا مع الأفكار إما أسود أو أبيض، سالب أو موجب، معنا أو ضدنا ولا مكان للوسط؛ فهذا يؤدي إلى شيوع التشدد الفكري، والتطرف الديني.

إن انتفاخ الذات، ورفض الرأي الآخر، وعدم السماع للنصيحة، واحترام الآراء المخالفة كلها دلائل على رفض التسامح الفكري.

إن علينا كمجتمعات إسلامية تتنوع فيها المذاهب والتيارات والتوجهات والمرجعيات والمدارس الفكرية أن نتعلم من الإمام الحسين ﷺ أهمية السماح للآراء المختلفة بالتعبير عن نفسها ووجودها، والابتعاد عن الرأي الواحد، وإقصاء الآخرين حتى نشيع في مجتمعنا روح التسامح الفكري المنشود.

التسامح السياسي

المقصود بالتسامح السياسي هو الاستعداد لتقبل جماعات أو افكار يعارضها المرء، والإقرار لها ولأصحابها بحقهم في ممارسة كافة حقوقهم السياسية والمدنية[١].

وعرَّفه آخرون: بأن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج، وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية، وقد حرص القرآن الكريم على منح الناس هذا المقدار الواسع من هذه الحرية حيث يرسم دعائم الحكم على أساس الشورى والحرية السياسية واشتراك العقلاء وأصحاب الرأي والخبرة والاختصاص، كل في مجال تخصصه.

والتسامح السياسي هنا أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطات، وأن يكون للأفراد

١. ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين، د. رشدي أحمد طعمة ود. محمد عبدالرؤوف الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٨.

الحق في اختيار الحاكم، والحق في مراقبته، ومحاسبته على أعماله[1].

وللتسامح السياسي صور متعددة، فقد يأخذ صورة الأسلوب الديموقراطي في الحكم من خلال الإعلام الحر والتّعددية السياسية، والانتخابات البرلمانية، والقواعد الدستورية التي تتيح للجميع حق ممارسة السلطة ونقدها وإسقاطها في حال عجزت أو شذت عن برنامجها الانتخابي ووعودها لأبناء الشعب.

وفي صيغة أخرى، يمكن أن يمثل التسامح السياسي حالة الانفتاح السياسي بين الإسلاميين والعلمانيين، في نطاق ما يمكن أن يحقق المصالح المشتركة ولا يسيء لحركة الدين بشيء.

إن أسلوب الانفتاح السياسي على الآخرين -لا بشكل عشوائي مطلق، بل بشكل مدروس- هو خيار تأخذ به اليوم الكثير بل معظم الحركات السياسية الإسلامية من خلال اللقاء على أرض وأهداف مشتركة في بعض مراحل الطريق ذلك أن الاعتراف بالوجود لا يعني الاعتراف بالشرعية، فقد تفرض الظروف اللقاء مع الآخر المختلف فكرياً، والتنسيق معه لتحقيق مصالح لحساب المسلمين. فلا يصح اعتبار معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود في بداية الهجرة اعترافاً بشرعيتهم، ولا اعتبار صلح الحديبية اعترافاً بشرك المشركين[2].

وحتى يتحقق التسامح السياسي يجب أن يقوم على العدل، والحرية، والشورى، والانفتاح، والحوار، وتقبل الآخر السياسي، وحق المعارضة، وحق النقد، وحق الجهر بالرأي السياسي.

والتسامح السياسي سواء بين الحاكم والمحكومين، أو بين الجماعات السياسية المختلفة، أو بين الدول المختلفة يساعد على إزالة التوترات وحالة النزاعات السياسية، ويضمن الأمن والسلام والاستقرار الاجتماعي والسياسي.

فعندما نراجع أرشيف الحروب والنزاعات المسلحة نجد أن سببها الرئيس يعود إلى عدم التسامح السياسي، وغلبة التعصب والتطرف السياسي عند الذين يميلون إلى إشعال الحرائق

١. التسامح في الإسلام، أحمد حميد العلواني، ص ١٤٣.
٢. روح التسامح، ص ٦٣.

بدل إطفائها، بينما المؤمنون بالتسامح السياسي يسعون دوماً إلى تخفيف حالات الاحتقان السياسي، وتعزيز مفاهيم التحاور والسلم والتعايش لتلافي الحروب وتجنب المواجهات الحربية.

وحتى لا يبقى التسامح مجرد شعار أو قيمة من القيم التي قد يعتبر البعض أنها مبهمة ضمن مواثيق دولية تشمل قضايا متعددة ومتباينة في مضامينها، فقد صدر عن الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في ١٦ نوفمبر ١٩٩٥م (إعلان المبادئ بشأن التسامح) لترسيخ مفهومه كسلوك حضاري يفترض أن يتحلى به الأفراد وتأخذ به الجماعات من هيئات ومنظمات وتلتزم به الدول في تشريعاتها وأنظمتها الداخلية، وفي علاقاتها ومعاملاتها مع بعضها البعض.

وللدولة دور أساسي في وقاية المجتمع من أسباب وعوامل عدم التسامح، وبهذا الخصوص تنص المادة ٢ من الإعلان على (أن التسامح على مستوى الدولة يقتضي ضمان العدل، وعدم التحيز في التشريعات، وفي إنفاذ القوانين، والإجراءات القضائية والإدارية، وإتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية لكل شخص دون أي تمييز، فكل استبعاد أو تهميش إنما يؤدي إلى العدوانية والتعصب).

وحسب نفس الإعلان فإن التسامح ليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني، وبالتالي فإن الأخذ به لا ينبغي أن يكون مجرد تكرم من طرف لفائدة طرف أو أطراف أخرى، وإنما ينبغي أن يتبلور في شكل التزام يتقيد به الجميع.

وتعزيز التسامح حسب الإعلان يتم عن طريق (المعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير)، وفي المقابل فإن عدم التسامح يتجسد في (تهميش الفئات المستضعفة، واستبعادها من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وممارسة العنف والتمييز ضدها) ولذلك يؤكد الإعلان إن (التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح)، بل إنه ضرورة ملحة لكي يتعرف الناس على الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها، ويتشبعوا بالعزم على حماية حقوق وحريات غيرهم، وبقيم التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد والمجموعات الإثنية والاجتماعية والثقافية واللغوية، وفيما بين الأمم.

ويحث الإعلان على اعتماد أساليب منهجية عقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب

اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والدينية، أي الجذور الرئيسية للعنف والاستبعاد، ويتعهد المصدرون للإعلان بمساندة البرامج التعليمية الهادفة لتنمية وترسيخ قيم التسامح في مجال البحث وتكوين المعلمين، لتنشئة مواطنين يقظين مسؤولين، ومنفتحين على ثقافات الآخرين، يقدرون الحرية حق قدرها، ويحترمون كرامة الإنسان، والفروق بين البشر، وقادرين على درء النزاعات، أو على حلها بوسائل غير عنيفة (المادة ٤ من الإعلان)، فهل تحققت الجهود المبذولة لنشر وترسيخ ثقافة التسامح أهدافها؟[1].

وبالنظر إلى الواقع السائد في عدد من البلدان في الوطن الإسلامي الكبير يتبين أن حالة عدم التسامح السياسي هي السائدة، وأن روح التسامح السياسي موجودة في القليل من بلدان العالم الإسلامي مع تفاوت في درجات التسامح سواء على الصعيد السياسي أو غيره من الأصعدة الأخرى، وهو ما يتطلب نشر ثقافة جديدة تؤمن بالتسامح والتعايش والتعاون والانفتاح حتى يعم السلام والأمن والاستقرار والسلم ربوع العالم الإسلامي.

الإمام الحسين والتسامح السياسي

في سيرة الإمام الحسين عليه السلام الكثير من المواقف السياسية التي تدل على تمسكه بروح التسامح السياسي حتى مع خصومه وأعدائه.

ولأن التسامح السياسي له صور متعددة -كما أشرنا سابقاً- نستطيع أن نشير إلى بعض هذه الصور من خلال مواقف الإمام الحسين عليه السلام، ومنها:

١- احترام آراء الناس:

عقد الإمام الحسين عليه السلام في مكة مؤتمراً عاماً، دعا فيه جمهوراً غفيراً ممّن شهد موسم الحجّ؛ مِن المهاجرين والأنصار، والتابعين وغيرهم مِن سائر المسلمين، فانبرى عليه السلام خطيباً فيهم، وتحدّث ببليغ بيانه بما ألمّ بعترة النّبي صلى الله عليه وآله وشيعتهم مِن المحن والخطوب التي صبّها عليهم معاوية، وما اتّخذه مِن الإجراءات المشدّدة مِنْ إخفاء فضائلهم، وستر ما أُثِرَ عن الرسول الأعظم في حقّهم، وألزم حضّار مؤتمره بإذاعة ذلك بين المسلمين، وفيما يلي نصّ

١. في الثقافة السياسية الجديدة، د. عبد القادر العلمي، منشورات الزمن، الدار البيضاء - المغرب، ص ٩٠-٩١.

حديثه، فيما رواه سليم بن قيس:

قال: ولمّا كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحُسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، فجمع الحُسين بني هاشم ونساءهم ومواليهم، ومَنْ حجّ مِن الأنصار ممّن يعرفهم الحُسين وأهل بيته، ثمّ أرسل رسلاً، وقال لهم: «لا تدَعوا أحداً حجّ العام مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، المعروفين بالصلاح والنُّسك إلاّ اجمعوهم لي».

فاجتمع إليه بمِنى أكثر مِنْ سبع مئة رجل وهم في سرادق، عامّتهم مِن التابعين، ونحو مِنْ مئتي رجل مِنْ أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله، فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أمّا بَعدُ، فَإنَّ هذَا الطّاغيَةَ - يعني معاوية - قَد فَعَلَ بنا وبشيعَتِنا ما قَد رَأَيتُم وعَلِمتُم وشَهدتُم، وإنّي اريدُ أن أسألَكُم عَن شَيءٍ، فَإن صَدَقتُ فَصَدِّقوني وإن كَذَبتُ فَكَذِّبوني: أسألُكُم بِحَقِّ اللهِ عَلَيكُم وحَقِّ رَسولِ اللهِ وحَقِّ قَرابَتي مِن نَبِيِّكُم، لَمّا سَيَّرتُم مَقامي هذا، ووَصَفتُم مَقالَتي، ودَعَوتُم أجمَعينَ في أنصاركُم مِن قَبائِلِكُم مَن أمِنتُم مِنَ النّاسِ ووَثِقتُم بِهِ، فَادعوهُم إلى ما تَعلَمونَ مِن حَقِّنا؛ فَإنّي أتَخَوَّفُ أن يَدرُسَ[1] هذَا الأمرُ ويَذهَبَ الحَقُّ ويُغلَبَ، ﴿ وَ اللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ[2] ﴾»[3].

وما ترك شيئاً ممّا أنزله الله فيهم مِن القران إلاّ تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته عليهم السلام إلاّ رواه، وكلّ ذلك يقول أصحابه: اللهمّ نعم، قد سمعنا وشهدنا. ويقول التابعي: اللهمّ قد حدّثني به مَنْ أُصدّقه وأئتمنه مِن الصحابة.

فقال عليه السلام: «أنشدُكم اللهَ إلاّ حدّثتم به مَنْ تثقون به وبدينه».

وكان هذا المؤتمر أوّل مؤتمر إسلامي عرفه المسلمون في ذلك الوقت، وقد شجب فيه الإمام عليه السلام سياسة معاوية، ودعا المسلمين لإشاعة فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإذاعة مآثرهم التي حاولت السّلطة حجبها عن المسلمين[4].

نجد في هذا المؤتمر العام الذي عقده الإمام الحسين عليه السلام تنوير الناس بحقيقة الأوضاع

١. دَرَسَ: عفا (الصحاح: ج ٣ ص ٩٢٧«درس»).
٢. سورة الصفّ، الآية: ٨.
٣. كتاب سليم بن قيس، ص ٣٢٠. بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ١٨٢.
٤. موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص٢٢٩-٢٣٠.

السياسية، وما حدث من أحداث مؤلمة بعد رحيل رسول الله ﷺ وتوعيتهم بقيم الحق والعدل والحقوق السياسية التي كفلها الإسلام لهم.

ورغم مقام الإمام الحسين ﷺ وعصمته وعظمته إلا أنه طلب منهم إبداء رأيهم تجاه أقواله قائلاً: «أريد أن أسألكم عن شيء؛ فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني!».

وهكذا هم أئمة الحق والهدى، فهم لا يشكون لحظة أنهم سائرون في طريق الحق، ولكنهم يريدون أن يؤصلوا الحقوق السياسية للأمة، فطلب منهم الإمام الحسين ﷺ أن يعطوا رأيهم بكل حرية تجاه ما يقوله، تعزيزاً لمبدأ احترام آراء الناس، وإشراكهم في الرأي والقرار السياسي.

٢- السعي لتجنب الحرب:

من صور التسامح السياسي السعي لتلافي الحروب، وتجنب النزاعات المسلحة ليحل محلها الوئام والسلام والاستقرار.

والإمام الحسين ﷺ لم يكن البادئ بالحرب، وإنما فرضت عليه، وكان يرفض أن يبدأ بالقتال، فقد نهى ﷺ مسلم بن عوسجة أن يبدأ بالحرب قائلاً له: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»[1].

وقد سعى الإمام الحسين ﷺ لإقناع الجيش الأموي بتركه يعود من حيث جاء، كما سعى لإقناع ابن سعد بتجنب الحرب وترك النزاع، والبحث عن حلول سلمية حتى آخر لحظة؛ لإلقاء الحجة على العدو من جهة، والسعي نحو تغيير موقف الأعداء من جهة أخرى، وصولاً إلى تجنب الحرب قدر الإمكان.

فقد ذكر الخوارزمي: أرسَلَ الحُسَينُ ﷺ إلَى ابنِ سَعدٍ: إنّي اريدُ أن اكَلِّمَكَ فَالقَنِي اللَّيلَةَ بَينَ عَسكَري وعَسكَرِكَ، فَخَرَجَ إلَيهِ عُمَرُ بنُ سَعدٍ في عِشرينَ فارساً وَالحُسَينُ ﷺ في مِثلِ ذلِكَ، ولَمَّا التَقَيا أمَرَ الحُسَينُ ﷺ أصحابَهُ، فَتَنَحَّوا عَنهُ، وبَقِيَ مَعَهُ أخوهُ العَبّاسُ عليه السّلام، وَابنُهُ عَليٌّ الأَكبَرُ، وأمَرَ ابنُ سَعدٍ أصحابَهُ، فَتَنَحَّوا عَنهُ، وبَقِيَ مَعَهُ ابنُهُ حَفصٌ، وغُلامٌ لَهُ يُقالُ لَهُ لاحِقٌ.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٥.

فَقالَ الحُسَينُ عليه السلام لابن سَعد: وَيحَكَ! أما تَتَّقي اللهَ الَّذي إلَيه مَعادُكَ؟ أتُقاتِلُني وأنَا ابنُ مَن عَلِمتَ يا هذا؟ ذَر هؤُلاءِ القَومَ وكُن مَعي؛ فَإنَّهُ أقرَبُ لَكَ مِنَ اللهِ.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ: أخافُ أن تُهدَمَ داري!

فَقالَ الحُسَينُ عليه السّلام: أنَا أبنيها لَكَ.

فَقالَ عُمَرُ: أخافُ أن تُؤخَذَ ضَيعَتي!

فَقالَ: أنَا اخلفُ عَلَيكَ خَيراً مِنها مِن مالي بِالحِجازِ.

فَقالَ: لي عِيالٌ أخافُ عَلَيهِم!

فَقالَ: أنَا أضمِنُ سَلامَتَهُم.

قالَ: ثُمَّ سَكَتَ فَلَم يُجِبهُ عَن ذلِكَ، فَانصَرَفَ عَنهُ الحُسَينُ عليه السلام وهُوَ يَقولُ: ما لَكَ ذَبَحَكَ اللهُ عَلى فِراشِكَ سَريعاً عاجِلًا، ولا غَفَرَ لَكَ يَومَ حَشرِكَ ونَشرِكَ! فَوَاللهِ، إنّي لَأَرجو أن لا تَأكُلَ مِن بُرِّ العِراقِ إلّايَسيراً.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ: يا أبا عَبدِ اللهِ، في الشَّعيرِ عِوَضٌ عَنِ البُرِّ!! ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ إلى مُعَسكَرِهِ[1].

وفي تاريخ الطبري: قالَ أبو مِخنَف: حَدَّثَني أبو جَنَاب عَن هانِئِ بنِ ثُبَيتٍ الحَضرَمِيِّ- وكانَ قَد شَهِدَ قَتلَ الحُسَينِ عليه السلام - قالَ: بَعَثَ الحُسَينُ عليه السلام إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ عَمرَو بنَ قَرَظَةَ بنِ كَعبٍ الأَنصارِيَّ: أنِ القَنِي اللَّيلَ بَينَ عَسكَري وعَسكَرِكَ.

قالَ: فَخَرَجَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ في نَحوٍ مِن عِشرينَ فارساً، وأقبَلَ حُسَينٌ عليه السلام في مِثلِ ذلِكَ، فَلَمَّا التَقَوا أمَرَ حُسَينٌ عليه السلام أصحابَهُ أن يَتَنَحَّوا عَنهُ، وأمَرَ عُمَرُ بنُ سَعد أصحابَهُ بِمِثلِ ذلِكَ.

قالَ: فَانكَشَفنا عَنهُما بِحَيثُ لا نَسمَعُ أصواتَهُما ولا كَلامَهُما، فَتَكَلَّما فَأَطالا حَتّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيلِ هَزيعٌ[2]، ثُمَّ انصَرَفَ كُلُّ واحِدٍ مِنهُما إلى عَسكَرِهِ بِأَصحابِهِ.

وتَحَدَّثَ النّاسُ فيما بَينَهُما ظَنّاً يَظُنّونَهُ أنَّ حُسَيناً عليه السلام قالَ لِعُمَرَ بنِ سَعدٍ: اخرُج مَعي إلى يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ ونَدَعُ العَسكَرَين.

قالَ عُمَرُ: إذَن تُهدَمَ داري.

---

١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ١ ص ٢٤٥، الفتوح: ج ٥ ص ٩٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٨٨.

٢. هَزيعٌ من الليل: أي طائفة منه، نحو ثلثه أو ربعه (النهاية: ج ٥ ص ٢٦٢« هزع»).

قالَ: أنَا أبنيها لَكَ.

قالَ: إذَن تُؤخَذَ ضِياعي.

قالَ: إذَن اعطِيَكَ خَيراً مِنها مِن مالي بِالحِجازِ.

قالَ: فَتَكَرَّهَ ذلكَ عُمَرُ.

قالَ: فَتَحَدَّثَ النّاسُ بِذلِكَ، وشاعَ فيهِم مِن غَيرِ أن يَكونوا سَمِعوا مِن ذلكَ شَيئاً ولا عَلِموهُ[1].

ومن الواضح من خلال هذا الحوار أن الإمام الحسين ﷺ أراد تجنب المواجهة العسكرية، لكن عمر بن سعد ومعه (شمر بن الجوشن) وبقية قادة الجيش الأموي كانوا مصرين على الحرب، وهذا ما حدث فعلاً، فالإمام الحسين ﷺ فُرِضت عليه الحرب، ولم يكن هو الداعي إليها، ولا البادي بها، بل كان يسعى من أجل تجنبها لإقامة الحجة على العدو من جهة، والبحث عن تغيير موقف الأعداء من جهة أخرى، وصولاً إلى تجنب الحرب قدر الإمكان.

٣-غادروا بسلام:

في صورة أخرى من صور التسامح السياسي عند الإمام الحسين ﷺ طلبه ليلة العاشر من محرم من أصحابه مغادرة ميدان المعركة بسلام، فالأعداء لا يريدون غيره، لكنهم بكل وفاء وإخلاص رفضوا التخلي عن الإمام الحسين ﷺ، وأصروا على البقاء معه، والقتال بين يديه حتى آخر لحظة من دمائهم الطاهرة.

يقول الإمام الحسين ﷺ: «اللهم إنك تعلم إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت خيراً من أهل بيتي، فجزاكم الله خيراً، فقد آزرتم وعاونتم، والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً، فإذا جنكم الليل فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم»[2].

وهذا الموقف يكشف لنا عن أن الإمام الحسين ﷺ لم يكن راغباً في فرض رأيه السياسي على أصحابه، ولا مصراً لبقائهم معه، وإنما كان متسامحاً معهم، بل هو قمة التسامح السياسي

١. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤١٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٥٦.

٢. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٧٤.

أن يطلب من أصحابه مغادرة معركة الحرب في أصعب الظروف وأحلك الساعات حيث المصير معروف وهو نيل الشهادة، وكأنه أراد منهم أن يقرروا طواعية الرغبة في مواصلة المسيرة مع الإمام الحسين عليه السلام، أو اختيار طريق آخر، وخيار آخر.

لكن أهل بيته وأصحابه قرروا طواعية البقاء معه والقتال بين يديه قائلين له: «معاذ الله والشهر الحرام، فماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم، إنا تركنا سيدنا وابن سيدنا وعمادنا وتركناه غرضاً للنبل ودريئة للرماح وجزراً للسباع وفررنا عنه رغبة في الحياة معاذ الله، بل نحيا بحياتك ونموت معك، فبكى وبكوا عليه، وجزاهم خيراً»[1].

وورد في أعيان الشيعة الخبر بتفصيل أكثر، إذ يقول الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه:

«أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظن يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري».

قال له أخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول أخوه العباس بن أمير المؤمنين واتبعه الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه.

ثم نظر إلى بني عقيل فقال: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا قد أذنت لكم!

قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس لنا وما نقول لهم؟!

إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك؛ ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك وقد أحاط بك هذا العدو؟ وبم نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ ولا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك، حتى

١. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٧٤.

أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت معك.

وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: لا والله يا بن رسول الله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد ﷺ، والله لو علمت أني أقتل فيك ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين وقال: والله يا بن رسول الله لوددت أني قتلت ثم نشرت ألف مرة، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتيان من إخوانك وولدك وأهل بيتك.

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً وقالوا: أنفسنا لك الفداء، نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا، وقضينا ما علينا.

ووصل الخبر إلى محمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال بأن ابنه قد أسر بثغر الري فقال: عند الله احتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يؤسر وأبقى بعده.

فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال: رحمك الله أنت في حل من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك.

فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك[1].

وبهذا ضرب لنا الإمام الحسين عليه السلام صورة رائعة من صور التسامح السياسي، فاختيار أي خيار سياسي يجب أن يكون عن قناعة وإرادة وطواعية وليس عن طريق الإلزام والقسر.

وضرب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته مثالاً رائعاً في الوفاء والإخلاص والتضحية، واختاروا طريق الإمام الحسين عليه السلام عن قناعة ووعي وبصيرة، فكانوا خير أصحاب، وجاهدوا بأنفسهم خير جهاد، وفارقوا الأهل والأحباب، رغبة في نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ونيل الشهادة، والحصول على رضا الله تعالى وغفرانه.

١. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٣٩٣.

الفصل الخامس

الحاجة إلى التسامح

- مدخل تمهيدي.
- الاقتداء بسيرة الإمام الحسين (ع).
- الاختلاف المذهبي والتعايش السلمي.
- التنوع الديني والتسامح الإسلامي.
- التعددية الفكرية والإثراء العلمي.
- التعددية السياسية وحق الاختلاف.

مدخل تمهيدي

إن حقائق التنوع والتعدد الديني والمذهبي والثقافي والفكري والحضاري موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، بما فيها المجتمعات المسلمة، وهذا يفرض من الناحية النظرية والواقعية تكريس ثقافة التسامح والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الاجتماعية.

والحاجة إلى التسامح الإيجابي ضرورة دينية قبل أن تكون حاجة واقعية، فالإسلام يربى أتباعه على التسامح كمبدأ أخلاقي وواجب ديني تجاه الآخر فضلاً عن الذات.

والإسلام الذي يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويدعو إلى عمارة الأرض وتدعيم أسس السلام والتعايش الإيجابي انطلاقاً من مبدأ أن كل البشر ينحدرون من نفس واحدة كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[1].

ويريد الإسلام أن يربي أتباعه على تقبل التواصل مع الأمم والشعوب والثقافات الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾[2] فالتعارف هو السبيل نحو التآلف والتعاون والتعايش والتسامح.

ولا يكتفي الإسلام بالدعوة إلى التعارف الإنساني والتعايش الإيجابي، والتسامح الفعال، بل يدعو إلى البر والقسط حتى مع الكفار غير الحربيين كما في قوله تعالى: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[3].

وهذا يؤكد على أن الاختلاف لا يجب أن يكون عائقاً أو حاجباً عن التواصل مع الآخر، أو التعاون مع المكونات المتنوعة، فكل مجتمع إنساني تتعدد فيه الأعراف والأديان والمذاهب والأجناس يجب أن يكون مصدر إثراء للمجتمع، وليس مصدراً للتقاطع والتصادم والتحارب.

١. سورة النساء، الآية: ١.
٢. سورة الحجرات، الآية: ١٣.
٣. سورة الممتحنة، الآية: ٨.

وأي مجتمع متقدم ومتطور حضارياً لابد وأنه قد سلك مسلك الاستفادة الإيجابية من التنوع والتعدد والاختلاف، وهذا عين العقل والحكمة، بينما المجتمعات المختلفة حضارياً تعاني من غلبة عقلية اللاتسامح والتعصب والتشنج بين مكوناتها الاجتماعية المختلفة.

وللأسف الشديد فإن الكثير من المجتمعات المسلمة تعاني اليوم من حالة اللاتسامح والاحتقان الديني والمذهبي، وتقلص مساحات التسامح ومجالات التعاون بسبب غلبة التعصب والتشدد والتطرف الديني والفكري والثقافي والسياسي عند مختلف الأطراف والمكونات الاجتماعية.

وهذا ما يفرض علينا جميعاً العودة إلى تعاليم الإسلام ووصاياه في الأخلاق والآداب الحاثة على التسامح والتعايش الإيجابي، والأخذ بها، والعمل بما جاء فيها، والتجمل بقيم التسامح والتآلف والانسجام والتواصل والتلاقي والتعاون.

كما أن في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسيرة الحسن والحسين (عليهما السلام) وباقي أئمة أهل البيت الأطهار الكثير من القصص والأمثلة والشواهد الدالة على التسامح والتعايش، كما أن في أقوالهم وكلماتهم وحكمهم عليهم السلام ما يغني ثقافة التسامح، ولكن نحتاج إلى تطبيقها عملياً في واقعنا الاجتماعي العام.

الاقتداء بسيرة الإمام الحسين عليه السلام

سيرة الإمام الحسين عليه السلام حافلة بالأخلاق الراقية، والمواقف الإنسانية النبيلة، وقد ذكرنا شطراً منها في الصفحات السابقة، خصوصاً المرتبطة بأخلاقيات التسامح والصفح والعفو والرحمة والشفقة والإحسان.

ونحن إذ نستذكر تلك الأخلاقيات الجميلة والرفيعة للإمام الحسين عليه السلام فإنما من أجل الاقتداء والتأسي بسيرته العظيمة، فهو مثال للإنسان الكامل، والشخصية العظيمة، والاقتداء والتأسي إنما يكون بالقدوة الصالحة، وهو خير من يمثل القدوة والأنموذج الكامل.

وقد أمرنا الإمام الحسين عليه السلام بالاقتداء والتأسي بشخصيته العظيمة، فقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «فَلَكُم فِيَّ اسوَةٌ»[1].

وأولى الخطوات المهمة للاقتداء والتأسي بالإمام الحسين عليه السلام هو معرفته، ومطالعة تفاصيل حياته المباركة، وقراءة سيرته الأخلاقية والإنسانية، ثم التأسي بتلك السيرة، والاقتداء بتلك الأخلاق، والتي هي أخلاق الإسلام وآدابه.

ولما للإمام الحسين عليه السلام من موقعية ومكانة في قلوب المؤمنين والمسلمين أينما كانوا، فإن التأسي بأخلاقه الدالة على التسامح والتعايش الإيجابي يساعد كثيراً على صناعة مجتمع متسامح ومتعايش؛ فلا صلاح للأمة إلا بالتعايش، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: «صلاح شأن الناس التعايش والتعاشر»[2].

ولا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية، التي أعطى الإمام الحسين عليه السلام حياته من أجل ترسيخها في المجتمع، وإحياء قيم الدين والأخلاق.

واليوم فإن مجتمعنا المسلم أحوج ما يكون إلى التحلي بالقيم الأخلاقية، والتعامل مع مختلف الآراء والتوجهات والتيارات والمكونات الاجتماعية بأخلاقيات التسامح

١. بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٨٢.
٢. بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٦٧، رقم ٣٤.

والتعايش، وآداب الاختلاف.

إذ يجب أن يكون التعامل مع الرأي الآخر وفقاً للأصول والقيم الأخلاقية، ولا يجوز بأي حال من الأحوال، التخلي عن هذه الأصول، لمجرد خلاف في الرأي أو وجهة نظر مغايرة أو اجتهاد قابل للصواب والخطأ، أو ما أشبه ذلك.

وبمقدار ما يلتزم أصحاب الرأي بالمبادئ والقيم الأخلاقية، بنفس المقدار يستطيعون التأثير على الطرف الآخر وإقناع الجماهير بصحة أفكارهم وآرائهم وفلسفتهم في الحياة، ومن دون الأخلاق تتحول الأفكار السلبية إلى أسلحة مدمرة، والاختلاف في وجهات النظر إلى معارك حامية، وحروب استنزافية.

والواقع يشير إلى ذلك في أكثر من موقع على الساحة الإسلامية، فنتيجة لغياب (الأخلاق)، وتغييب القيم الأخلاقية في العمل السياسي والإسلامي، تحولت الخلافات السياسية، والاجتهادات العلمية المتغايرة، والمواقف المتباينة إلى صراعات دامية، ونزاعات استهلاكية مدمرة.

ولا سبيل لتجاوز ذلك إلا بممارسة الحوار الموضوعي والالتزام بأخلاقيات العمل، ومن أهم هذه الأخلاقيات: احترام الرأي الآخر، فاحترام الرأي المخالف وتقدير وجهات نظر الآخرين، وإعطاء آرائهم الاجتهادية حقها من الاعتبار والتقدير، وهذا هو الطريق الأقصر للوصول إلى تفاهم منطقي، وتعايش حقيقي.

وكما في الأصول يقرر العلماء هذه القاعدة وهي: كل ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمر قابل للاجتهاد، وإذا كان قابلاً للاجتهاد فهو قابل للاختلاف، كذلك في السياسة وفي العمل الإسلامي، بل وحتى في الفكر والثقافة.

ومن الحماقة اتباع أسلوب عدم التسامح، وغياب الأخلاق الحسنة مع الطرف الآخر لمجرد خلاف في الرأي، مهما كان هذا الرأي مغايراً لرأي الذات، فمن يُضحي بأخلاقياته ومبادئه وقيمه ليفرض رأيه على الآخرين، يكون قد تخلى عن إنسانيته، وقيمة الإنسان بإنسانيته، ولا إنسانية بدون أخلاق.

ومن أجل صلاح الغاية لابد من صلاح الوسيلة، فالوصول إلى الغاية شيء مهم لأية

جماعة أو فئة أو معارضة، بل حتى للشركات والمؤسسات ذات الطابع المادي أو المعنوي أو معاً، بل وحتى للأفراد، ولكن الأهم هو استخدام الوسائل المشروعة، أما اتباع سياسة (الغاية تبرر الوسيلة) فهي مرفوضة شرعاً وعقلاً وأخلاقاً، فما بُني على باطل لن يؤدي إلا إلى باطل.

والتعامل بأخلاقية مع الرأي الآخر يبقى من أهم الوسائل المشروعة والمستحسنة عقلاً ومنطقاً، كما أنه الخيار الأفضل في العمل السياسي وفي العمل الإسلامي، وفي العمل الاجتماعي العام.

وإذا ما وضعنا نصب أعيننا أخلاقيات الإمام الحسين عليه السلام فإن هذا يساهم كثيراً في تجسير الفجوة بين المختلفين، وتثبيت دعائم التسامح والانفتاح بين أصحاب المذاهب والأديان والطوائف والجماعات والتيارات المختلفة مما ينعكس إيجاباً في بناء مسيرة المجتمع، والارتقاء به نحو سلالم المجد والتقدم والتطور الحضاري المنشود.

إن الاقتداء والتأسي بسيرة الإمام الحسين عليه السلام يجب ألا تكون مجرد قلقلة لسان، أو دغدغة مشاعر؛ وإنما يجب أن تنعكس في مسيرتنا وسيرتنا وتعاملنا وأخلاقنا وثقافتنا حتى نصل لمرحلة التسامح الإيجابي، ونبتعد عن لغة اللاتسامح والإقصاء والإلغاء، فإن هذا يؤثر سلباً على بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، فلا يمكن أن يتطور أي مجتمع إلا عندما تسود فيه أخلاقيات التسامح، وتتجذر ثقافة تقبل الآخر، والالتزام بآداب الاختلاف.

الاختلاف المذهبي والتعايش السلمي

مهما تعددت الآراء، وتضاربت الأفكار، وتناقضت النظريات فإن هنالك عوامل مشتركة تجمع بين المتخالفين، وغالباً ما يكون الخلاف في التفاصيل والجزئيات، بينما يتفق الجميع على الأسس والمبادئ والأهداف العامة.

ومن الحكمة بمكان أن نبحث عن العوامل المشتركة فيما بيننا وبين الرأي الآخر، وأن نركز على نقاط الاتفاق، ونتعاون على أساسها، ونتسامح فيما نختلف عليه، وكما قال السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار): «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه».

إن نقاط الاتفاق بين الرأي والرأي الآخر هي أكثر بكثير من نقاط الافتراق، فمهما اختلفنا فإنه توجد عوامل مشتركة تجمع بيننا، وعليه يجب التعامل مع الرأي الآخر من منطلق (العوامل المشتركة) فهذا يقلل من حدة الصراعات الهامشية والتي تقتل الوقت، وتستهلك الجهود والطاقات فيما لا فائدة من ورائه ولا طائل.

ولكن المؤسف حقاً هو انشغال الساحة الإسلامية، وفي غير موقع، بالخلافات الهامشية، وتضخيم نقاط الافتراق، بدل التركيز على نقاط الاتفاق.

فنحن -المسلمين- نتفق على أصول العقيدة وهي: الإيمان بالله تعالى وبالنبوة وبالمعاد يوم القيامة، كما نتفق على معالم الشريعة، فالعبادات الإسلامية مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... لا يختلف اثنان في وجوبها. كذلك بالنسبة إلى المعاملات والعقود والإيقاعات وسائر أحكام الشريعة، يتفق المسلمون جميعاً على مبادئها ومعالمها وكلياتها، وقد يختلف الفقهاء في الجزئيات والتفاصيل حتى ضمن المذهب الواحد في ضمن إطار (الاجتهاد) المسموح به شرعاً وعقلاً.

ولكن، وكنتيجة طبيعية لانغلاق هذا المذهب تجاه المذهب الآخر، وهذه الطائفة تجاه الطائفة الأخرى، وهذه المدرسة تجاه المدرسة الأخرى، نشبت معارك وهمية، أدت إلى نشوء الحساسيات النفسية، وغياب الثقة المتبادلة، وتعميق الروح التحزبية، مما أدى إلى المقاطعة الشاملة ضد الطرف الآخر، والرأي المخالف!

وللخروج من هذا المأزق، ومن هذه الحروب العبثية التي تقع هنا وهناك، في طول

البلاد الإسلامية وعرضها، ندعو إلى الانفتاح على الرأي الآخر، والبحث عن العوامل المشتركة، والتركيز على نقاط الاتفاق والتسامح تجاه نقاط الافتراق.

التعددية المذهبية

إذا ألقينا بنظرة فاحصة نحو المجتمعات المسلمة فسنجد تعدد المذاهب في كل مجتمع، فلا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات المسلمة من التعدد المذهبي؛ وهذا ما يفرض الحاجة إلى تفهم كل مذهب لأصحاب المذاهب الأخرى، والتسامح تجاه آراء وأفكار المذاهب المختلفة.

والمقصود بالتعددية المذهبية هي: التعدد المذهبي في إطار الدين الواحد.

ومفهومها يعني أولاً: الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر.

ويعني ثانياً: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في الفروع أو غيرها.

ويعني ثالثاً: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع.

ومفهوم التعددية المذهبية يتضمن الإقرار بأن (أحداً لا يحق له نفي أحد) و(ضمان حرية التفكير والتعبير المذهبي للجميع) و(المساواة في ظل سيادة القانون).

ويجب التأكيد هنا على أن تعدد الفرق والمذاهب داخل الدين الإسلامي يشكل ظاهرة طبيعية بل هي سمة ثابتة في جميع الأديان السماوية والوضعية.

ويؤكد الباحثون في تاريخ المذاهب والفرق على حقيقة نشوء الكثير من المذاهب الإسلامية، ويرى هؤلاء الباحثون أن التعددية المذهبية، والتعددية في إطار المذهب الواحد ظاهرة طبيعية ومشروعة ومفيدة.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «اختلفت الآراء الفقهية، وتكوّنت من هذا الاختلاف مدارس فقهية ثم تبلورت المدارس فصارت مذاهب فقهية، ويجب أن نشير هنا إلى أن الاختلاف لم يكن في ذات الدين ولا في لبّ الشريعة، ولكنه اختلاف في فهم بعض نصوصه وفي تحقيق كلّياتها على الفروع، وكل المختلفين مُجمعون على تقديس نصوص القرآن والسنة؛ فهو اختلاف لا

يتناول الأصل ولكنه اختلاف في الفروع حيث لا يكون دليل قطعي حاسم للخلاف.

وإن هذا الاختلاف قد فتح القرائح، فاتجهت إلى تدوين علم الإسلام مجتهدة متبعة من غير جمود، وتركت من بعد ذلك تركة مُثرية من الدراسات الفقهية لا نكون مغالين ولا متجاوزين المعقول إذا قلنا أنها أعظم ثروة فقهية في العالم الإنساني، ولعل أعظم ثروة يدعيها الأوروبيون هو القانون الروماني، ولو وُزن ما جاء عن الرومان ما عدل عُشر معشار ما ترك الفقهاء من عيون الفقه ومسائله، وإنها لتشمل من الحلول الجزئية والقواعد الكليّة ما يغني الإنسانية إن بغت الخير لنفسها، واتجهت إلى ما ينفعها ويعلو بها»[1].

ويرى الكاتب المصري (فهمي هويدي): «أن الاختلاف المذهبي حق من الحقوق المشروعة في الدين، حيث يقول: انطلاقاً من إقرار الحق في الاختلاف داخل دائرة المحيط الإسلامي والذي تعددت فيه الفرق والمذاهب والملل والنحل، على النحو الواسع الذي يعرفه كثيرون، وأفاض فيه الشهرستاني وابن حزم.

تلك السعة بعيدة الأمد التي استقرت في الواقع الإسلامي منذ قرونه الأولى وسمح بالتعايش بين كل درجات المختلفين ومللهم، من الاختلاف في الدين، إلى الاختلاف في الفرقة وفي المذهب، ألا تحتمل اختلافاً في أمور الخلق ومناهج إصلاح حال الأمة؟!»[2].

ويعتقد الشيخ محمد جواد مغنية أن تعدد المذاهب ليس بالشيء الغريب في جميع الأديان والعقائد، إذ يقول: «ليس تعدد الفرق والمذاهب بالشيء الغريب على أهل الأديان والعقائد والأحزاب، فالمسيحيون طوائف، والماركسيون أقسام، والقوميون أصناف، وهكذا بقية الفئات والحركات السياسية والفلسفية.

ورغم هذه الانقسامات المذهبية بين المسلمين فقد كان الشعور بالمسؤولية عن الإسلام عميق الجذور في نفوس الجميع، يضحون بالنفس والنفيس لإعلاء شأنه وكلمته وهذا هو الخيط الذي كان يربط المذاهب والفرق الإسلامية، بالإضافة إلى الشهادتين، ومن هنا صمد الإسلام للأحداث وانتشر في شرق الأرض وغربها»[3].

١. تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، طبع عام١٩٨٧م، ج٢، ص٣٠٦.
٢. إحقاق الحق، فهمي هويدي، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص٢٦.
٣. الإسلام بنظرة عصرية، الشيخ محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ –

ويقول الشيخ المصري المعروف (محمد الغزالي): «إن الخلاف الفقهي في الفروع كان ويكون وسيبقى إلى آخر الدهر لأسباب طبيعية مقبولة، ويجب ألا نتطير منه، وألا نحاول قتله أو تجاهله»[1].

أما الدكتور (محمد سليم العوّا) فيقول: «إن صدر الإسلام قد اتسع لعشرات المذاهب العقدية والمدارس الفقهية ولم يكفّر أحد -من أهل العلم الصحيح- أحداً لمخالفته في المذهب العقدي أو الفقهي، حتى مسألة عدم الخلاف في الأصول تنتهي عند التحقيق إلى عدم الاختلاف في أصل استلزام الإيمان بأركان الإسلام، ثم تتسع بعد ذلك بقبول الاختلاف في جميع التفاصيل، بما فيها تفاصيل ممارسة الشعائر الظاهرة لهذه الأركان نفسها، وهو اختلاف أقرّته الأمة منذ كانت، ولا تزال تقرّه وسيبقى مستقراً حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[2].

لقد بدأت المذاهب الإسلامية في التكون منذ بداية القرن الأول الهجري، ويحكي لنا التاريخ عن نشوء الكثير من المذاهب والفرق والمدارس الفقهية، ولكن بعضها لم ينتشر ولم يكثر أتباعها، مما أدى إلى انقراضها، أما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت إلى يومنا هذا.. فأهمها ما يلي:

١- **السنّة بمذاهبها الأربعة**: الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي.

٢- **الشيعة بطوائفها الثلاث**: الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الإسماعيلية.

٣- **الخوارج والمعروف منهم حالياً**: الأباضية.

نستنتج من كل ما تقدم.. أن ظاهرة (التعددية المذهبية) ظاهرة طبيعية، وسمة لازمة في جميع الأديان والعقائد، وأن الإسلام ليس بخارج عن تلك القاعدة، كما يؤكد على ذلك التاريخ الماضي والواقع المعاصر، وأنه لا يمكن إلغاء تلك المذاهب، ولكن من الممكن الاتفاق على (القواسم المشتركة) التي تجمع بين المذاهب الإسلامية المتعددة، والتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في المذاهب، ومن ثم في الآراء والأفكار والتصورات، ولكن الشيء غير المنطقي هو أن يدّعي أحد أن له وحده حق فهم الإسلام،

١٩٩٠م، ص٦٢.

١. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٥٢.

٢. مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٩٥، ص ٣٥.

ومصادرة هذا الحق من الآخرين، وأن له حق تفسير النصوص حسب فهمه، وليس للآخرين إلا أن يكونوا نسخاً مكررة عنه، واتهام مخالفيه بمخالفة السنّة، والخروج من دائرة الدين، والوقوع في حبائل الشرك والكفر والضلال!!

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «الشيء الذي نرفضه ويرفضه جمهور العقلاء أن يحسب أحد الناس أن رأيه دين، وأن ما عداه ليس بدين، وأن يجمد على ما عنده جموداً قد يضر بالإسلام كله ويصدع وحدته.

وقد قرأت ورأيت من أمراض التعصب المذهبي ما يثير الاشمئزاز ويدعو إلى الدهشة.. وكأن الذين خاضوا هذه المعارك الجدلية يقصدون قصداً إلى تمزيق المسلمين، وإهانة معارضيهم في الفكر بعلل مختلفة»[1].

لقد أكد فقهاء وعلماء هذه الأمة على أن (التعددية المذهبية) تبقى ظاهرة طبيعية ومنطقية، ومن ثم فإن من حق (الآخر المذهبي) أن يعبر عن آرائه وأفكاره وتصوراته العلمية، وفي جميع الأمور، بحرية تامة، وليس من حق أحد الادعاء أن له وصاية على الآخرين، أو أن فهمه للدين هو (وحده) الفهم الصحيح، أو أن يحاول بالقوة والإكراه إجبار الآخرين على قبول فهمه للإسلام، وكأن فهمه للإسلام هو الإسلام!

إن التعصب بجميع أشكاله، ومحاربة فكر وآراء الآخر، والعمل على فرض آراء الذات بأي وسيلة لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتيت وحدة المجتمع المسلم، وإضعاف الروح المعنوية، وخلق الفتن والصراعات والمعارك الجدلية، والحروب العبثية، وهي عملية هدم لكيان الأمة كله.

ولا خيار أمام الأمة الإسلامية كي تتوحد، إلا بالتزام بالتعددية، ووحدة التنوع، فالأمة الإسلامية وحدة واحدة، تتفق كلها على أن دينها الإسلام؛

ومن هنا يمكن القول بأن الوحدة بين أبناء الأمة ممكنة ولكن في إطار التعددية، فهي وحدة واحدة في الدين ومتعددة في إطار هذه الوحدة!

١. للاطلاع على لقطات من التعصب المذهبي الممقوت انظر كتاب (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين)، ص ٨٧.

التنوع الديني والتسامح الإسلامي

وجود التنوع الديني حقيقة قائمة في العديد من المجتمعات الإسلامية، حيث نجد بالإضافة إلى الدين الإسلامي أديان أخرى، كالدين المسيحي وغيره من الأديان السماوية أو الوضعية.

ووجود أصحاب الأديان الأخرى في المجتمعات الإسلامية يعود إما لبقائهم على أديانهم منذ زمن طويل أو لوجود مقيمين للعمل والتجارة يتبعون أدياناً مختلفة في بلاد المسلمين.

وهذا التنوع الديني يفرض الحاجة إلى التسامح في التعامل معهم، وإعطائهم حقوقهم المشروعة كما كفلها لهم الإسلام.

فتعاليم الإسلام وقيمه تشجع على التسامح والتعامل الحسن مع أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، وتأمر بالعدل والإنصاف والإحسان إليهم، وتنهى عن الظلم والعدوان ضدهم.

وفي الوقت الذي كان فيه المسيحيون في عصور الظلام في أوروبا يتقاتلون فيما بينهم، حيث كان أتباع المذهب الأرثوذكسي وأتباع المذهب الكاثوليكي يقتلون بعضهم بعضاً في ساحة روما الكبيرة بصب الزيت عليهم وإحراقهم أحياء بسبب التعصب المذهبي والديني، والذي راح ضحيته الآلاف من الطرفين، في ذلك الوقت العصيب كان المسيحون يعيشون بحرية وتسامح وسلام مع المسلمين في المجتمعات الإسلامية.

وللأسف الشديد فإن الوضع اليوم يكاد يكون مقلوباً في بعض المجتمعات الإسلامية، حيث أصبح المسلمون في الغرب يشعرون بالتسامح معهم من قبل الأوروبيين المسيحيين؛ بينما المسلمون يعانون من أمراض التعصب والتطرف والتشدد في داخل أوطانهم نتيجة غياب ثقافة التسامح والتعايش فيما بينهم.

إن ابتعادنا عن الإسلام الذي يدعو إلى التسامح بين أبنائه، وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى قد أدى إلى نشوء جماعات وتيارات دينية وفكرية تؤمن بالتطرف والتشدد والعنف واللاتسامح تجاه المخالف حتى ضمن الدين الواحد.

وهذا ما يفرض على العلماء والواعين من أبناء الأمة الإسلامية العمل على الرجوع إلى أحكام الإسلام وأخلاقه وقيمه ووصاياه في وجوب التسامح مع المخالفين.

الرسول لم يجبر أحداً على الإسلام

من صور التسامح الإسلامي تجاه أتباع الديانات الأخرى أن رسول الله ﷺ لم يجبر أحداً على الإسلام حتى عندما أصبح في موقع القوة والحكم بعد فتح مكة.

فقد شن أهل مكة حرباً ظالمة على رسول الله ﷺ قَلّ نظيرها في التاريخ، فلقد عرف ﷺ بينهم بالصدق والامانة حتى لقبوه بالصادق الأمين، ولكنهم مع ذلك حاربوه-إلا قليل منهم- عسكرياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، حتى بلغ الأمر أنهم كانوا لا يردون تحيته إلا إذا حياهم.

فكان الشخص منهم -وهو مشرك- يخشى إذا رد تحية النبي ﷺ أن يراه الرائي من المشركين فلا يتابيعون معه بعد ذلك ولا يزوجونه ولا يتزوجون منه.

وطردوا رسول الله ﷺ ومن معه، وحاصروهم في أطراف مكة، وحاصروهم في شعب أبي طالب، وفرضوا حصاراً سياسياً اجتماعياً اقتصادياً قاسياً عليهم، فكان لا يحق لهم دخول مكة، وإذا دخلها أحدهم فدمه هدر، واستمرت الحالة هذه مدة ثلاث سنين.

وبعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فباتوا يتآمرون عليه وشنّوا عشرات الحروب يساندهم فيها اليهود والمنافقون، ودامت الحالة عشرين سنة واجهوه بمختلف أساليب الحروب حتى أذن الله بالفتح، وجاء ﷺ مكة فاتحاً، وأصبحت مكة بعد ذلك في قبضته وتحت سلطته.

وهكذا الحال في سيرته ﷺ مع اليهود والنصارى، فلقد رد النبي الأكرم ﷺ عشرات الحروب والاعتداءات التي شنها أهل الكتاب دون أن يجبر أحداً منهم على الإسلام. ولم يسجل التاريخ ولو حالة واحدة يكون فيها رسول الله ﷺ قد أجبر ذمياً على اعتناق الإسلام مع أنه سجل وحفظ الدقائق عن حياته، فالعلامة المجلسي (رحمه الله) وحده خصص في موسوعته (بحار الأنوار) عشرة مجلدات ذات أربعمئة صفحة أي ما مجموعه أربعة آلاف صفحة أو أكثر كلها عن رسول الله ﷺ وحروبه وأخلاقه وسيرته مع المسلمين

ومع المشركين وأهل الكتاب، لم نجد فيها موقفاً واحداً أجبر الرسول ﷺ نصرانياً أو يهودياً على اعتناق الإسلام، بل نجد أن رسول الله ﷺ كان له صديق مسيحي أو جار – يهودي دون ان يجبره على اعتناق الإسلام مع أنه كان الحاكم الأعلى في الجزيرة العربية، وكان بيده السيف والمال والقوة الكافية.

وكما كان رسول الله ﷺ كذلك أهل بيته (سلام الله عليهم)، فالإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) قد كان مبتلى بأشخاص ذوي نفسيات وضيعة ترد عليه وتقطع كلامه وتجادله بالباطل بل حتى تتطاول عليه، وهو مع ذلك لا يأمر بعقوبتهم، وهو الحاكم الأعلى الذي بايعته الأمة قاطبة، ناهيك عن كونه منصوباً من قبل رسول الله ﷺ وبأمر من العلي القدير، بل كان يجيبهم ويترك لهم حرية العقيدة ما لم يتآمروا ويلجأوا إلى استعمال القوة والسيف، فثم شخص يسمى أبن الكوا ملحد مشاغب مشعوذ كان يرد على أمير المؤمنين (سلام الله عليه) ويناقشه كل حين حتى والإمام على المنبر، ومع ذلك تركه الإمام وشأنه يعيش في المجتمع دون أن يفرض عليه شيئاً كغيره من المتمردين العتاة والمنافقين الحاقدين[1].

كما أمر الإسلام بحفظ أهل الذمة والمعاهدين، وحفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وأن من يقتل أحداً منهم – بغير حق – لن يشم ريح الجنة، فقد روى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[2]. وفي لفظ أحمد: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا»[3] .

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[4].

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[5].

١. انظر كتاب ثقافة التعايش، ناصر حسين الأسدي، مؤسسة الفكر الإسلامي، كربلاء – العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، ص ٣٦٤– ٣٦٦.

٢. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٥٥٧، رقم ٣١٦٦. كنز العمال، ج ٤، ص ٣٦٢، رقم ١٠٩١٤.

٣. مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٦٠، رقم ٢٠٠٣٣.

٤. سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، – ص ٧٦٥، رقم ٤٧٥٩.

٥. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ج ٢،

وعن سماعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مسلم قتل ذمياً؟

قال: فقال عليه السلام: «هذا شيء شديد لا يحتمله الناس، فليعط أهله دية المسلم حتى ينكل عن قتل أهل السواد وعن قتل الذمي، ثم قال: لو أن مسلماً غضب على ذمي فأراد أن يقتله ويأخذ أرضه ويؤدي إلى أهله ثمانمائة درهم إذن يكر القتل في الذميين، ومن قتل ذميا ظلماً فإنه ليحرم على المسلم أن يقتل ذميا حراماً ما آمن بالجزية وأداها ولم يجحدها»[1].

إلى أحاديث كثيرة أخرى أخرجها الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد وكتب الحديث تؤكد كلها على حرمة الاعتداء على أصحاب الأديان الأخرى سواء كانت سماوية أم وضعية، ووجوب إعطائهم كافة الحقوق التي أعطاها الإسلام إليهم في ظل الدولة الإسلامية.

ويجب التعامل في ظل الدولة الإسلامية بمنطق الرحمة والتسامح مع جميع الناس، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[2].

ويوضح الشيخ محمد جواد مغنية هذا النص لأمير المؤمنين عليه السلام بقوله: محبة الحاكم لرعيته ضرورة تماماً كالعدل، وأي حاكم يلزم نفسه بالمحبة والعدل، فإنّه يجعل من رعيته أصدقاء له وأحباء حتى ولو كان على غير دينهم، وبهذا تستقيم له الأمور، ويعم الأمن والهدوء بلا جيوش وجنود، لأن كل واحد من رعية السائس العادل هو قوة له وعدة، وجندي يحافظ ويدافع. وقد أثنى سبحانه على نبيه الكريم بقوله: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾[3]. وأي حاكم لا ينفذ له أمر إلا بالقوة فهو من الخاسرين دنيا وآخرة.

(فإنهم صنفان: إما أخ لك إلخ) ... على الانسان أن لا يعتدي ويسيء إلى أخيه الانسان

ص ٥٤٧، رقم ٨٢٧٠. كنز العمال، ج ٤، ص ٣٦٢، رقم ١٠٩١٣.

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٩، ص ٢٢٠ – ٢٢١، رقم ٣٥٤٦٧.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٦٠٠.

٣. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

بشيء، وان ينصفه من نفسه، ويكون عوناً له على ظالمه سواء أكان على دينه أم على دين الشيطان[1].

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام لشيعته: «أدوا الأمانة إلى أهلها وإن كانوا مجوساً»[2].

وقال له أحد أصحابه وأتباعه: وقع لي مال عند يهودي، فكابرني عليه وحلف، ثم وقع له عندي مال فهل آخذه عوضاً عن مالي وأجحده وأحلف عليه، كما صنع؟

فقال الإمام: «إن خانك فلا تخنه، ولا تدخل فيما عبته عليه»[3].

فالإسلام قد حفظ حقوق أهل الذمة، وحقوق الأقليات في البلاد الإسلامية، وأمر بالعدل والقسط والإحسان مع جميع الرعية وإن اختلفوا في الدين أو المذهب.

إرساء قيم التسامح

إن المجتمعات الإسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى إرساء قيم التسامح والتعايش الإيجابي بين أتباع الديانات المختلفة فضلاً عن أتباع المذاهب الإسلامية.

وفي تعاليم الإسلام ووصاياه من حسن التعامل، والجدال بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعاون مع الآخر، وتجنب التصادم والتحارب، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتطبيق العدل والرحمة والمساواة والحرية التي ضمنها الإسلام مع جميع أهل الديانات والمذاهب، وهذا وحده الكفيل بترسيخ قيم التسامح والتعايش في المجتمع.

ومن أجل تحقيق ذلك يجب سن قانون للتسامح والتعايش، ويصبح قانوناً ساري المفعول حتى تعم قيم السلام والأمن والاستقرار والتعايش في مجتمعاتنا الإسلامية، ونقضي على ثقافة الكراهية والتعصب والتطرف واللاتسامح.

١. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، ج ٤، ص ٥٠.
٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٩، ص ٧٣، رقم ٣٤١٨٠.
٣. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٧، ص ٢٧٤، رقم ٢٢٥٠٥.

التعددية الفكرية والإثراء العلمي

تعددية الآراء والأفكار والاجتهادات في أي حقل من حقول المعرفة إنما يعد ثروة حضارية لا تقدر بثمن، فالتعددية دليل على وجود عقول كبيرة ومتنوعة في التفكير والمنهج العلمي، وقادرة على العطاء والإنتاج العلمي.

وأي خطة للحجر على (الرأي الآخر) هو من قبيل الدعوة لإلغاء عقول الآخرين مما يسبب في تبديد ثروة علمية ومعرفية، في حين أن وجود التعددية المعرفية والفكرية والعلمية بمثابة ثروة حضارية تكون من الأهمية بحيث أن أي بناء حضاري بدونها يبدو غير ممكن من الناحية العملية والواقعية.

إذ من الصعب أن تجد اتفاقاً عاماً على موضوع تتعدد وجهات النظر حوله، بل نستطيع القول: قلّما يتفق أصحاب الرأي في موضوع واحد على رأي واحد.

إن وجود وجهات نظر متباينة حول الكثير من المواضيع محور البحث والنقاش على المائدة العلمية شيء منطقي وواقعي، ولكن غير المنطقي حقاً هو مطالبة أصحاب الرأي على أن يتفقوا في كل شيء على رأي واحد!

والاختلاف القائم على أسس علمية مجردة، رحمة بالأمة وتوسعة عليها، فما دام باب الاجتهاد مفتوحاً ومشروعاً لكل من تتوافر فيه مؤهلات الاجتهاد، وما دام أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى كل واحد منا عقلاً كي يفكر به، وحثنا في أكثر من آية شريفة على ممارسة التفكير، واعتبره عبادة عظيمة كما ورد في الأخبار، فإن من المنطقي بعد ذلك أن نفكر ونجتهد حول جميع القضايا القابلة للاجتهاد والتفكير، ومن ثم من حقنا أن نختلف! ولكن يجب أن يكون اختلافنا على أسس علمية متينة، ويجب أن نتعامل مع هذا النوع من الاختلاف بتسامح عظيم.

وهذا الاختلاف المبني على القواعد العلمية الصلبة، هو رحمة بالأمة، فقد ورد في الحديث عن الرسول ﷺ قوله: «اختلاف أمتي رحمة»[1]، وعن محمد بن بشير وحريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنه ليس شيء أشد عليّ من اختلاف أصحابنا، قال: «ذلك من قبلي»[2]، وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «اختلاف أصحابي لكم رحمة»[3] وسُئل عن اختلاف

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٧، ص ١٤١، رقم ٣٣٤٢٥.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٣٦، رقم ٢٢.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٣٦، رقم ٢٣.

أصحابنا فقال عليه السلام: «أنا فعلت ذلك بكم لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ برقابكم»[1] وهذا يعني أن الاختلاف فيه توسعة على الأمة، وأن الاجتهاد شيء مشروع في فروع الدين، وفي القضايا العلمية والمعرفية بشتى حقولها وتشعباتها.

وإذا كان الاختلاف العلمي رحمة بالأمة فإن الاختلاف الناشئ من اتباع الهوى والمصلحة الشخصية وحب الأنا مذموم في الشرع؛ لأنه يفرق الكلمة، ويحول المجتمع المتماسك إلى مجتمع كراهية، ينازع بعضه بعضاً، ويحارب كل واحد منه الآخر، وتعادي الأمة نفسها بنفسها، وهذا ما حذر منه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[4].

كما وردت في الأخبار أحاديث مستفيضة تحذر من اختلاف الهوى، فعن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[5]، وعنه صلى الله عليه وآله قال: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[6]، وعنه صلى الله عليه وآله قال: «أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرقين؟ إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة»[7]، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «إن الشيطان يسنُّ لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته»[8].

فالاختلاف الذي يكون مصدره الهوى مذموم في الشرع لما يورثه من فرقة وتنازع

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٣٦، رقم ٢٣.
٢. سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
٣. سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
٤. سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
٥. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، ص ٤١٣، رقم – ٢٤١٠. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٧٧، رقم ٨٩٤.
٦. صحيح مسلم، المكتبة العصرية، ص ١٦٤، رقم ٩٧٢. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٧٧، رقم ٨٩٥.
٧. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٨٢، رقم ٩٢٠.
٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٣٦٣.

وعداوة وبغضاء وكراهية، بينما الاختلاف العلمي الناشئ من قواعد علمية مجردة يكون رحمة بالأمة، وتوسعة عليها وثروة لها وذلك لما يسببه من إنتاج علمي غزير، وثروة معرفية كبيرة، وحركة ثقافية متنامية ورصيد حضاري لا ينضب، ومن هنا نعرف الفرق بين الاختلاف المشروع والاختلاف الممنوع، وبين اختلاف الرحمة واختلاف النقمة!

فلا يجوز أن ننظر إلى التعددية الفكرية، ووجود الآراء المختلفة والاجتهادات المتعددة على أنها تعوق التسامح والتعايش السلبي؛ بل يجب النظر إليها بنظرة إيجابية، لأن فيها إثراء للعلم، وتنويع للمعرفة، وتوسيع للفكر والثقافة.

واليوم نجن أحوج ما نكون إلى أن ننظر بإيجابية إلى التعددية الفكرية، ونجعلها منطلقاً للتعاون والتكامل والتآلف، وليس مبرراً للنزاع والشقاق والصدام.

وتنمو ثقافة التسامح والتعايش في ظل التعددية الفكرية عندما يسود المجتمع أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، أما عندما تسود أجواء الكبت الفكري والقمع تجاه أي رأي مخالف فإن ثقافة اللاتسامح والإقصاء تكون هي السائدة.

ولا يصح بأي حال من الأحوال مصادرة الآراء والأفكار المغايرة، والحجر على أي رأي مخالف، بل يجب تشجيع الإنتاج الفكري، والإبداع العلمي حتى يتطور المجتمع ويتقدم حضارياً.

ثم إنه لا يجوز أن يؤدي التعدد في الرأي أو الفكر أو الاعتقاد أو المنهج إلى إفساد ما بين الناس من التآلف والتعاون والاحترام والانسجام، وهذا ما يشير إليه القول المشهور: «الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية».

ولكن للأسف فإن واقعنا الاجتماعي المعاصر في أكثر البلدان الإسلامية وغيرها أصبح مساحة القبول بالرأي والرأي الآخر، والتسامح تجاه المخالف الآخر، والتعايش مع المختلف تتقلص بفعل عوامل اجتماعية وفكرية وسياسية سائدة.

ولأجل مصلحة المجتمع وتقدم الأوطان علينا إشاعة روح التسامح تجاه الآراء والاجتهادات والنظريات الفكرية المختلفة؛ فهذا هو سبيل التقدم والتطور والازدهار.

التعددية السياسية وحق الاختلاف

إن الإقرار بالتعددية السياسية هو إقرار ضمني بحق الاختلاف السياسي، فمن الطبيعي أن تتعدد الآراء والاجتهادات السياسية في ظل وجود قانون يحمي التعدد السياسي كما هو حاصل الآن في بلاد الغرب، وبعض بلاد المسلمين.

فالتعددية السياسية تعني: مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية وحقها في التعايش وفي التعبير عن نفسها وفي المشاركة في التأثير على القرار سياسياً في مجتمعها.

ومصطلح التعددية السياسية يعني أولاً: الاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود عدة دوائر انتماء فيه ضمن هويته الواحدة.

ويعني ثانياً: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف أو اختلاف في العقائد والألسنة والمصالح وأنماط الحياة والاهتمامات، ومن ثم الأولويات.

ويعني ثالثاً: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية في إطار مناسب وبالحسنى، بشكل يحول دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع، وإن اشتراك جميع فئات المجتمع في هذا الإطار بآرائهم هو ما يصطلح على تسميته بالمشاركة السياسية[1].

وعندما نعود إلى التاريخ ونستحضر التراث العربي الإسلامي في موضوع التعددية السياسية نجد أولاً: أن مجتمع الدولة العربية الإسلامية حفل بالتنوع؛ فحين نتأمل أطلس هذا المجتمع نجد في خريطة (الملل) تنوعاً كثيراً، فهناك مسلمون وأهل كتاب ثم صابئة ومجوس وأتباع أديان شرقية أخرى، وضمن المسلمين هناك مذاهب وفرق، والأمر نفسه بين النصارى واليهود وأتباع الأديان الأخرى، وحين نتأمل خريطة الأقوام نجد أيضاً تنوعاً كثيراً يضم عرباً وأمازيغ (بربراً - ومعنى الكلمة الرجال الأحرار) وسريانا، وأقباطاً عرباً وتركاً، وأكراداً وهنوداً وصقالبة والخ.. كما نجد بدواً وحضراً من الريف والمدن وزرّاعاً وصناعاً وأهل سيف وأهل قلم وأهل تجارة الخ.. في خريطة (الأنماط والطبقات)

١. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، د.أحمد الدجاني، دار المستقبل العربي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص٩٥.

ونجد في الخريطة السياسية دولة يحكمها نظام واحد سياسي تضم ولايات وإمارات.

كان الاعتراف بالتنوع هو القاعدة في هذا النظام السياسي ضمن مفهوم وحدة الأمة والجماعة والدولة وعلى مختلف دوائر الانتماء، وهكذا رأينا مثل الاعتراف بالصابئة من الملل، وكان جميع من يعيشون في ضمن هذه الدولة من رعاياهم الذين ينتمون إليها ويشاركون في (العمران) وقد وجد الاستثناء في حالات شاذة ولفترات محدودة ولأسباب مختلفة.

اقترن (الاعتراف بالتنوع ضمن الوحدة) باحترامه، وكفل النظام السياسي التعبير عن هذا الاحترام وضمانه[1].

وقد كان في دولة المدينة وفي عهد رسول الله ﷺ مجموعة من القوى السياسية وقد تعامل النبي مع كل تلك القوى والجماعات السياسية ولم يعمل على إلغائها وإضعافها وذلك من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي والسياسي المطلوب، بالإضافة إلى أن تكوين القوى والتجمعات السياسية هو حق من حقوق الحرية السياسية.

يقول الفقهاء عن هذه الحقيقة: الأصل الإسلامي العام في كل شيء هو الحرية إلا أن يثبت خلافه، وأصل الحرية يقتضي أنه يكون الحق لكل إنسان أن يشكل حزباً أو تجمعاً سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو دينياً أو غيرها في إطار الإسلام، والكل أحرار في ذلك، وأول من طبق ذلك أروع تطبيق هو رسول الإسلام محمد ﷺ ، فحين هاجر المسلمون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لم يذوّبهم الرسول ﷺ في الأنصار، بل جعل لهم كيانهم الخاص وسمّاهم (المهاجرين) ولذلك فإننا نشاهد في نصوص الكتاب الشريف والسنة النبوية إطلاق كلمة المهاجرين والأنصار كل على حدة، يتميز عن غيره، ويتنافس معه في مختلف المجالات البنّاءة، لذلك فإنه ﷺ كان يواجه أحياناً ضغطاً من إحدى المجموعتين المهاجرين أو الأنصار فكان يلتجأ إلى الأخرى ويحتمي بها من الأولى التي ضغطت عليه[2].

١. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، د. أحمد الدجاني، دار المستقبل العربي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص ١٠٨.

٢. الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين، السيد محمد الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٥٢.

ويدل على ذلك أحاديث متعددة، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال في قصة مشهورة: «لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلكتُ مسلك الأنصار وتركتُ مسلك الناس». وفي رواية أن حزبين من الأنصار كانا يترامیان فقال النبي ﷺ: «أنا مع الحزب الذي فيه ابن الأدرع».

بل يظهر من الروايات وجود المهاجرين والأنصار كحزبين إلى زمان أمير المؤمنين عليه السلام حيث أعطى (قرضة) وهو من أصحاب رسول الله راية الأنصار يوم صفين.. إلى غير ذلك من الموارد المتوفرة في السيرة الطاهرة[1].

ويرى الدكتور محمد عمارة: أن التجربة السياسية لدولة الإسلام الأولى قد شهدت من (المؤسسات) ما يشبه (التمايز التنظيمي) على نحو من الأنحاء، فهيئة (المهاجرين الأولين) والتي ضمت (القيادات القرشية) التي سبقت إلى الإسلام هذه الهيئة كانت تنظيماً له اختصاصات دستورية في الخلافة والدولة وشؤون المجتمع الإسلامي.

وهيئة (النقباء الاثني عشر) والتي تكونت بالاختيار من الأنصار الذين عقدوا مع رسول الله ﷺ عقد تأسيس الدولة الإسلامية في بيعة العقبة.. هذه الهيئة قد كانت تنظيماً ذا اختصاصات دستورية في حياة الدولة الإسلامية[2].

وفي رأي الشيخ (محمد مهدي شمس الدين): يمكن الاستدلال على مشروعية تكوين الأحزاب السياسية بإقرار الإسلام للتكوينات القبلية في المجتمع الإسلامي، باعتبارها تعبيراً عن نظام للعلاقات والمصالح داخل القبيلة، وبإنشاء تكوين (المهاجرين والأنصار) وهو تعبير تنظيمي، سياسي، وليس مجرد تعبير عن الانتماء الجغرافي.

وتذكر مصادر تاريخ صدر الإسلام شواهد كثيرة على المنافسة بين المجموعات القبلية الكبرى ومنها (ربيعة) و(اليمن)[3].

١. الصياغة الجديدة، السيد محمد مهدي الشيرازي، بيروت – لبنان، ص ٣٨.

٢. مجلة العربي، – العدد ٤٠٣، السنة الخامسة والثلاثون، يونيو ١٩٩٢م، ص ٩٨، موضوع: الإسلام والتعددية الحزبية، د. محمد عمارة.

٣. في الاجتماع السياسي الإسلامي.. محاولة تأصيل فقهي وتاريخي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنش، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص١٣٠.

وتؤكد الشواهد التاريخية -كما سبق أن أوضحنا- على وجود التعددية السياسية في عهد الرسول ﷺ وما قبله، فالمهاجرون والأنصار -مثلاً- كانا قد تكونا كحزبين مستقلين في عهد الرسول وكان لكل حزب منهما آراء خاصة.

وقد تعامل النبي مع كل القوى والتجمعات السياسية مما يدل على شرعية (التعددية السياسية) في إطار الدولة الإسلامية الواحدة.

ومفهوم التعددية السياسية يشير إلى حق (المعارضة) في ممارسة أنشطتها، وقد كفل الإسلام للمعارضة السياسية السلمية كافة الحقوق المشروعة، كما أن في تجربة الإمام علي عليه السلام مع معارضيه الكثير من الدلائل والشواهد التي تؤكد على شرعية المعارضة في الإسلام.

فعندما تولي الإمام علي عليه السلام الحكم بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان واجه معارضة متعددة، وقد أرسى الإمام علي عليه السلام في تعامله مع مخالفيه ومناوئيه أسس التعامل الإسلامي مع المعارضة.. وهذا ما يحتاج إلى شيء من التفصيل.. كي يتضح لنا شرعية (المعارضة) في الفكر السياسي الإسلامي.

لقد تعامل الإمام علي عليه السلام مع معارضيه تعاملاً إنسانياً رفيع المستوى، وأعطاهم كافة حقوقهم السياسية والمدنية، بالرغم من أن مناوئيه كفّروه وحرضوا الناس على حكمه، ومع ذلك لم يقاتلهم إلا عندما بدؤوا القتال، وعفى عنهم عندما انتهت المعارك، بل وضمن لهم حرية الرأي والفكر والتعبير عن ذلك.

لقد حدد الإمام علي عليه السلام حقوق المعارضة بصورة واضحة وجلية للناس.. فعن كثير بن نمر قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر، إذ جاء رجل وقال: لا حكم إلا لله ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله. فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يُبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا. ثم أخذ في خطبته[1].

١. المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، دار قرطبة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج ٢١، ص ٤٥٤ - ٤٥٥، رقم ٣٩٠٨٥.

وبهذا فقد وضح الإمام علي عليه السلام حقوق المعارضة في الأمور التالية:

١- حق العبادة.

٢- حق الفيء (التأمين ضد الجوع).

٣- حق النقد (التأمين من الخوف).

وقد أرسى الإمام علي عليه السلام حق (الرأي الآخر) والتعبير عن ذلك الرأي بأي وسيلة مشروعة، فلم يسجن أحداً لمخالفته له في الرأي، ولم يمنع أحداً من العطاء لأنه لا يتفق معه في موقف أو في رؤية، ولم يبطش بأحد خالفه في الفكر أو المعتقد؛ بل سمح لكل الآراء أن تعبر عن ذاتها، ولو كان ذلك التعبير على شكل مظاهرة سلمية، أو إضراب مدني.

ويحدثنا التاريخ: أن الإمام عليه السلام لم يكن يمنع المظاهرات والإضرابات، حيث «إنه اتفق في زمانه أن أغلق أهل الكوفة الدكاكين، حيث حكم بحكم لم يرضوا به.. وفي مرة أخرى حيث عزل قاض لم يرضَ بعض أهل الكوفة بعزله، خرجوا في تظاهرة، والإمام لم يتعرّض لهم بسوء، وإنما تركهم وشأنهم بعد أن نصحهم»[١].

وروى المؤرخون: أن (الحريث بن راشد الشامي) كان عدواً للإمام، فجاءه قائلاً له: والله لا أطعت أمرك، ولا صليت خلفك!، فلم يغضب لذلك، ولم يبطش به، ولم يأمر به بالسجن أو العقوبة، وإنما دعاه إلى أن يناظره حتى يظهر أيهما على الحق، ويبين له وجه الحق لعله يتوب، فقال له الحريث: أعود إليك غداً، فقبل منه الإمام، فانصرف الرجل إلى قومه ولم يعد![٢].

ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بالعدل مع الخوارج، ومنحهم حقوقهم كاملة إبان المعارضة، بل أوصى بهم خيراً بعد وفاته، فقال قولته الشهيرة: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فإنه ليس من

١. السبيل إلى إنهاض المسلمين، السيد محمد مهدي الشيرازي، دار المنهل، بيروت، - الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٤٦٦.

٢. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر(البلاذري)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٤١١، رقم ٤٧٢. (بتصرف).

طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه»[1].

كما أن قضاته ﷺ استشاروه وهم من البصرة، في القضاء بشهادة الخوارج -أي من أهل البصرة- أو عدم قبول شهادتهم، فأمرهم ﷺ بقبولها.

ولقد أدى التعامل الأخلاقي الرصين هذا مع المعارضة إلى أن يأتي المعارضون لأخذ حقوقهم وأعطياتهم من الإمام مباشرة، ولا يرون في معارضتهم ما يتناقض مع ذلك.. فقد روي أن عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص والمغيرة بن شعبة، جاؤوا إلى الإمام ﷺ يطلبون عطاءهم، وكانوا جميعاً قد اعتزلوا، فلم يشهدوا الجمل ولا صفين، وكان الإمام قد تركهم وشأنهم منذ اعتزلوا ولم يبايعوه، ولكن عطاءهم كان يصلهم في منازلهم[2].

ولم يُخرج الإمام علي ﷺ أحداً ممن كان يخالفه في الرأي أو الفكر أو الموقف من دائرة الإسلام، بل كان يتعامل مع معارضيه على أنهم مسلمون.

فقد روي أن علياً ﷺ لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: «هم إخواننا بغوا علينا»[3].

وسئل علي ﷺ عن أهل الجمل: أمشركون هم؟

قال: من الشرك فرّوا.

قيل: أمنافقون هم؟

قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قيل: فما هم؟

قال: «إخواننا بغوا علينا»[4].

وقد كان الإمام علي ﷺ ينصح معارضيه تارة، ويدعوهم للحوار والمناظرة تارة أخرى، وكان يفتح قلبه لسماع آراء مخالفيه، ويصبر على أذى معارضيه، ولم يستخدم القوة إلا ضد

١. نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت، طبع عام ٢٠١٣م، ص ٧٠، خطبة ٦١.

٢. أخلاقيات أمير المؤمنين، السيد هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص٣٠٧.

٣. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٥، ص ٨٣، رقم ٢٠٠٣٢.

٤. مستدرك الوسائل، النوري الطبرسي، ج ١١، ص ٦٨، رقم ١٢٤٤٥. كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١١، ص ٣٣٥، رقم ٣١٦٧٣. المصنف، ابن أبي شيبة، ج ٢١، ص ٤٦١، رقم ٣٩- ٩٧.

من استخدمها، أما من كان له رأي مخالف، أو موقف مغاير، فلم يستخدم الإمام ضد هؤلاء أي إجراء عقابي، بل كان يصرّ على ضمان حقوق معارضيه، وينهى أصحابه عن سب مخالفيه.

يقول أبو الأعلى المودودي: «لقد قابل علي بذاءات الخوارج في عهده بصدر رحب، وحدث أن قبض على خمسة منهم وأُحضروا إليه وكانوا يكيلون له السباب علناً حتى أنه أقسم أحدهم أمام الناس لأقتلن علياً، ومع ذلك أطلق سراحهم، وقال لرجاله بأن يردوا عليهم بما شاؤوا من القول، لكنه لم يتخذ ضدهم إجراء عملياً»[1].

ويقول الدكتور عبد الكريم عثمان: «وفيما يتعلق بالصبغة السياسية فقد كانت حرية الرأي والتفكير مكفولة إلى حد بعيد.. ونشير إلى مثال عام نقتبسه من خلافة علي، ذلك أنه عندما انشق عليه الخوارج وكانوا حوالي ثمانية آلاف، أرسل إليهم ابن عباس ليناظرهم، فاستطاع أن يقنع الكثيرين منهم بالحجة حتى عاد أربعة آلاف، أما مَن تبقى فقد أرسل إليهم علي عليه السلام كتاباً يقول فيه: «كونوا حيث شئتم، بيننا وبينكم ألا تسفكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا أحداً، فإن فعلتم نذر الحرب معكم،لا نبدأ بقتال ما لم تُحدثوا فساداً»[2].

أما الأستاذ فهمي هويدي: فيرى في تجربة الإمام علي عليه السلام مع الخوارج أنها: تجربة مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملابساتها، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة ما نسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الفكر السياسي الإسلامي يبين الكثير من الاجتهادات على دروس تلك التجربة، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استرجاع تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها.

فهنا تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عدداً من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيداً في النيل من

١. الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، طبع عام ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص٤٠٨.

٢. معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص٦٦.

القيادات الحاكمة، سواء في سياساتها أو مدى إيمانها -الخوارج كفّروا الإمام علي فوق المنابر وتركهم وشأنهم- لكن الذي ليس مقيداً عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الإسلامية وتروّع سكانها وتجرح وحدتها[1].

ولعل أهم ما نستطيع استنتاجه من تجربة الإمام علي ﷺ مع معارضيه أن للرأي الآخر مكاناً في الدولة الإسلامية، وأن الإسلام يكفل كافة الحقوق المشروعة للمعارضة السياسية السلمية، أما المعارضة المسلحة ضد الدولة الإسلامية فلا شرعية لها؛ إذ لا شرعية في محاربة الشرعية.

التعددية السياسية والتسامح

إن وجود التعددية السياسية في أي مجتمع يفرض الحاجة إلى التسامح السياسي بين مختلف القوى والجماعات والتيارات السياسية حتى تستطيع التعاون والتكامل انطلاقاً من أرضية المشتركات السياسية، والمحتويات التي تواجهها الدولة والمجتمع.

وللوصول إلى ذلك نحتاج إلى سن قوانين وتشريعات تتضمن إدارة الاختلاف السياسي وفق قواعد التبادل السلمي للسلطة.

وللأسف فإن الكثير من مشاكل العالم الإسلامي اليوم كالمشكلات الاقتصادية المعقدة، والفساد الإداري والمالي، وانتشار الفقر والبطالة، وتفاقم أزمة السكن، وارتفاع السلع الغذائية، هو نتيجة عدم وجود تعددية سياسية، وغياب التسامح السياسي تجاه الآخر المختلف.

إن عقدة العقد، وأكثر المشاكل ناتجة من الاستبداد والدكتاتورية المنتشرة في أغلب بلدان العالم، وهو ما أدى إلى نشوء جماعات العنف والإرهاب في العديد من الأماكن والمناطق. وأهم الحلول لذلك الحاجة إلى سن القوانين التي تعطي للناس الحق في إنشاء وتأسيس الكيانات التعددية السياسية، وضمار الحقوق السياسية وغيرها لكافة المواطنين في كل دولة ومجتمع.

١. مجلة العربي، العدد ٣٥٤، السنة الحادية والثلاثون، مايو - ١٩٨٨م، ص ٣٢، (التعددية والمعارضة في الإسلام)، فهمي هويدي.

خلاصة القول

مفهوم التعددية السياسية يشير إلى مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية، وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها، والمشاركة في صنع القرار العام.

والتعددية بهذا المعنى هي إقرار واعتراف بوجود التنوع الاجتماعي، وبأن هذا التنوع لابد أن يترتب عليه اختلاف في المصالح، أو خلاف على الأولويات، والتعددية السياسية هنا هي الإطار المقنن للتعامل مع هذا الاختلاف والخلاف، بحيث لا يتحول إلى صراع يهدد سلامة الدولة وتماسك المجتمع[1].

والإسلام بما فيه من حريات واسعة تفوق في مساحتها ما هو موجود في النظام الديموقراطي الغربي، يقر التعددية السياسية، ويؤكد على قيم التسامح والتواصل والتعايش بين الرأي والرأي الآخر، والجماعة والجماعة الأخرى، والفكر والفكر الآخر، والمنهج والمنهج الآخر؛ ما دام ذلك ضمن الإطار الشرعي المسموح بالاختلاف فيه.

أما الضيق بالرأي السياسي الآخر، ومحاولة خنقه، ومحاربة معتنقيه، فهو ناشئ من الجهل بقيم وتعاليم الإسلام، أو من حب التسلّط أو الزعامة، أو من الخوف على (الذات) أن تفقد مواقعها لصالح الآخر!

ومما تقدم يتضح أن مفهوم المصلحة السياسية، والقراءة الصحيحة للنصوص الدينية، ومنطق القواعد الفقهية والأصولية، وتحقيق مقاصد الإسلام الكبرى يؤكد على الحاجة إلى التعددية السياسية، والتسامح تجاه القوى السياسية الأخرى، والسماح لها بالتعبير عن نفسها ووجودها بعيداً عن لغة الترهيب والإقصاء والتهميش والإلغاء.

١. الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر، زكي الميلاد، دار الصفوة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.، ص٣٨.

الخاتمة

نتائج الدراسة وتوصياتها

- **أولاً – نتائج الدراسة.**
- **ثانياً – توصيات الدراسة.**

أولاً – نتائج الدراسة

بعد أن وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة العلمية عن (**الإمام الحسين عليه السلام ونهج التسامح**)، وبعد أن تناولنا موضوع التسامح من جميع جوانبه وصوره وأقسامه، ودور الإمام الحسين عليه السلام في تعزيز وترسيخ قيمة التسامح، نشير إلى أهم نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية:

١ – استطاعت هذه الدراسة التأكيد على أن الإسلام يدعو إلى التحلي بفضيلة التسامح سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي أم في الحياة العامة، باعتبار أن التسامح فضيلة وقيمة من القيم والفضائل الكبرى التي يجب التحلي والتجمل والتزين بها.

٢ – ثبت من خلال استعراض أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي لمفردة التسامح والتي تشير إلى اللين والتساهل في التعامل، والجود والكرم والسخاء والعطاء من غير عُقَدِ أو تعقيد، وأن الباعث على ذلك هو العزة والرفعة والتسامي، ولا يعني التسامح أي نوع من أنواع الضعف والانهزام والذلة. كما يفهم من أقوال اللغويين أنه لا فرق بين معنى التسامح والتساهل من حيث اللغة، وأن المقصود منهما هو ذلك الخلق الرفيع والخلة المحمودة الممدوح صاحبها.

٣– اشار الباحث من خلال بيان تعريفات مصطلح ومفهوم التسامح أن التسامح هو الحق في الاختلاف، وقبول ما يترتب عليه من آراء واجتهادات، وإعطاء كل إنسان الحرية في التعبير عن آرائه مع التعايش والتسامح مع ما يحمله الآخر من آراء مغايرة ومختلفة.

٤ – أكدت هذه الدراسة على قيمة التسامح من الرؤية الدينية، والاستدلال على – تأصيل ذلك بما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة أئمة أهل البيت الأطهار، وخصوصاً سيرة الإمام الحسين عليه السلام، وما يتعلق بمفردات ودلالات مفهوم التسامح

٥– أثبت الباحث من خلال هذه الدراسة أن للتسامح أصوله وجذوره وقواعده في الإسلام، وأول قاعدة يمكن الاستدلال بها على حقيقة التسامح في الإسلام هي القاعدة القرآنية التي تنص على ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾[1] بمعنى أنه لا يكره أحد على الدين، وإنما الدخول في الدين يكون عن قناعة واختيار، كما أن جميع الأمور يجب أن تكون عن اختيار

١. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

وقصد، وأن ما يكره عليه الإنسان من أقوال أو أفعال لا يترتب عليه أي أثر في نظر الشرع لا في أمور الدنيا ولا في الآخرة.

٦- أوضحت هذه الدراسة أن القاعدة الفقهية (قاعدة الإلزام) والتي تقول (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) تعني إعطاء الآخر المذهبي، بل والآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقده ويراه صحيحاً طبقاً لمذهبه أو دينه. وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها الفقهاء تدل على إنسانية الإسلام، وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر المذهبي والديني؛ فهذه القاعدة الفقهية تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، بل وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش مع الآخر المغاير للذات.

٧- من القواعد المهمة التي تدل على التسامح في الإسلام هي قاعدة (حسن الخلق) إذ أن الالتزام بمنظومة أخلاقيات الإسلام يربي الإنسان على التسامح والتعايش؛ بينما من تنعدم لديه الأخلاق الحسنة لا يمكن أن يكون إلا غير متسامح، وغير قادر على - التعايش مع الآخرين.

٨- تؤكد المنظومة الأخلاقية التي شرعها الإسلام ورغّب فيها وحَثَّ عليها على التحلي بمنهج التسامح، والابتعاد عن الإساءة أو التجريح أو التحقير أو الإيذاء للآخرين.

٩- إن أخلاقيات الإسلام التي يؤدي العمل بها الى الالتزام بقيمة التسامح كثيرة ومنها: الرفق واللين في التعامل مع الآخرين، والعفو والصفح عن أخطاء من نتعامل معهم، والحلم وكظم الغيظ تجاه تصرفات الآخرين الخاطئة، والرحمة والرأفة بالناس، وحب الآخرين وقضاء حوائجهم، وعمل الخير والإيثار والتضحية من أجل إسعاد الناس... وغيرها؛ فهذه الأخلاقيات التي يدعو الإسلام المسلمين للالتزام والعمل بها إنما تعني -فيما تعنيه- العمل بروح ومنهج التسامح.

١٠- أوضح الباحث أن من اهم القواعد التي تؤصل للتسامح في الإسلام قاعدة (حجية العقل)؛ فالعقل يدعو إلى التسامح والتعايش والمحبة بين الناس، بينما التعصب والتطرف واللاتسامح والعنف كلها ممارسات تخالف منطق العقل والتعقل.

١١- بيّن الباحث من خلال هذه الدراسة أن للتسامح جذوراً وقواعد في الإسلام، وقد ذكر أربع قواعد تدل على التسامح، وهي القاعدة الأولى قرآنية: «لا إكراه في الدين»، والقاعدة الثانية فقهية وهي: قاعدة «الإلزام»، والقاعدة الثالثة أخلاقية وهي: «أخلاقيات الإسلام»، والقاعدة الرابعة قاعدة عقلية وهي: قاعدة «حجية العقل» وبهذه القواعد الأربع أثبت الباحث أن التسامح هو منهج أصيل ومؤصل شرعاً، وله جذور عميقة في الدين الإسلامي الحنيف.

١٢- شددت هذه الدراسة على قراءة ملامح المنهج الأخلاقي للإمام الحسين عليه السلام كمهج للتسامح الأخلاقي والإنساني والاجتماعي والفكري، وضرورة تحلي المجتمع المسلم بتلك الأخلاق الإسلامية حتى نعزز مفهوم التسامح في مجتمعنا بين مختلف المكونات الاجتماعية والتيارات الثقافية والفكرية المتعددة بما يُسهم في الارتقاء والنهوض بالسلم الاجتماعي، والتقدم الحضاري.

١٣- ركزت هذه الدراسة على أخلاقيات التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام، فقد ضرب أروع الأمثلة وأجملها في سيرته الأخلاقية الرفيعة، وكان مثالاً رائعاً لحسن الخلق، ومكارم وفضائل الأخلاق. وقد جَسَّدَ عملياً الأخلاق الفاضلة، وقدم لنا - أروع الأمثلة وأجمل الصور في تطبيق الأخلاق في سيرته العملية والحياتية. فمنهجه الأخلاقي الرائع، وتجسيده لأخلاقيات التسامح والتي من أبرزها: تواضعه، وحلمه، وصبره، وعفوه، وصفحه، ورأفته، ورحمته، وإحسانه، وكرمه، وبره حتى لمخالفيه وأعدائه أكبر دليل على تحليه بأخلاقيات التسامح.

١٤- أثبتت هذه الدراسة أن سيرة الإمام الحسين عليه السلام الأخلاقية والإنسانية اتسمت بروح التسامح، إذ أن كثيراً من المشاكل الاجتماعية والسياسية تتولد نتيجة الشعور بالعجب والغرور والتكبر تجاه المكونات والتيارات الأخرى، بينما التواضع ولين الجانب وخفض الجناح يؤدي إلى التسامح، إذ يساعد ذلك على خلق روح إيجابية في التعامل مع الآخرين والتعايش الإيجابي معهم، وتعزيز قيم التآلف والتعاون والتراحم والتواصل والتفاعل والتسامح الفعال.

١٥- تبين من خلال هذه الدراسة أن التسامح يجب ألا يقتصر على جانب دون آخر، أو فئة دون أخرى، أو مكون دون سائر المكونات، بل يجب أن يعم الجميع، ويتحول إلى ثقافة اجتماعية عامة.

١٦- أثبتت هذه الدراسة بشكل مفصل الدور المهم للإمام الحسين عليه السلام في ترسيخ مختلف أنواع وأقسام التسامح سواء من خلال كلماته وأقواله وحكمه البليغة، أم من خلال سيرته العملية الأخلاقية والروحية والمعنوية والإنسانية والفكرية.

١٧- كشفت هذه الدراسة حاجة المجتمعات المسلمة إلى تعزيز روح التسامح في مختلف أقسامه وأنواعه كالتسامح الديني، والتسامح الأخلاقي، والتسامح الإنساني، والتسامح الاجتماعي، والتسامح الفكري، والتسامح السياسي.

١٨- أوضحت هذه الدراسة أن حقائق التنوع والتعدد الديني والمذهبي والثقافي والفكري والحضاري موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، بما فيها المجتمعات المسلمة، وهذا يفرض من الناحية النظرية والواقعية تكريس ثقافة التسامح والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الاجتماعية.

١٩- شددت هذه الدراسة على وجوب الاقتداء والتأسي بسيرة الإمام الحسين عليه السلام العظيمة؛ والاقتداء والتأسي إنما يكون للقدوة الصالحة، وهو خير من يمثل القدوة والأنموذج للإنسان الكامل. وأولى الخطوات المهمة للاقتداء والتأسي بالإمام الحسين عليه السلام هو معرفته، ومطالعة سيرته المباركة، وقراءة سيرته الأخلاقية، والإنسانية، ثم التأسي بتلك السيرة والاقتداء بتلك الأخلاق، والتي هي أخلاق الإسلام وآدابه.

٢٠- أكدت هذه الدراسة على الموقعية والمكانة المتميزة للإمام الحسين عليه السلام في قلوب ووجدان المؤمنين والمسلمين أينما كانوا، فإن نشر أخلاقه الدالة على التسامح والتعايش الإيجابي يساعد كثيراً على صناعة مجتمع متسامح ومتعايش، فلا صلاح للأمة إلا بالتعايش والتعاون والتآلف.

٢١- أثبتت هذه الدراسة أنه لا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية، التي أعطى الإمام

الحسين عليه السلام حياته من أجل ترسيخها في المجتمع، وإحياء قيم ومبادىء الدين والأخلاق

٢٢- تؤكد هذه الدراسة ضرورة أن يكون الاقتداء والتأسي بسيرة الإمام الحسين عليه السلام منطلقاً لانعكاس ذلك في المجتمع، فمجتمعنا المسلم أحوج ما يكون إلى التحلي بالقيم الأخلاقية، والتعامل مع مختلف الآراء والتوجهات والتيارات والمكونات الاجتماعية بأخلاق التسامح والتعايش وآداب الاختلاف.

٢٣- أكد فقهاء وعلماء هذه الأمة أن (التعددية المذهبية) تبقى ظاهرة طبيعية ومنطقية، ومن ثم فإن من حق (الآخر المذهبي) أن يعبر عن آرائه وأفكاره وتصوراته العلمية، وفي جميع الأمور بحرية تامة، وليس من حق أحد الادعاء أن له وصاية على الآخرين، أو أن فهمه للدين هو (وحده) الفهم الصحيح، أو أن يحاول بالقوة والإكراه إجبار الآخرين على قبول فهمه للإسلام، وكأن فهمه للإسلام هو الإسلام!

٢٤- بينت الدراسة أن التعصب بجميع أشكاله وصوره، ومحاربة فكر وآراء الآخر، والعمل على فرض آراء الذات بأي وسيلة لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتيت وحدة المجتمع المسلم، وإضعاف الروح المعنوية، وخلق الفتن والصراعات والمعارك الجدلية، والحروب العبثية.. وهي عملية هدم لكيان الأمة كله.

٢٥- أثبتت الدراسة أن ظاهرة (التعددية المذهبية) ظاهرة طبيعية، وسمة لازمة في جميع الأديان والعقائد، وأن الإسلام ليس بخارج عن تلك القاعدة، كما يؤكد على ذلك التاريخ الماضي والواقع المعاصر، وأنه لا يمكن إلغاء تلك المذاهب، ولكن من الممكن الاتفاق على (القواسم المشتركة) التي تجمع بين المذاهب الإسلامية المتعددة، والتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

٢٦- أكد الباحث اعتراف الإسلام بوجود (الآخر الديني) وتسامحه تجاه الأديان والملل الأخرى، وحمايته لحق الإنسان في الاختيار العقدي، ويرفض الإسلام من جهة أخرى أية عملية قسرية أو تعسفية أو قهرية لفرض الدين على الآخر؛ لأن الانتماء إلى الدين يجب أن يكون عن اختيار حر، وقناعة ذاتية.

٢٧- إن وجود التنوع والتعدد الديني يفرض الحاجة إلى التسامح في التعامل معهم،

وإعطائهم حقوقهم المشروعة كما كفلها لهم الإسلام. فتعاليم الإسلام وقيمه تشجع على التسامح والتعامل الحسن مع أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، وتأمر بالعدل والإنصاف والإحسان إليهم، وتنهى عن الظلم والعدوان ضدهم.

٢٨- توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى حاجة المجتمعات الإسلامية اليوم إلى إرساء قيم التسامح والتعايش الإيجابي بين أتباع الديانات المختلفة فضلاً عن أتباع المذاهب الإسلامية. وفي تعاليم الإسلام ووصاياه من حسن التعامل، والجدال بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعاون مع الآخر، وتجنب التصادم والتحارب، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتطبيق العدل والرحمة والمساواة والحرية التي ضمنها الإسلام مع جميع أهل الديانات والمذاهب هو الكفيل بترسيخ قيم التسامح في المجتمع.

٢٩- أثبتت هذه الدراسة أن ثقافة التسامح والتعايش تنمو في ظل التعددية الفكرية عندما يسود المجتمع أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، أما عندما تسود أجواء الكبت الفكري والقمع تجاه أي رأي مخالف فإن ثقافة اللاتسامح والإقصاء تكون هي السائدة. ولا يصح بأي حال من الأحوال مصادرة الآراء والأفكار المغايرة، والحجر على أي رأي مخالف، بل يجب تشجيع الإنتاج الفكري، والإبداع العلمي حتى يتطور المجتمع ويتقدم حضارياً.

٣٠- أوضحت هذه الدراسة أن وجود التعددية السياسية في أي مجتمع يفرض الحاجة إلى التسامح السياسي بين مختلف القوى والجماعات والتيارات السياسية حتى تستطيع التعاون والتكامل انطلاقاً من أرضية المشتركات السياسية، والتحديات التي تواجهها الدولة والمجتمع.

ثانياً- توصيات الدراسة

في ختام هذه الدراسة عن التسامح عند الإمام الحسين عليه السلام، يوصي الباحث بالتوصيات والاقتراحات التالية:

١- وضع مادة دراسية في مناهج التربية والتعليم لتدريس ثقافة التسامح والاختلاف، والاهتمام بالدراسات المقارنة في الفقه بين المذاهب، والقواسم المشتركة بين الأديان لتعزيز روح التسامح في المجتمع.

٢- تفعيل دور وسائل الإعلام والاتصال المختلفة في إشاعة ثقافة التسامح والمحبة والمودة بين المسلمين بغض النظر عن اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفكرية، وبين المسلمين وغيرهم ممن لا يحاربون الإسلام.

٣- التركيز على إيجاد الأجواء المناسبة لتقبل الرأي الآخر، وإشاعة ثقافة الحوار بين المسلمين، واحترام الإنسان بغض النظر عن مذهبه أو فكره أو لونه أو عرقه أو جنسه، فالإنسان بما هو إنسان مكرم في نظر الإسلام.

٤- وضع خطة عملية متكاملة لنشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والقيم الإنسانية العامة التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان، والتسامح مع المخالف، والقبول بالرأي الآخر، والسماح مع مختلف الآراء بالتعبير عن نفسها ووجودها.

٥- تأسيس قنوات فضائية متخصصة في ثقافة التسامح، لتعليم الناس احترام الرأي والرأي الآخر، وتبادل الأفكار والآراء بحرية كي تتربى الأجيال الحاضرة والقادمة على التسامح، والتعامل الحضاري مع مختلف المكونات الاجتماعية.

٦- البدء في تعليم النشء بقبول الرأي والرأي الآخر ابتداء من الدار (المنزل) والمدرسة مروراً بالمسجد والجامعة، كي يتربى الجيل الجديد على أخلاقيات التسامح، واحترام الآراء، والبعد عن أحادية الرأي. فالتربية على أساس احترام وقبول الرأي الآخر يساهم في استقرار المجتمع وتقدمه، بينما أحادية الرأي يُسهم في إفرازات اجتماعية خاطئة، وربما ينتج عنها مواقف عنفية تؤدي في النهاية إلى اضطراب المجتمع وتخلفه.

٧- سن قانون يرسخ ويحمي مبادىء التسامح في المجتمع، ويجرم الكراهية والتحريض

على الآخر، ووضع مدونة عقوبات صارمة ضد كل من يرتكب أعمالاً أو أقوالاً تشجع على الكراهية بين الناس، وتخلق الفتن في المجتمع.

٨- دعوة مؤسسات المجتمع المدني إلى عمل مناشط وأنشطة ثقافية واجتماعية تشجع على نشر ثقافة التسامح، وتساهم في الاندماج الاجتماعي بين مختلف الشرائح والفئات والمكونات الاجتماعية.

٩- دعوة الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية إلى تشجيع وتحفيز طلاب الدراسات العليا على كتابة رسائل الماجستير والدكتوراه عن حياة الإمام الحسين بن علي ﷺ من مختلف أبعادها وجوانبها المشرقة، وباقي أئمة أهل البيت ﷺ، لما في ذلك من تعريف بأعلام الدين والحق والهدى، وإثراء المعرفة عن تلك الشخصيات المتميزة والعظيمة.

١٠- تأسيس مؤسسات علمية وتربوية تعمل على الاهتمام والعناية الخاصة بنشر ثقافة التسامح والقبول بالاختلاف، وبناء كوادر علمية مؤهلة للقيام بذلك، من خلال العمل على تثقيف المجتمع، وإدارة الاختلاف، وترسيخ مبادىء وقيم التسامح.

١١- إبراز الجوانب الأخلاقية والإنسانية في سيرة وحياة الإمام الحسين ﷺ، وباقي أئمة أهل البيت الأطهار ﷺ، لتعريف العالم أجمع بحياة وسيرة أئمة الحق والهداية، وبيان التفوق الأخلاقي لهذه الشخصيات العظيمة، وهو الأمر الذي يساعد على ربط الأجيال الحاضرة والقادمة بأئمة أهل البيت ﷺ، وجذب الناس إليهم، وتقديمهم كنماذج متميزة وقدوات صالحة في كل الأبعاد والجوانب.

١٢- العمل على كتابة موسوعة علمية متكاملة عن أخلاقيات الإمام الجسين ﷺ بحيث تتناول كل ما ورد عن سيرته الأخلاقية والروحية والمعنوية، وحفظ كل ما كُتب أو دون عن سيرته الأخلاقية الشريفة لتكون مرجعاً توثيقياً للكُتّاب والباحثين، وطلاب المعرفة والعلم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

١. خير ما نبتدىء به: **القرآن الكريم**.

(أ)

٢. **الآبي**، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، **نثر الدر في المحاضرات**، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣. **الإربلي**، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ)، **كشف الغمة في معرفة الأئمة**، دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤. **الأسدي**، ناصر حسين، **ثقافة التعايش**، مؤسسة الفكر الإسلامي، كربلاء -العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٦م.

٥. **الأشتري**، ورام بن أبي فراس المالكي، **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)**، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.ش،

٦. **الأصفهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، **مقاتل الطالبيين**، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت - لبنان، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.

٧. **الأمين**، السيد محسن (ت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، **أعيان الشيعة**، حققه وأخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨. **ابن أبي جمهور الأحسائي**، محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم، **عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٩. **ابن أبي الحديد**، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة**، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، طبع عام ١٩٦٢م.

١٠. **ابن أبي شيبة**، أبو بكر عبدالله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ)، **المصنف**، دار قرطبة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١١. **ابن حزم الأندلسي**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م)، **المحلى بالآثار**، دار الفكر، بيروت – لبنان. د.ت.

١٢. **ابن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، **مسند أحمد بن حنبل**، دار صادر، بيروت – لبنان. **ابن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، **مسند أحمد بن حنبل**، دار صادر، بيروت – لبنان.

١٣. **ابن فارس**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٤. **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم، **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٥. **ابن قتيبة الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم، **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

١٦. **ابن قولويه القمي**، أبو القاسم جعفر بن محمد، **كامل الزيارات**، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٧. **ابن سعد**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.

١٨. **ابن سعد**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، **ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)**، تهذيب وتحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، الهدف للإعلام والنشر، قم، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبعة.

١٩. **ابن شهر آشوب**، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، **مناقب آل أبي طالب**، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ–١٩٩١م.

٢٠. **ابن الصباغ المالكي**، علي بن محمد بن أحمد المكي (ت ٨٥٥هـ)، **الفصول المهمة في**

معرفة الأئمة، حققه ووثق أصوله وعلَّق عليه: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢١. **ابن عاشور**، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٢. **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه: محمد يوسف الرقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٣. **ابن العديم العقيلي**، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، حققه وقدم له: سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. وطبعة دار الفكر، دمشق.

٢٤. **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت ١١٧٦م)، **تاريخ مدينة دمشق**، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥هـ.

٢٥. **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٦. **ابن منظور**: محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٢٧. **ابن هشام**، أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، طبع عام ١٤٣٣هـ– ٢٠٠٢م.

٢٨. **أبو زهرة**، الشيخ محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، طبع عام ١٩٨٧م.

(ب)

٢٩. **بارا**، أنطون، **الحسين في الفكر المسيحي**، دار العلوم، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٣٠. **باناجه**، سعيد محمد أحمد، **دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وموقف التشريع**

الإسلامي منها، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٣١. **البخاري**، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، طبع عام ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٣٢. **البروجردي**، السيد حسين الطباطبائي، **جامع أحاديث الشيعة**، مطبعة مهر، قم، طبع عام ١٤٠٩هـ.

٣٣. **البلاذري**، أحمد بن يحيى بن جابر، **أنساب الأشراف**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٣٤. **البيهقي**، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(ت)

٣٥. **الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا. وطبعة المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

٣٦. **التميمي الآمدي**، عبد الواحد بن محمد (ت ٥١٠هـ)، **غرر الحكم ودرر الكلم**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(ج)

٣٧. **الجزري**، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٨. **الجناتي**، الشيخ محمد إبراهيم، **دروس في الفقه المقارن**، الناشر: منظمة الإعلام الإسلامي، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٩. **الجوهري**، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، دار الحديث، القاهرة – مصر، طبع عام ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(ح)

٤٠. **الحر العاملي**، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤١. **حسنة**، عمر عبيد، **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٢. **الحلواني**، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر، **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**، مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(خ)

٤٣. **الخوارزمي**، أبو المؤيَّد الموفَّق بن أحمد المكّي (ت ٥٦٨ هـ)، **مقتل الحسين (ع)**، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى ـ قمّ المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٤. **الخوئي**، السيد أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، **البيان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(د)

٤٥. **الدجاني**، الدكتور أحمد صدقي، **وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط**، دار المستقبل العربي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٤٦. **الديلمي**، الحسن بن محمد (ت ٨٤١هـ)، **أعلام الدين في صفات المؤمنين**، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت (ع) لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(ر)

٤٧. **الرازي**، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٨. **الرازي**، فخر الدين، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٤٩. **الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٥٠. **الراوندي**، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، **مكارم أخلاق النبي والأئمة**، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء– العراق، طبع عام ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.
٥١. **الريشهري**، محمد، **موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٥٢. **الريشهري**، محمد، **ميزان الحكمة**، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

(ز)

٥٣. **الزبيدي**، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ..
٥٤. **الزرندي الحنفي**، الشيخ محمد، **نظم درر السمطين**، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.

(س)

٥٥. **سبط ابن الجوزي**، يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤هـ)، **تذكرة الخواص**، عَلَّق عليه ووضع حواشيه: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
٥٦. **السيوطي**، **جلال الدين**، **الجامع الصغير**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

(ش)

٥٧. **الشرباصي**، د. أحمد، **موسوعة أخلاق القرآن**، دار الرائد العربي، بيروت –لبنان،

الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

٥٨. **الشريف الرضي**، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦هـ - ١٠١٥م)، **نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ**: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥٩. **شمس الدين**، الشيخ محمد مهدي، **في الاجتماع السياسي الإسلامي.. محاولة تأصيل فقهي وتاريخي**، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٠. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، **السبيل إلى إنهاض المسلمين**، دار المنهل - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦١. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، **الفقه - كتاب الحدود والتعزيرات**، دار العلوم - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٢. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، **الصياغة الجديدة**، بيروت - لبنان، غير مذكور تاريخ الطبع، ولا عدد الطبعة.

٦٣. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، **الفقه: كتاب السياسة**، دار العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٤. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، الفقه: **كتاب الجهاد**، دار العلوم - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٥. **الشيرازي**، السيد محمد مهدي الحسيني، **الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين**، مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٦. **الشيرازي**، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٧. **الصافي الكلبايكاني**، الشيخ لطف الله بن محمد جواد، **أشعة من عظمة الإمام الحسين** (ع)، - مطبعة ثامن الحجج، قم – إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.

٦٨. **الصدر**، السيد مهدي، **أخلاق أهل البيت**، دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٩. **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، **الأمالي**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧٠. **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، **الخصال**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٧١. **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، **عيون أخبار الرضا (ع)**، منشورات المكتبة الحيدرية، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ .

٧٢. **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، **معاني الأخبار**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طبع عام ١٣٧٩هـ.

٧٣. **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، **الاعتقادات في مذهب الإمامية**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٧٤. **الصفار**، حسن موسى، **التعددية والحرية في الإسلام**، دار البيان العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(ط)

٧٥. **الطباطبائي**، السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧٦. **الطبرسي**، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٧. **الطبرسي**، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨ هـ)، **الاحتجاج**، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، منشورات أسوة، طهران ـ إيران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.

٧٨. **الطبرسي**، ميرزا حسين النوري، **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، دار الهداية،

بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٧٩. **الطبرسي**، أبو نضر الحسن بن الفضل، **مكارم الأخلاق**، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٨٠. **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٨١. **طعمة**، رشدي أحمد طعمة، ود. محمد عبدالرؤوف الشيخ، **ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين**، دار الفكر العربي، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٨٢. **الطريحي**، فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ)، **معجم مجمع البحرين**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٨٣. **الطوسي**، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)، **الأمالي**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٨٤. **عثمان**، عبد الكريم، **معالم الثقافة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٨٥. **العلمي**، عبد القادر، **في الثقافة السياسية الجديدة**، منشورات الزمن، الدار البيضاء - المغرب.
٨٦. **العلواني**، أحمد حميد عبود، **التسامح في الإسلام**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٨٧. **عمارة**، محمد، **الإسلام والمعارضة السياسية**، مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٠٨، السنة الخامسة والثلاثون، نوفمبر - ١٩٩٢م.
٨٨. **عمارة**، محمد، **الإسلام والتعددية الحزبية**، مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٠٣، السنة الخامسة والثلاثون، أكتوبر - ١٩٩١م.
٨٩. **العوّا**، محمد سليم، **التعددية السياسية من منظور إسلامي**، مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٣٩٥، السنة الرابعة والثلاثون، أكتوبر - ١٩٩١م.
٩٠. **العياشي السمرقندي**، أبو النضر محمد بن مسعود، **تفسير العياشي**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

(غ)

٩١. **الغزالي**، الشيخ محمد، **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩٢. **الغزالي**، أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، غير مذكور تاريخ الطبعة ولا عددها.

٩٣. غير مذكور اسم المؤلف، **روح التسامح**، دار التوحيد، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(ف)

٩٤. **الفضلي**، الدكتور عبد الهادي، **مبادئ أصول الفقه**، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٩١م.

٩٥. **الفيروز آبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب، **معجم القاموس المحيط**، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٦. **الفيروز آبادي**، السيد مرتضى الحسيني، **فضائل الخمسة من الصحاح الستة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩٧. **الفيض الكاشاني**، محمد بن مرتضى، **كتاب الوافي**، تحقيق: السيد علي عبدالمحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(ق)

٩٨. **القرشي**، باقر شريف، **موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي (ع)**، دار المعروف، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٩. **القشيري النيسابوري**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم(ت ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٠. **القمي**، عباس (ت ١٣٥٩هـ)، **منازل الآخرة والمطالب الفاخرة**، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(ك)

١٠١. **الكليني**، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، **أصول الكافي**، ضبطه وصححه وعلَّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٠٢. **الكوفي**، أحمد بن أعثم، **الفتوح**، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبعة.

(ل)

١٠٣. **لجنة التأليف**، المجمع العالمي، **أعلام الهداية: الإمام الحسين** (ع) **سيد الشهداء**، المجمع العالمي لأهل البيت، قم– إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠٤. **الليثي الواسطي**، أبو الحسن علي بن محمد، **عيون المواعظ والحكم**، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.ش.

(م)

١٠٥. **المتقي الهندي**، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة.

١٠٦. **المجلسي**، محمد باقر بن محمد تقي، **بحار الأنوار**، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٠٧. **مجموعة من الباحثين**، المعجم الوسيط، **مجمع اللغة العربية**، المكتبة الإسلامية، استانبول– تركيا، غير مذكور سنة الطبعة ولا تاريخها.

١٠٨. **مجموعة من الباحثين**، **التسامح ليس منة أو هبة**، دار الهادي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٠٩. **المدرسي**، السيد هادي، **أخلاقيات أمير المؤمنين** (ع)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

١١٠. **المرعشي النجفي**، السيد شهاب الدين (ت١٤١١هـ)، **شرح إحقاق الحق**، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١١١. **المظفر**، الشيخ محمد رضا، **أصول الفقه**، منشورات مكتبة الزواد - القطيف - المملكة العربية السعودية، غير مذكور تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.

١١٢. **مغنية**، الشيخ محمد جواد، **الإسلام بنظرة عصرية**،، دار التيار الجديد - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١١٣. **مغنية**، الشيخ محمد جواد، **مع الشيعة الإمامية**، دار التيار الجديد - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٤. **مغنية**، الشيخ محمد جواد، **في ظلال نهج البلاغة: محاولة لفهم جديد**، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

١١٥. **المنتظري**، الشيخ حسين، **دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية**، الدار الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١١٦. **المودودي**، أبو الأعلى، **الحكومة الإسلامية**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، طبع عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١٧. **الموسوي**، خليل، **كيف تتصرف بحكمة؟**، دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٨. **الميانجي**، الشيخ علي الاحمدي، **مكاتيب الرسول**، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١١٩. **الميلاد**، زكي، **الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر**، دار الصفوة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(ن)

١٢٠. **النسائي**، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، **سنن النسائي**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٢١. **النفيسي**، عبدالله، **الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية (أوراق في النقد الذاتي)**، مكتبة

مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

١٢٢. **النيسابوري**، محمد بن الفتال (ت ٥٠٨هـ)، **روضة الواعظين**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

(هـ)

١٢٣. **هويدي، فهمي، التعددية والمعارضة في الإسلام**، مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٣٥٤، السنة الحادية والثلاثون، مايو – ١٩٨٨م.

١٢٤. **هويدي**، فهمي، **إحقاق الحق**، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١٢٥. **هويدي**، فهمي، **حتى لا تكون فتنة**، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٢٦. **هويدي**، فهمي، **القرآن والسلطان**، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٢٧. **هويدي**، فهمي، **مواطنون لا ذميون**، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(ي)

١٢٨. **اليحصبي**، القاضي أبي الفضل عيَّاض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ.

١٢٩. **اليعقوبي**، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، علَّق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

١٣٠. **اليوسف**، عبدالله أحمد كاظم (المؤلف نفسه)، **شرعية الاختلاف**، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

INTERNATIONAL AL-AMEED CENTER
FOR RESEARCH AND STUDIES

AL - ABBAS HOLY SHRINE

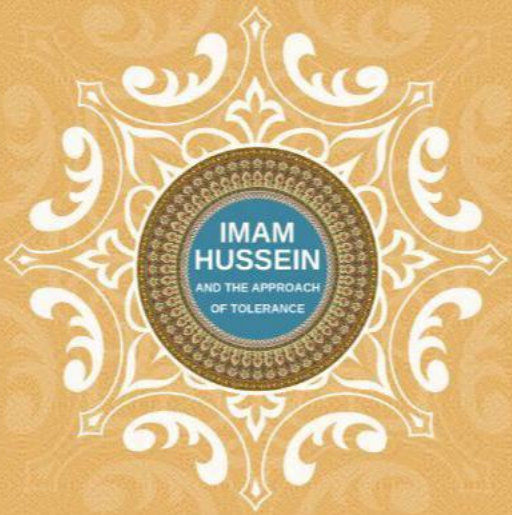

DR. SHEIKH ABDULLAH AL - YOUSEF

2018 A.D - 1440 A.H